



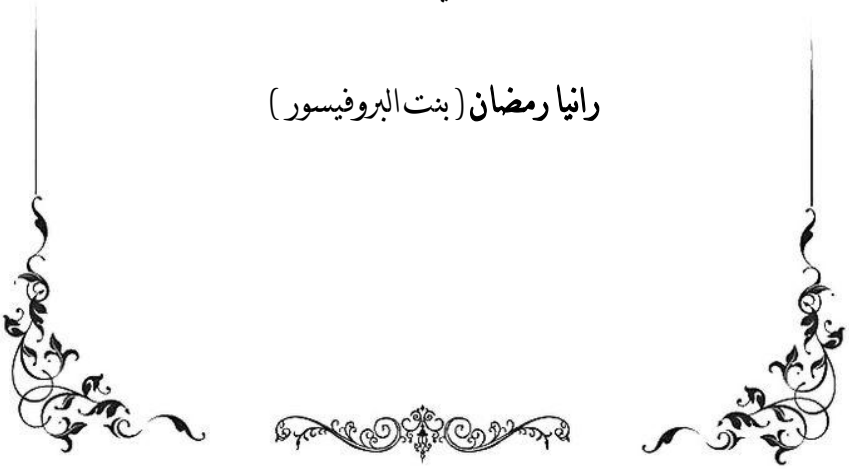
الخطيئة

رواية

الجزء الأول من أولاد لوسيفر

تأليف:

رانيا رمضان (بنت البروفيسور)



اسم الرواية: الخطيئة

الجزء الأول من سلسلة أولاد لوسيفر

تأليف: رانيا رمضان

تدقيق واخراج فني وتصميم غلاف: بنت البروفيسور

رقم التوثيق:

GGKEY:2P9E6GL8Y00



هذه الرواية عمل أدبي خيالي من نسج خيال المؤلفة
رانيا رمضان بنت البروفيسور بالكامل، ولا تمت إلى الواقع أو إلى أي شخص أو
أحداث أو جهات حقيقية بصلة.
وإنّ أي تشابه قد يُلاحظ بين شخصيات الرواية أو أحداثها وبين الواقع
هو محض صدفة غير مقصودة.
تنبيه: هذه الرواية محمية بحقوق الملكية الفكرية الخاصة بالمؤلفة وورثتها، ويُمنع
نسخها أو اقتباسها أو إعادة نشرها أو استخدامها بأي شكل سينمائي أو كتابي
دون إذن مسبق، وأي مخالفة لذلك تُعرض مرتكبها للمساءلة القانونية.

رواية "أولاد لوسيفير" تنقسم لعدة أجزاء،
تدور أحداثها حول صراع بين الإنس والجن
خلال مغامرات وأزمات مختلفة،
فهل يا ترى من سينتصر . . . ؟ !
خليفة الله أم خليفة لوسيفير . . . ؟ !

أنتَ لي أنا وحدي، وإن قررتَ أن تكون لغيري؛ فحياتك ستصبح جحيماً .

أرجوك لا تتركيني، فأنا تركتُ العالم أجمع وهربتُ إليك يا مصدر الأمان بالنسبة لي .

لقد تخلى العالم كله عنك، ولكنني لن أتخلى عنك أبداً .

أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أُمِّي . . أصدقاء وإخوة إلى الأبد . .

الفصل الأول

الهروب

في فجر العاشر من نوفمبر عام ٢٠١٩ في الإسكندرية، يهرول شاب أسمر طويل ذو ملامح حادة تدل على قسوة الحياة التي مر بها، ذو جسد رياضي يدل على قوته، بعيون واسعة مكحلة ذات رموش سوداء كثيفة، وشعر أسود طويل ناعم منسدل على كتفيه.

ها هو يجري بسرعة ويده ملطخة بالدم، يهرول باكياً بطريقة لا تناسب مع هيئة هيئته، يبكي بطريقة توحى بأنه ذو قلب حانٍ برغم قسوة الدنيا.

ها هو يبحث عن أول مصدر للماء كي يغسل يده، وها قد وجد صنبوراً في إحدى الشوارع المظلمة الهادئة التي لا يوجد بها إلا القليل من الشباب في الزاوية، غير واعين بما حولهم لأنهم يتعاطون المخدرات.



ها هو يغسل يده وهو مستمر في البكاء، ويضرب الماء على وجهه بقوة أملأ أن يكون كل ما يمر به حلمًا لا حقيقة، ولكن لا يوجد أي تأثير، ما زال على نفس الحال؛ مما يؤكد له أن ما حدث واقع لا مفر منه.

صار يبكي أكثر وأكثر؛ لأنه لم يكن يتوقع أبدًا أن يصل إلى هذه الحالة في يوم من الأيام. وضع رأسه تحت الصنبور عسى أن يفيق من ذلك الكابوس.

رفع رأسه من تحت الصنبور والماء يقطر من شعره الطويل الناعم على ملابسه مما أبرز عضلات صدره أكثر، وعندما وجد ألا مفر من ذلك الواقع، استمر بالهرولة إلى أن وصل كورنيش البحر ووقف أمامه باكيًا مفكرًا في الانتحار.

ها هو يمسك بسور الكورنيش ويهم بالقفز، ولكنه توقف للحظة وهو ينظر لماء البحر من علٍ، يتذكر حياته للوهلة الأخيرة، تذكر حياته القاسية من ظلمة البحر، تردد لوهلة: كيف له أن ينهي حياته بالانتحار...؟ ! يعني أنه لم يهنأ في حياته وفي النهاية يقرر أن يخسر آخرته بيده!

ترك السور وعدل من وقفته، ولكن قدماء لم تعودا قادرين على حمله فخرًا واقعًا على ركبتيه وصار يبكي بحرقة، رافعًا رأسه للسماء وصرخ قائلاً:

فاق من شروده بمجرد أن وضع قدمه الأخرى داخل المسجد ، رأى أمامه لفظ
الجلالة "الله" بشكل ضخّم ومبهر ، لم يستطع أن يتحمل عظمة وهيبة ذلك الاسم
وهو الاسم الأعظم للرب ، خرّ ساجداً باكياً لله طالباً منه العون ، بكى مجرقة إلى أن
تقرب منه رجل خمسيني ذو جلباب أبيض وبشرة صافية بيضاء وشعر غزاه
الشيب وابتسامة صافية ، حاول أن يلمس كنفه بلمسة خفيفة .
رفع فارس رأسه وعينه صارت حمراء من شدة البكاء ، ظل الرجل واضعاً يده
على كنفه مهوئاً عليه قائلاً :
- هوّن عليك يا ولدي ، ساحني لأنني قطعت دعاءك مع الله ، ولكن ماذا بك . . . ؟
الرجل يتكلم بتأثر ولكن فارس ينظر له فاقد التركيز ، يفكر في الله :
هل سينجده من الكارثة التي هو بها أم لا ؟
حاول الرجل أن يرفع فارس من على الأرض وقال له :
قُم يا بني ، هيا وتوضاً ، الصلاة سوف تقام ، قُم يا ولدي ولا تنقلق من شيء ما دمت
لجأت لله وحده فلن يحزنك الله أبداً .

وقف فارس ورفع رأسه فرأى أسماء الله الحسنى المزخرف بها المسجد فطلب المدد بكل اسم تراه عيناه، ومن ثم عندما همَّ واقفاً رأى اسم الرسول محمد -صلَّى الله عليه وسلم- فطلب منه المدد والعون، ترحى الله أن ينجده بحبه لحبيبه محمد، ومن ثم توضأ وأثناء وضوئه طلب من الله أن يغسله من كل ذنب أذنبه سواء كان يعلمه أو لا يعلمه.

ها هي الصلاة قد أوشكت على البدء والناس بدؤوا في الاصطفاف، حينها طلب من الله وهو يبكي بصمت رافعاً رأسه:

يا رب ليس لي سواك، يا رب سخري من ينجدني مما أنا به، أرجوك يا الله أعطني سبيلاً للنجاة، يا منجي نجي.

ومن ثم بدأت الصلاة، ومع كل آية يسمعها يبكي، وكالعادة عندما تضيق بنا الحياة نشعر أن ليس لدينا سوى الله، مع كل آية من كتابه العزيز نشعر برسائله لنا، وكأنه أثناء رخائنا عقلنا لا يستوعب رسائل الله لأن العقل مشغول بالنعم عن المنعم، بينما عندما تظلم الحياة وتغلق الدنيا كل أبوابها في وجهنا لا نجد سواه الواحد الباقي، حينها لا نجد أحداً قابلاً أن يسمعنا أو يكلمنا سواه.

فارس أول ما سمع آية (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ظل يكررها وأجهش بالبكاء إلى أن سمعه من حوله، استمر على هذا الحال في ركوعه وفي سجوده الذي لم يكن يرغب في أن يرفع رأسه منه؛ لأنه يعلم أن العبد يكون قريباً لله أثناء سجوده، لذا كان يريد أن يكون قريباً من الله كي يستجيب له .

انتهت الصلاة فأخذه الرجل السمع الملامح والروح وجعله يستند على أحد أعمدة المسجد، وقام من مكانه وجلب له ماءً بارداً، وعندما رجع وجد فارس قد أجهش ثانية في البكاء، فربت على كتفه وقال له بلين ورفق:

—هون، هون عليك يا ولدي، أنا مثل أبيك وأنت مثل ابني، ومنذ أن رأيتك شعرت بطاقتك؛ أنت شاب صالح، صدقني لن يحزبك الله، حياتنا مثل محطة القطار، عندما نولد لا نكون نحن من اختار القطار الخاص بنا ولسنا نحن من نختار وجهتنا، ولكن بمجرد أن نشبَّ بإمكاننا في حالة إن لم تعجبنا وجهة قطار حياتنا أن ننزل منه وأن نستقل قطاراً آخر ينتقل للوجهة التي نريدها، ولكن الغباء هو أن ننزل من القطار الذي لا تعجبنا وجهته ونظل هكذا في الحطة واقفين محلنا لا نفعل شيئاً سوى أننا ننظر للناس الذين يتعايشون في حياتهم؛ سواء الراضين عن وجهتهم أو من هم غير

راضين ولكنهم مكملون، في النهاية سوف ترى أن الكل وصل للنهاية؛ منهم من وصل هدفه ومبتغاه ومنهم من ضيَّع مجهوده في طريق لا يحبه ولكنه تعايش مع ظروف ومواقف ليست على هواه، ولكنه سيظل أفضل ممن نزل من قطاره وظل "محله سر" لا يحرك ساكناً .

مسح فارس دمه وهو ينظر للرجل السمع وقال له متسائلاً :

-أتظن أن الله سوف يخرجني مما أنا به ؟

-كل ما عليك أن تغير وجهتك وكفى يا بني، غير وجهتك وهناك سوف تجد الله وعونه .

ظل فارس ينظر له يحاول أن يفهم، ينظر له بنظرة من يريد أن يطمئن بأي كلمة تعيد له الأمل من جديد :

-ولكن كيف ؟ قل لي كيف . . . ؟ أرجوك .

-لا أستطيع أن أقول لك كيف . . . كيف هذه عند الله وحده، اتركها على الله،

هو وحده مدبر لك أمرك للنهاية، هيا قمْ معي وقرر من الآن من سوف تكون . . ؟

ها هو فارس يهم واقفاً مع الرجل السطح طيب القلب، ومن ثم نظر له الرجل وابتسم وقال:

أنا واثق بك يا بني، وأنت كل ما عليك أن تثق في الله وحده.

من ثم تركه وهمَّ خارجاً من المسجد، وفارس لا يدري ماذا عليه أن يفعل، ومن ثم التقت له الرجل عندما كان يرتدي حذاءه فأشار على أذنه لفارس وابتسم ورحل. خرج فارس من المسجد ولكنه لا يدري إلى أين ستأخذه قدماءه، ها هو النهار قد بزغ، فجأة وهو يمشي سمع صوت قطار، تذكر الرجل الكبير وكلامه عن الحياة وتغيير وجهة حياته، تذكر إشارته الأخيرة له، قال فارس في قرارة نفسه:

يمكن الله أرسل لي هذا الرجل كي يدلني على سبيل النجاة.

دخل فارس محطة القطار ولكنه لم يكن يدري ماذا يفعل، ولكن كل ما يريده أن يبعد وكفى، فجأة رأى أن القطار الذي أوشك على الرحيل هو القطار الذاهب إلى القاهرة، ولكنه شرد لوهلة وقال في قرارة نفسه:

ولكن ماذا سأفعل في القاهرة؟ ليس لي أحد بها . . .

ومن ثم تنهد بحسرة وأردف متألماً:

-ليس لي أحد في أي مكان لا القاهرة فقط . . . أنا خلقت وحيداً وسأظل

وحيداً . . . يبدو أن الوحدة مكتوبة عليّ للأبد .

ومن ثم همّ بشراء تذكرة وركب القطار غير مفكر كثيراً فيما سوف يجده في

القاهرة، قرر أن يتركها على الله كما قال له الرجل الكبير .

ولكن بمجرد أن ركب القطار شعر أن التعب سيطر على كل أعضاء جسده، سرح

قليلاً في مستقبله، فكر قليلاً وسأل نفسه: ترى ما يحبّه له القدر . . . !

ولكن سرعان ما غلبه النعاس وراح في سبات عميق، ولكنه استيقظ بعد مرور

بعض الوقت عندما مر مسؤول التذاكر مرة أخرى كي يسأله عن تذكرته، تعجب

فارس بأنه كيف نام من دون أن يشعر، ومن ثم عدّل من جلسته ونظر لمسؤول

التذاكر باستغراب وقال له وهو يفرك عينه كي يفيق:

-ولكنك قد رأيتها أول ما ركبت القطار .

كرر الرجل كلامه بصرامة تليق بضخامته وشاربه الكث:

-قلت لك أريد أن أرى التذكرة لا تكثري الكلام .

همّ فارس بإخراج محفظته ولكنه لم يجدها، همّ واقفاً كي يتأكد من وجودها، بحث جيداً في كل الجيوب من دون أي فائدة، لم يجد شيئاً، توتر فارس، لقد سُرقت محفظته بكل ما لديه من مال وهويته الشخصية.

نظر فارس لمسؤول التذاكر وقال له بدهشة يتخللها التوتر: -لقد سُرقت، أنا أعلم أنك متأكد بأنني كان معي محفظة وتذكرة، أنت شاهد على امتلاك لي لمحفظة وعليك الآن أن تساعدني في إيجادها.

نظر له مسؤول التذاكر باستحقار وقال له بقسوة وهو يسكه من ذراعه: -هذا المشهد أراه يومياً، لو تركت كل من يقول لي ذلك سوف تصير غابة، أنا ألزم بالقانون والشروط وكفى.

أمسك فارس بقبضته القوية يد الرجل المسكة به ودفعه بقوة وصرخ قائلاً: -لا تجرأ على لمسي، أنا لست بكاذب، بل أنا من تمت سرقتي.

ومن ثم نظر فارس لمن يجلس بجواره وقال باندهاش بسبب عدم دفاعه عنه: -قل شيئاً، أنا كنت بجوارك ولقد رأيتني وأنا أعطيه التذكرة.

تظاهر الرجل بعدم الانتباه ولم يرد.

زاد غضب فارس وهمّ ممسكاً بالرجل وقال له:

ـ لم لا تتكلم . . . ! قل ما رأيته وكفى .

نظر له الرجل وهو يحاول أن يفك قبضة فارس وقال يبرود:

ـ لم تعطه شيئاً، أنت كنت نائماً .

صرخ فارس به وهو ينظر حوله للناس وقال:

ـ كاذبان، كاذبان ! أنا أعلم جيداً أنكما متفقان سويًا، على الأقل دعوني أقتش

ذلك الرجل، أكيد هو من سرق المحفظة .

سحبه مسؤول التذاكر من ياقته بقوة وقال له بقسوة:

ـ هيا، انزل في هذه المحطة، لن تكمل إلى القاهرة .

هنا لم يتمالك فارس نفسه وأمسك بمسؤول التذاكر ودفعه بقوة، ومن قوة الدفعة

ارتطم رأس مسؤول التذاكر في أحد أعمدة القطار مما أدى إلى أن نزف .

هنا عندما وضع المسؤول يده على رأسه ورأى دمه صرخ قائلاً وهو يؤشر بيده

ناحية فارس:

ـ أمسكوا هذا الكلب، يجب أن يلتقي القبض عليه الآن .

نظر فارس مصدوماً مما حدث، يود أن يدافع عن نفسه ويقول إنه لم يقصد بل إنه هو من تمت سرقة . . . ولكن في نفس اللحظة فاق من شروده وأطلق قدميه للريح ودفع من هم أمامه وقفز من القطار، يهرول بسرعة وصار لا يدري يهرب من ماذا أو ماذا؟

خرج من المحطة، واختبأ وراء إحدى الأشجار، يسند يده على جذع الشجرة ويحاول أن يلتقط أنفاسه وهو منحنٍ، ولكن سرعان ما خرَّ على ركبتيه وسند رأسه على جذع الشجرة وهو يقول متحسراً:

لِمَ يحدث معي ذلك يا رب . . . لِمَ عندما أهرب من مصيبة أقع في مصيبة أخرى، لِمَ يا رب . . . أرجوك ساعدني، أنا تعبت .
ها هو ينظر حوله لا يدري أين هو بالضبط، قام من مكانه وعدّل من ملابسه وسأل أحد المارة:

لو سمحت، ما اسم المنطقة التي أنا بها . . . ؟

نظر له الرجل مستغرباً:

نحن في دمنهور . . .

نظر له فارس مستغرباً وقال:

دمنهور...!

تركه الرجل ولم يعره انتباهاً .

ولكن فارس الآن يشعر أنه ضائع لا يدري أي شيء في هذا المكان، وكل المال الذي

كان معه ضائع، لا يدري أين سينام وكيف سيعيش...!

الآن فارس لا يملك سوى هاتفه والساعة التي يرتديها .

قرر أن يبحث عن عمل ولكنه ظل طوال يومه ولم يجد أي فرصة له في أي مجال .

كان كلما تعب من كثرة المشي يذهب للمسجد لتأدية الصلاة الحالية، منها كي يرتاح

من المعاناة التي يمر بها وكي يطلب العون من المعين .

ولكن في المساء بدأ الجوع يقرص معدته، لذا قرر أن يبيع ساعته كي يستطيع أن

يشترى طعاماً .

ابتاع شطيرتين؛ أحدهما كبدة والأخرى سجق، وأردف قائلاً والدمع ينهمر من

عينيه ولكنه رسم ابتسامة منبعثة من الحنين والاشتياق:

— سآكل السجق من أجلك يا صديقي، أعلم أنك تحبه .

ولكن سرعان ما اختفت البسمة عن وجهه وصار يبكي بجنون وقال باكياً وهو
يزيل طرف الشطيرة عن فمه:

-أطلب منك أن تسامحني يا صديقي، لم أكن أقصد، صدقني .

ومن ثم بعد أن هدأ من بكائه حاول أن يأكل؛ ليس لأنه يشتهي الأكل ولكن لكي
تسكت معدته التي تقرصه من شدة الجوع.

بعد أن انتهى من الأكل شعر أن النعاس كاد أن يغلبه والجوع قد ازداد برودة، فقرر أن
يبحث عن مأوى له.

ها هو يبحث بعينه يمينا ويسارا إلى أن وجد بيتاً قديماً تعرض للاحتراق
الكامل . . . ولم ير أي ضوء ينبعث من داخله . . . لذا قرر أن يتسلل بحفنة من جوار
محل البقالة المجاور للبيت المهجور، ومن ثم تمكن من التسلل وها هو دخل من البوابة
الحديدية الصغيرة الصدئة، الباب كان موارباً قليلاً وأصدر القليل من الصرير عندما
حاول فتحه، فاكتمى بفتح القليل منه وانسل للداخل، ومن ثم صعد درجات
السلم، كانت أغلب الدرجات متآكلة، والجدران ملطخة بدخان أسود ومليئة
بالشروخ. ها هو وصل أمام باب أول شقة، الباب كان على الأرض والشقة كانت

مفتوحة، وكل الأبواب في الشقة متفحمة وساقطة أرضاً حتى النوافذ الخشبية انتهى بها الحال بنفس الوضع .

وبمجرد أن وضع رجله على أرضية الشقة بعدما تجاوز الباب الذي عندما مر عليه أصدر صوت حشرجة وكأنه مرفوق صدر رجل ينازع الموت، التفت حوله ولكنه لم يجد أحداً، فعلم أنه مجرد صوت عادي صادر من حركته، ومن ثم عندما وطئت قدماه أرضية الشقة سمع صوت تكسير زجاج، فنظر أسفله فلم يرَ بوضوح لأن الضوء في الشقة مجرد ضوء قليل منبعث من إضاءة الشارع، اضطر أن يقوم بتشغيل مصباح هاتفه ولكن بطارية هاتفه قد أوشكت على النفاد، ولكنه قرر أن يلقي الضوء قليلاً ومن ثم يغلقه، فوجد أسفله أرضية الشقة كلها فتات زجاج قد غطاه الرماد الأسود، والأثاث متآكل ومتفحم تماماً، بدأت القشعريرة تسري في جسده، شعر أن عموده الفقري قد تجمد لأنه شعر بحركة وراء ظهره مع فحيح، ولكنه التفت سريعاً وصوب ضوء هاتفه مباشرة لمصدر الحركة والصوت، ولكنه لم يجد شيئاً، فتنفس الصعداء وحاول أن يلتقط أنفاسه وتذكر أنه في شهر نوفمبر وأن الجو شديد البرودة والرياح هي سبب الحركة والصوت أكيد .

ومن ثم سمع صوتاً ففزع، ولكنه سرعان ما تدارك أن هاتفه يصدر صوت تحذير أن بطاريته سوف تنفذ، لذا قرر أن يبحث عن مكان ينام به ولا يراه أحد من الجيران داخل الشقة، صوّب ضوء هاتفه إلى داخل الغرف، كل الغرف تعرضت للاحتراق التام وتهشم كل ما بها، ومن ثم قرر أن ينام في غرفة في آخر الشقة لأنها الوحيدة التي لم تُنزع نافذتها الخشبية، فحاول مواربة النافذة ومن ثم نام أسفل تلك النافذة وحاول أن يستأنس بالقليل من الضوء المنبعث من خلالها لأنه أغلق هاتفه تماماً .

حاول أن ينكمش في ذاته كي يشعر بالقليل من الدفء ولكن استمر جسده في الارتجاف، لا يدري أهو يرتجف من الخوف أو من الصقيع، ومن ثم وهو يتنفس دخل لأنفه بعض من الرماد والتراب الذي على الأرض فبدأ في السعال ولكنه حاول مسرعاً أن يكتم سعاله كي لا يدري عنه أحد، ولكن بمجرد مرور دقيقة أخرى على سعاله سمع صوت خطوات قادم من الردهة في الخارج، ومن ثم وقع الخطوات يقترب منه ببطء وصوت تهشيم فتات الزجاج يفتت قلبه من شدة الخوف، لا يدري ماذا عليه أن يفعل؛ هل يهرب قافزاً من النافذة أم يواجهه؟ ولكن في النهاية قرر أن يواجهه . . . وسرعة هم بضم النافذة فحل الظلام في الغرفة، وبذلك يمكنه أن يرى

القادم من الخارج على أثر الضوء الخافت ولكن لن يراه من هو قادم إلا بالتدقيق لأنه منزوٍ في ركن الغرفة وسوف يستغل تلك الثواني للانقضاض مسرعاً ومن ثم الهرب . ولكنه انتظر لأكثر من دقيقة وهو كاتم أنفاسه متأهب للهجوم ولكنه لم يعد يسمع أي خطوات، فقرر أن يخرج لكي يتأكد بنفسه مع أخذ الحيلة والاستعداد للهجوم . . . ولكنه بحث في الشقة كلها ولم يجد أحداً، حينها ارتاح قليلاً وقرر أن يعود مرة أخرى إلى تلك الغرفة كي ينام، ها هو يتحسس على أثر الضوء الخافت القادم من الخارج كي يفتح النافذة قليلاً، ولكن قبل أن يهم بفتح النافذة سمع صوت وقع الخطوات، ولكن هذه المرة لا يرى شيئاً، يحاول أن يتفحص المكان حوله جيداً ولكنه لا يرى صاحب صوت تلك الخطوات، ولكن بمجرد أن وقعت عينه على تلك المرأة المكسورة وجد بها انعكاساً لعيون . . عيون صفراء مضيئة للغاية . . . عيون أشبه بعيون ال . . .

ولم يكمل تخمينه أو تفكيره وهو يهم بفتح النافذة كي يرى جيداً إلا ووجد ذلك الجسم انتفض عليه بقوة فسقط أرضاً فارتطم رأسه بقوة ومن ثم . . .



الفصل الثاني

الخسران

يد شاب تحمل سكينًا، وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئاً، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود الطويل، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التقت الفتاة مسرعةً عندما شعرت بأنفاس أحد خلفها، ملامح الذعر رسمت على وجهها، ومن ثم تنقض اليد كي تطعنها ولكن فجأة... .
يقطع الكابوس صوت رنين الهاتف .

في اليوم الثالث عشر من مارس عام 2037، لندن - إنجلترا... .
صوت نغمة رنين هاتف، ولكن أين الهاتف؟ أنا لا أراه! ومن ثم ها هي شابة
مراة في السادسة عشرة من عمرها، جميلة، سمراء، ذات شعر أسود فاحم مموج
يخفي القليل من ملامحها التي بدأت تُرسم عليها علامات الإزعاج من صوت الرنين،
ومن ثم أخرجت يدها من تحت الغطاء البرتقالي .

إن غرفتها يغلب عليها اللون البني الفاتح والبرتقالي؛ مما يدل على أنها شخصية تحب الطبيعة ومندفعة بعض الشيء .

ها هي تلمس خاتمها ذا الحجر الزمردى الأخضر القاتم، فانبعثت في الهواء شاشة، تلك الشاشة من الخلف محتواها مبهم، ولكن من الأمام كانت تحمل اسم "إيفانا" وهي من تتصل .

قامت بلمس تلك الشاشة المنبثقة في الهواء وأغلقت المكالمة كي تكمل نومها، وقامت بوضع الغطاء البرتقالي على رأسها كي تحجب ضوء النهار عن عينيها الذي تشعر أنه مثل اللص الذي يريد أن يسرق النوم منها؛ فاختبأت تحت غطاءها هاربة منه قبل أن يلاحظها ويسرق منها أعز ما تملك، ألا وهو راحة ولذة النوم .

ولكن راحتها لم تدم دقيقة إلا وسمعت صوت إشعار رسالة ما، قامت برفع ذلك الغطاء في عصبية ولمست حجر خاتمها مرة أخرى، فانبعثت تلك الشاشة برسالة من إيفانا تخبرها أن عليها أن تتأهب لرحلة تخييم في إحدى الغابات، ومن ثم في اليوم التالي سيذهبون لتسلق الجبال .

تحمست فريدة كثيراً لتلك الرحلة وطلبت من إيفانا أن تأتي لبيتها بعد ساعة وستكون جاهزة للسفر .

همّت جالسة على السرير وهي تلعب في شعرها كي تنيق قليلاً ، ها هي تمسح وجهها بيدها كي تبعد عنها النوم المتمسك بها ، ومن ثم لمست خاتمها وقالت له :
- "اتصل بأمي" .

ردت عليها أمها ، فطلبت منها أن تحضر لها الفطور قبل أن تتأهب للذهاب .
وفي عشر دقائق قد تجهزت وخرجت من دورة المياه مرتدية سروالاً يحمل نقشة الجيش المموهة ، ومن فوقه ترتدي "كت" أسود ، وها هي أمها تطرق عليها باب الغرفة ، فأذنت لها بالدخول بصوت مكتوم لأنها كانت تضع مسافة شعرها في فمها وهي تحاول أن ترفع شعرها الأسود الطويل في تسريحة ذيل حصان .
ومن ثم دخلت أمها ونظرت لها مستغربة وقالت متسائلة :
- إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة . . . ؟

ردت عليها فريدة وهي ما زالت تنظر لنفسها في المرأة، ولا تضع من مساحيق التجميل شيئاً سوى الكحل الذي يبرز جمال عينيها العربيتين، ومن ثم قامت بإنزال غرة على جانبي وجهها العريض .

فريدة طويلة جداً وعريضة بعض الشيء ولكنها ذات جسد رياضي بالفعل، فريدة جميلة جداً كأنتى ولكن أحياناً تشعر بسبب تصرفاتها أنها للرجال أقرب، ومن ثم قالت لأمها:

-سوف أسافري يا وتين، ها أنا سوف أجهز حقيبة الظهر الخاصة بالسفر، مجرد رحلة لبضع أيام وسوف أعود مرة أخرى . . .

قطبت أمها حاجبيها وأعلنت رفضها وقالت:

-لا . . . لن تسافري مرة أخرى، ألا تذكرين آخر مرة سافرتِ بها جئتِ وساقك مكسورة . . . ألا تتعطين . . . !

-وتين، أرجوكِ ارحميني من نبرك وفالك السيء ذاك، أنتِ تعلمين أنني سافرت عدة مرات ولم يصبني شيء، فأرجوكِ قدمي الخير كي أجده . . .
أصررت الأم وقالت بحزم:



-ولكن هذه المرة لا يوجد سفر، أنا رأيت رؤيا سيئة تخصك يا بنيتي، إن أصدقاءك لا يحبونك، وخاصة توماس، ذلك الشاب أنا غير مرتاحة له بتاتا، إنه سوف يؤذيك . . .

قالت فريدة وهي تضع ملابسها في الحقيبة الجيشية الكبيرة بسرعة بطريقة تفقر للأنوثة بعض الشيء:

-وتين، توقفي عن الثرثرة! ها، أنا لست صغيرة، وأنا أخبرك لكي تعلمي أنني ذاهبة، لا من أجل أن آخذ الإذن، أنا كبيرة الآن وصاحبة قرار ومسؤولة عن صحيفة حياتي؛ فدعيني أأبسلها أو ألوثها كما أشاء، وهيا اجمعي لي كل ما لديك في الصينية على هيئة شطائر، ليس لدي وقت .

همت أمها بالخروج من الغرفة وهي تتمم:

-اصنعي شطائر بفسك يا حضرة الناضجة . . .

نظرت لها فريدة باستغراب وأردفت:

-كان بإمكانني أن أطلب من الروبوت تحضير الفطور ولكن ليس لدي وقت

للانتظار . . . ولكن شكرا يا وتين .

وقبل أن تخرج من الغرفة تماماً وقفت عند الباب وهي تنظر بتحدٍ لفريدة التي تنظر لها بلامبالاة:

ـ آه، ها أنا سوف أنزل حالاً وسوف أقول لوالدك، تصرفي أنتِ معه . . . لا أدري لم أنتِ متهورة هكذا، لقد أخذتِ من طباع صديقتي كثيراً . . . لا داعي لذكرها . . . ولكن عنادك لن ينفعلك يا فريدة، وأبوك سيكون في صفّي اليوم. ومن ثم همت أمها بالنزول على السلم ولم تكثر لابنتها، فقالت فريدة بصوت عالٍ: حسناً سوف أنصرف وأقنعه، اخرجي أنتِ منها ولا تزيد الشرارة بن أبسل يا زوجة أبي.

نزلت فريدة الدرج ومن ثم توجهت إلى حديقة بيتها، ها هي تتسحب بحفّة الفراشة التي تناسب مع رشاقة جسمها، ومن ثم تطوق أباها الجالس على كرسيه متطلعاً إلى كتاب في يديه، فقبلته من رقبته وهي تقول له في حماسة وهي تلف لكي تجلس على الكرسي الذي أمامه:

ـ صباح الخير على أحلى مراد في الكون.



فترك والدها الكتاب بجانب فنجان القهوة الذي انتهى من احتسائه، ومن ثم نزع نظارته وهو يتسم لها قائلاً وهو يهيم يامساك ككتا يديها:
- أهلاً بوردتي الفريدة.

في نفس اللحظة ابتسمت فريدة لوالدها ومن ثم نظرت إلى أمها وهي تخرج لها لسانها متحدية إياها وهي تقول لأبيها:
- مراد، أريدك أن تصارحني بشيء، هل حقاً هذه الساحرة الشريرة التي تقف عقبة في طريقي دائماً هي أمي... ؟

دافعت أمها عن نفسها وهي تنظر لزوجها وقالت:
- أقسم لك يا مراد هي من "تطلع عيني"، لقد غلبت منها حقاً.
حاول مراد أن يهدئ الوضع بين المبتلى بهما وقال:
- ريدا حبيبتي، إن أمك لا يوجد أحن من قلبها ولم ترفض لك طلباً قط، كل ما في الأمر أنها تخاف عليك بعض الشيء.

همت فريدة واقفة وهي تنظر لأبيها بعدما سمعت صوت بوق سيارة صديقتها إيفانا، وقالت لأبيها وهي تطبع قبلة على خده:

—مراد حبيبي، أنا مضطرة أن أخرج في رحلة مع أصدقائي . . .

ومن ثم حملت حقيبتها على ظهرها وأكملت كلامها في نفس الوقت:

—سوف أطمئنك عليّ من حين لآخر، لا تقلق . . .

ها هو صوتها ترفعه أكثر وأكثر إلى أن وصلت إلى بوابة البيت وهي تقول بلهفة

مؤشرة لكلا والديها:

—إلى اللقاء يا مراد، إلى اللقاء يا زوجة أبي، ولن أطمئنك عليّ، سوف أدع النار

تأكل قلبك . . .

ومن ثم ابتسمت وقالت لهما ضاحكة وهي تبعث لهما قبلة في الهواء:

—أحبكما كثيراً . . .

ومن ثم أغلقت الباب وراءها .

ها هي وتين تنظر لمراد متعجبة وهي تقول لمراد الذي لم يتوقف عن الابتسام وهو

يتذكر وحيدته:

—مراد، تلك البنت لا أدري لم تعاندني، أحياناً لا أشعر أنها ابنتي بل ضرتي، أقسم

لك .

قهقهه مراد قائلاً وهو يمسك يدها:

-إنها وحيدتنا ودلوعتنا، فلتفعل ما تشاء . . .

ومن ثم ملامح الخوف بدأت ترسم على وجهها وهي تقول:

-ولكن لم أتمكنها من الذهاب يا مراد، أنا قلقة عليها كثيراً، وأنا لا أثق أبداً في ذاك

الشاب توماس .

رُسمت ملامح جادة على وجه مراد وهو يقول لزوجته وهو يربت على كتليديها

برفق:

-أنتِ لا تثقين في توماس ولكني أثق كل الثقة في فريدة . . . وهيا بنا ندخل للبيت،

أشعر أنني متعب قليلاً، أريد أن أرتاح بعض الشيء قبل الذهاب للعمل في الجامعة .

ركبت فريدة سيارة الدفع الرباعي مع صديقتها إيفانا، وهما في طريقهما لأخذ كل

من إيما وتوماس .

وبمجرد أن وصلوا الغابة، قرروا أن يجتمعوا أمام البحيرة للصيد .

أخرجت فريدة عدة الصيد من سيارة إيفانا . . . فريدة عاشقة للصيد مثل أبيها

مراد، وفي تلك اللحظة تذكرت فريدة والدها وهي تهم بفتح باب حقيبة السيارة،

ورُسم على ثغرها شبح ابتسامة، ولكن فجأة شعرت أن هناك من يقترب منها،
تسمع أنفاسًا وتشعر بها تلمس رقبتها؛ فتصلبت مكانها تفكر لثوانٍ، ومن ثم
شعرت بشيء يلمس كتفها، فبحركة لا إرادية متأهبة للدفاع عن ذاتها التفت
مسرعة، ولكنها وجدت توماس الذي بدأ يضحك على ردة فعلها المبالغ فيها .
حاولت أن تلتقط أنفاسها بعدما لكمته بقوة على كتفه، ومن ثم ساعدها على حمل
معدات الصيد وهو يحاول أن يلفظ الأجواء لأن فريدة شعرت بالضيق من مزحته:
-ديدا، أنا آسف، كنت أمزح معك، أرجوك لا تجعلني الوضع هكذا ونحن ما زلنا في
بداية الرحلة .

لم تنظر له فريدة وأخذت تمشي وهي متجهة للبحيرة وقالت بلا مبالاة بنظرة كلها
كبرياء:

-لم يحدث شيء، ولكنك تعلم جيدًا أنا لا أحب المزاح.
وضع توماس أدوات الصيد بجانب الكراسي الموجودة أمام البحيرة، ومن ثم ذهب
وترك فريدة تتأمل في البحيرة في هدوء كي تسترخي قليلًا . . . ومن ثم رأت يدًا تمتد
لها بزجاجة ييرة من توماس، فنظرت له بحدة:

ـقلت لك أنا لا أشرب هذه الأشياء . . .

من ثم همّ توماس بجرح القليل من زجاجته وغمغم:

ـلا تكوني هكذا يا فريدة، نحن في رحلة، ونحن لا نشرب دائماً، نحن نادراً ما نفعل

ذلك، اليوم يمكننا أن نشرب بينما في الغد لن نشرب لأننا سنقوم برحلة التسلق .

ردت عليه فريدة في حزم:

ـقلت لك لن أشرب، لا اليوم ولا أي يوم . . .

ومن ثم همّت واقفة وتركته خلفها وهي تنادي على إيفانا بصوت عالٍ وتؤشر لها

بيدها قائلة:

ـاخرجي لي زجاجة عصير برتقال . . .

ولم تكمل كلامها إلا ووجدت إيما قادمة تجاهها وهي تنظر لها بحقد، ولكن فريدة لم

تقابل نظرتها إلا بلامبالاة، ولكن إيما استمرت بالتقرب منها إلى أن وقفت بجوار

توماس وتأبطت ذراعه وهي تنظر لها، لم تكثر لها فريدة وتركت لها المكان

واتجهت للجلوس مع إيفانا .

جلست مع إيفانا بجوار النار وها هي إيفانا تهمس لها وتقول بهمس:

-انظري إلى إيمان كيف تنظر إليك، هي تقف مع توماس ولكن عيونها عليك، إنها تغار منك حقاً .

ألقت فريدة نظرة سريعة ومن ثم نظرت لإيمان بلا اكتراث وقالت وهي تشرب عصير البرتقال بطريقة رجولية بعض الشيء :

-دعك منها، أنا لا أشغل بالي بحماقة البنات والغيرة وما إلى ذلك، كل ذلك مجرد تفاهات .

بينما على البحيرة ها هو صوت إيمان بدأ يعلو بعض الشيء وهي تشاجر مع توماس وتقول له:

لِمَ لا تتوقف عن ملاحقة تلك الفتاة؟ قل لي ما بها يعجبك، إنها أشبه بالرجال يا أحمق . . .

اشتد غضب توماس وقال لها وهو يضغط على أسنانه:

-لا تنفوهي بوصف مشين لفريدة، وتوقفي عن غيرتك تلك، إنها مجرد صديقة ولا أرغب أن تكون بمفردها؛ لذا كنت أرغب بمشاركتها اللحظة لا أكثر .

وتبقى المرأة امرأة في شدة غيرتها حتى ولو كانت أجنبية، ففكرة أن يجن جنون المرأة بسبب الغيرة لا ينبع بسبب ما إذا كانت الفتاة قليلة الجمال، فقد تكون فتاة جميلة جداً والغيرة تهزها بسهولة؛ فسبب الغيرة الأول هو الثقة بالنفس المهزوزة.

فإذا كانت المرأة أوحى الرجل يثق بنفسه جيداً لن يفعلوا المشاكل بسبب الغيرة.

ها هي إيما تقترب من توماس وتلمس وجهه الأملس برفق وهي تنظر له بجنون قائلة:

—أنا آسفة يا توماس، ولكن لا أريدك أن تهتم بغيري قط، أريدك لي أنا فقط.

ومن ثم همت لمعانقه ولكنه دفعها برفق وهو يقول لها وهو يتجه تجاه إيفانا وفريدة:

—ولكن بغيرتك تلك تدمرين ما بيننا، لأنك لا تثقين بي . . .

ومن ثم تحرك، وها هي تمشي خلفه تحاول أن تمسك ذراعه، ولكنه يمسك يدها مع ملامح خالية من أي مشاعر على وجهه وقال:

—أرجوك أنهي الحديث عند هذا الحد، نحن هنا في رحلة ليس لمناقشة أمور في علاقتنا، دعينا نستمتع وكفى.

بمجرد أن اقتربا، همت فريدة بالنهوض وهي تقوم بإزالة ما علق في ملابسها، ومن ثم أمسك توماس بيدها وسألها بلهفة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة؟ اجلسي أكلمي مشروبك . . .

ولكنه لم يكمل حديثه لأن فريدة نظرت له نظرة بسبب أنه ممسك بذراعها؛ تلك النظرة كانت كهيئة أن تخرجه وألا يكمل كلامه، ولكنها بمجرد أن رأت ملامح الإحراج ترتسم على وجهه تماكنت الموقف وقالت وهي تهم بالحراك:

-الغروب قد أوشك وأنا أحب الصيد في ذلك الوقت، أريد سمكاً على العشاء، هذا كل ما في الأمر .

نظر توماس لإيفانا وهو يهم بأخذ كرسي إضافي لكي يذهبوا جميعاً للبحيرة للتأمل وللصيد في هدوء . . .

كان توماس يختلس النظر من حين لآخر لفريدة، وإيما لاحظت هذا والغيرة صارت مثل النار التي تلتهم قلبها .

ها هي إيما تفكر في قرارة نفسها:

-ما يعجبه في تلك السمراء العربية، أنا أجمل منها، إني بيضاء ووجنتاي قد صبغت بالحمرة وشعري ناعم وأشقر، لا أدري لمَ توماس ذوقه سيء إلى هذا الحد، كيف يجذب لفناة تفقر للأثوة، ولم يعد منجذباً لي أنا .

ولكن فجأة انقطع شرودها عندما سمعت صوت توماس يضحك مهللاً لأنه أمسك بسمكة، وها هو وقف كي يقوم بسحبها وهو يتقاخر بذاته، السمكة كانت كبيرة حقاً . . .

مر الوقت وها هي صنارة فريدة تغمز بأن هناك سمكة قد أمسكت بالطعم، فسحبت الصنارة في اتران كما علمها أبوها، ولكن السمكة كانت متوسطة الحجم . . .

وها هي الشمس بدأت في الغروب، كم تعشق فريدة ذلك المشهد، ولكنها تنفر بشدة من الليل الذي يقوم بإنهاء هذا العرض المسرحي الرائع بإسدال تلك الستارة الكالحة؛ معلناً نهاية الاستمتاع والانسجام وبدء الكتابة والظلمة والخوف والرغبة بعد الراحة والاسترخاء .

آه من هذه الدنيا، لم جمالها لا يدوم . . . ! أعلم أن قبح الدنيا سيء للغاية ويهيب قلوبنا أو يؤلمها، ولكن لولا وجود ظلمة الليل لما عشقنا راحة النهار، ولولا خوفنا من الليل لما انتظرنا النهار لكي نشعر بأمانه . . . آه كفى ثرثرة، هيا سوف أكمل لكم ما حدث .

ها هما إيفانا وتوماس هما بأخذ أدوات الصيد وجمعها من جديد ووضعها في السيارة، وفريدة أخذت السمكتين وبدأت بإعدادهما للشوي على النار، وإيما لا تفعل شيئاً سوى أنها تحمق بها لا أكثر ولا أقل، إلى أن جاء إيفانا وتوماس، ومن ثم تناولوا السمك واستمتعوا ببرودة الجو ودفء النار، إنه مزيج متناقض ولكنه جميل، ما أروع تناقض الطبيعة، فسبحان ربي!

ومن ثم اقترح عليهم توماس أن يجلب لهم المراتب القابلة للنفخ من داخل الخيمتين كي يناموا في العراء تحت النجوم؛ النجوم حينها كانت متألئة والقمر كان مكتملاً، لذا وافقوا . . .

ولكنه وهو بداخل خيمته فتح حقيبته وأخرج كيساً وأخذه في جيبه، ومن ثم خرج لهم وكل منهم أخذ مرتبته منه وقام بفرشها أرضاً . . .

كانوا يتحدثون سويًا ويضحكون، ولكن من حين لآخر يرون خاتم فريدة يومض بشعاعه الزمردى ويقوم بالاهتزاز معلناً أن هناك اتصالاً قادمًا؛ كانت أمها قلقة عليها كالعادة، ومن ثم قالت لها إيفانا:

—رُدِّي على أمك يا فريدة . . .

ردت فريدة في ضجر:

-لأن أرد، إذا قمت بالرد سوف تسأل الكثير من الأسئلة وتوترني من كثرة قلقها عليّ . . .

ومن ثم قال توماس:

-لم لا تقومي بغلق إمكانية الاتصال وترجي عقلت . . .

-لا أستطيع أن أفعل ذلك، إذا فعلت ذلك سيزيد قلقها علي أكثر . . .

من ثم قاطعتها إيما بتهكم:

-أمك ما زالت تعتبركِ طفلة . . .

قاطعتها توماس بجدة:

-توقفي يا إيما عن طريقك تلك . . .

حاولت إيما أن تغير مجرى الحديث ومن ثم قالت لهم بلهفة وهي ممددة وتوشر

للسماء:

-انظروا يا رفاق، إنه شهاب، فليتمن كل منا أمنية . . .

قالت إيما بصوت حان وهي تمسك يد توماس:

—أتمنى أن أكون مع توماس لآخر يوم في حياتي.

ومن ثم همّ توماس وجلس معتدلاً بعدما همّ من رقدته وقال:

—أتمنى أن نظل أصدقاء إلى الأبد يا رفاق . . .

ومن ثم نظر إلى إيفانا وقال لها بحماسة:

—وما هي أمنيّتك يا إيفانا . . . ؟

—أنا لذي الكثير من الأمانى ولن أفصح عنها لأنني أرغب في تحقيقها . . . ألم تسمع

أنك إذا قلت ما تنوي فعله أو ما تتمناه لأحد لا يحدث ولا يتم أبداً . . .

—آه، إن أفكارك صارت تشبه تفكير فريدة إلى حد كبير . . .

ومن ثم نقل مجرى الحديث إلى فريدة وسألها نفس السؤال، ولكن فريدة كانت شاردة

الذهن، فاقت على وخزة إيفانا وهي تقول لها بدهشة:

—ما بك اليوم يا فريدة، إنكِ شاردة طوال اليوم، ما الذي يشغل بالك، أنتِ لستِ معنا

بتاتاً .

تنفست فريدة الصعداء وقالت بهدوء تام:

—لا أدري يا إيفانا، ولكن راودني كابوس هذا الصباح . . .

قاطعتها إيفانا وقالت لها:

-دعك منه، أنتِ قلتِ ما هو إلا مجرد كابوس، هيا قولي ما أمنيتك . . . ؟

ردت فريدة بلا اكتراث:

-أنتِ تعلمين يا إيفانا أنا لأحب التمني ولأن أطلب شيئاً، أنا أحقق وأنفذ ما أريد
وما أستطيع فعله . . . لأحب أن أنظر لما لا أستطيع الحصول عليه .

استمر الحديث يدور بينهم واحد تلو الآخر . . .

ولكن فجأة همّ توماس وهو يتحدث معهم، قام بإخراج ذلك الكيس الذي كان
يحتوي على سجائر ولكنها لم تكن سجائر عادية بل بها مخدرات .

قام بإشعال سيجارة ومن ثم رآته إيما فابتسمت قائلة:

-ها هي رحلتنا قد بدأت للتو .

نظرت إيفانا متعجبة متسائلة:

-منذ متى وأنتِ تتعاطى مخدرات ؟ أنا أعلم أنك صرت مدخناً فقط، لم أدرك أن
الوضع ازداد معك إلى هذا الحد . . .

رد عليها بعدما نفث دخان السيجارة:

- لا أتعاطى مخدرات، أنا أشرب من حين لآخر سجائر الماريجوانا، لا تكبري

الموضوع يا إيفانا ولا تصيري مثل فريدة . . .

من ثم همّت إيفا بأخذ السيجارة من يده وبدأت في سحب أنفاس منها في

انتشاء . . .

ومن ثم قام بإشعال سيجارة أخرى وسحب نفساً منها في انتشاء، فقامت إيفانا من

رقدها واعدلت وهي تنظر له بحماس معلنة الرغبة في أن تجرب فقط . . . ومدت

يدها لأخذ السيجارة من توماس، ولكن فجأة منعتها فريدة وهي تمسكها من يدها

وتقول لها في حدة:

- إيفانا . . . توقفي، لا تفعلي ذلك . . .

ترددت إيفانا وقالت لتوماس:

- لا، لا أريد أن أجرب، أعلم أن شرب الماريجوانا يشتت التركيز . . .

قال لها توماس كي يقنعها:

- كهي عن هذه الترهات، أنتِ لن تقومي بدخين الكثير، أنتِ فقط سوف

تجربين . . .

ها هي إيفانا تحمست للفكرة ولم تنظر لفريدة ومن ثم سحبت أول نفس، ولكنها لم تتوقف عن السعال، لأن هذه أول مرة تقوم بها بالتدخين .

عندما رأت فريدة أن إيفانا غير مهتمة لما قالته، قررت أن تهتم بالنهوض، حينها قالت لها إيفانا في لهفة وهي ممسكة بالسيجارة:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا فريدة . . . ؟

قالت لها فريدة ببالٍ شارد وهي تعطيها ظهرها متجهة للبحيرة:

-سوف أذهب لكي أمشي قليلاً، أحتاج أن أكون بمفردي .

ومن ثم نادى إيفانا عليها وهي تهتم بالنهوض:

-انتظري يا فريدة، أنا قادمة معكِ . . .

ولكن توماس قاطعها وقال لها وهو يتبع طيف فريدة الذي ذاب في ظلام الليل:

-دعها على راحتها يا إيفانا، فريدة ليست على ما يرام اليوم . . .

حينها شعرت إيما بضيق بسبب أنه تمسك بإيفانا، إنها كانت ترغب بشدة أن يكونا بمفردهما، ومن ثم شعرت إيفانا بالحزن وقالت له:

-خذ هذه السيجارة، أنا لأ أحب التدخين .

قال لها وهو لا يبالي:

-كما تريدن .

ومن ثم قالت إيفانا وهي ترتجف بعض الشيء:

-سوف آخذ مرتبتي وأدخل خيمتي يا رفاق، إن الجو يزداد برودة، أريد أن أرتاح، لا

تسهر كثيرا، سوف نبدأ رحلتنا في الغد مع شروق الشمس . . . تصبحا على

خير .

حينها ارتاحت إيما وقالت بابتسامة صفراء مصطنعة وهي تلتف لإيفانا التي

أوشكت على دخول خيمتها:

-تصبحين على خير يا إيفانا .

قامت إيفانا بإغلاق خيمتها عليها جيدا كي تقي نفسها برودة الجو . . .

إيما تأففت ومن ثم نظرت لتوماس:

-أوف، إنها ثقيلة الدم مثلها مثل صديقتها فريدة، لا أدري لم تخرج معهما . . . !

نظر لها توماس في ضجر:

-توقفي عن نقد صديقاتي، يجب أن تحترمي وتحبني من أحبهم . . .



ولكن قاطعت إيما كلامه وغضبه وهي تحاول الاقتراب منه بلين معلنة إنها هذا
الغضب بقبلة دافئة في هذا الجو الذي ازداد برودة، ولكن فجأة قطع هذا الصمت
صوت . . .

صوت إيفانا وهي تنادي عليهما بصوت عالٍ:

-هاااي يارفاق . . .

حينها ابتعد توماس عن إيما والتقت لإيفانا منتبهاً لها التي أكملت قائلة:

-لا تنسَ وضع المزيد من الحطب، آه، توماس، أرجو منك أن تضع أربع شعلات من
النار، شعلة في كل اتجاه، نحن لا ندرى ما يوجد بتلك الغابة . . .
قال لها توماس بحماسة:

-لا تقلقي، المكان أمان هنا . . .

قالت إيفانا وهي تهتم بغلق سحاب الخيمة:

-الاحتياط واجب . . . تصبح على خير .

ها هي إيما تنظر له، ولكنه كان شارد الذهن بعدما قام بإشعال سيجارة أخرى من
الماريجوانا ولا يعيرها انتباهاً، والصمت طال بينهما ومن ثم قررت الكلام:

-فيما تفكر يا توماس . . . ؟

استمر توماس في شروده وقال وهو يهز رأسه بلامبالاة:

-لا أفكر في شيء .

قالت له وهي تمسك يده:

-ألن نخلد للنوم . . . ؟

قال لها وهو ينفث دخان السيجارة تجاه السماء:

-اخلدي أنتِ إلى النوم وأنا سوف ألحق بك . . .

يُسْتِإيما من محاولاتها في التقرب من توماس الذي صار باله مشغولاً عنها لا بها . . . فقررت أن تنتظره قليلاً في الخيمة وإذا لم يأتِ سوف تخرج كي تطمئن عليه، ولكن تدخينها لتلك السيجارة وشربها لزجاجة البيرة جعل رأسها ثقيلًا جدًا فنامت بدون أن تشعر . . .

أكمل توماس سيجارته وصار شارد الذهن، وبدأ الحزن يخيم على عقله، شعور مؤلم عندما يشعر المرء أنه في حياة لا يرغب بها أو أن يكمل مع شريك غير مرتاح معه؛ عندما تستمر في علاقة صارت بها مشاعرك فاترة تشعر مع كل كلمة من



شريك حياتك بأنها قيد يُقيد كل أنحاء جسدك إلى أن يصل القيد إلى رقبتك، فحبّه صار يخنقك، الحب غير المتبادل أشبه بلعنة أو عذاب شديد عليك أن تهرب منه قبل أن ينهي عليك .

ها هو همّ كي يفتح صندوق المشروبات وأخذ منه زجاجة ييرة، وبدأ يشرب كي يتوقف عقله قليلاً عن التفكير في فريدة، ولكن أحياناً عندما نرغب في نسيان شيء تذكره بشدة، وعندما نهرب من شيء نجدّه يلتهث كي يلحق بنا، سحراً للدنيا ! دائماً ما تعطينا عكس ما نرغب به .

من ثم أخذته قدماه كي يمشي على شاطئ البحيرة، إلى أن وصل للمكان الذي به فريدة، كانت جالسة أسفل شجرة كبيرة أمام البحيرة في مكان بعيد عن موقع التخييم .

ولكن بمجرد أن صار أمامها، لم يتمالك نفسه واقرب منها وجلس بجوارها أسفل الشجرة وقال لها هامساً :

لَمْ تهربين مني يا فريدة . . . ؟

ردت عليه فريدة وهي تمسك بحجر وتهتم برميّه في البحيرة في تملل :

- لا تكبر الموضوع يا توماس، أنا لا أهرب منك ولا أهرب من شيء، لم أتعلم الهرب،
لقد نشأت على المواجهة فقط لا غير.

نظر لها توماس وهو يضع يده على وجهها موجها إياه صوبه كي تواجه عينه عيناها،
وسألها وعيناها تترقق بالدمع:

- ما بي لا يعجبك يا فريدة وأنا مستعد أن أغير من أجلك . . . !
أبعدت فريدة يده برفق وهمت واقفة كي لا تتأثر بنظرته وقالت:
- كل ما في الأمر أنك غير مناسب لي يا توماس . . .

همّ توماس واقفاً كذلك وسألها وهو يمسك بذراعها وبدأت عيونها تذرف الدمع:
- لم لا أنا سبك يا فريدة . . . ؟ أنا وأنت نشبه بعض في أشياء كثيرة، نفس الميول
حتى . . . كنت في بداية الأمر منجذبة لي . . . لم الآن صرت أشعر أنك
تكرهيني . . . ! ؟

- لم أنجذب إليك قط . . . أنت مجرد صديق لا أكثر ولا أقل . . .
قوى قبضته على ذراعها وقال لها بحدة اختلطت مع ألم قلبه ودموعه:
- أنت تكذبين يا فريدة، تكذبين، أنا رأيت حبك لي في عينك . . .

-توقفي عن وهم نفسك، واتركني أرحل .

-لأن أتركك . . . لن أتركك تضيعين من يدي، سوف تكونين لي بالرضا أو بالغضب .

-اتركني وشأني، أنت مرتبط الآن و . . .

-لم أحبها قط . . . أنا قررت أن أفعل ذلك كي أشعل غيرتك لا أكثر ولا أقل، لذا قررت أن أتقرب من أكثر شخصية تريد أن ترتبط بي، قررت أن آخذ حبها لصالحها كي تكوني لي .

-لا يهمني هذه الترهات، وباعترافك ذا سقطت من نظري أكثر، هذا يعني أنك شخص كاذب لأنك خدعت إيماء؛ أعلم أنها شخصية خبيثة ولكن لا تستحق أن تلعب بمشاعرها هكذا .

-أرجوك، دعك من إيماء، أرجوك لا تبعدي عني و . . .

وها هو بهم بالتقرب من فريدة ولكنها دفعته وهي تقول له بمجدة:

-ابتعد عني، أنا لم أفكر بك قط لأنك على غير ديني، والآن أنت زدت الأمور سوءاً بكونك مدمناً على شرب الخمر والتدخين، ابتعد عني، أنت صرت شخصية سيئة

ومخادعاً . . . من يخدع فتاة أخرى من أجلي، سوف يأتي وقت ويخدعني أنا
كذلك . . . لا أمان لك يا توماس .

من ثم همت بالرحيل، ولكنه لحق بخطوتها السريعة وقال لها:
- أنتِ السبب في تغيّري للأسوأ يا فريدة، أنتِ من جعلتني أهرب من واقعي الذي لا
أحبه بالإدمان، صرت أرغب في هروبي من واقعي الذي لا أحب بذهابي إلى عوالم
أخرى في خيالي .

نظرت له بغضب وقالت له مهددة إياه بسبابتها:
- أقسم لك يا توماس إن لم تتركني أرحل الآن سوف أنهي صداقتنا إلى الأبد . . .
ومن ثم همت بالرحيل عندما رأت أن توماس قد تصلب مكانه بعد سماع تهديدها،
ومن ثم تحولت عيناه إلى بركتي مياه وقد أوشكتنا على أن تفيضاً من كثرة مياههما،
قررت ألا تنظر لعينييه الرماديتين كي لا تتأثر بنظراته المتخاذلة، ومن ثم رحلت ولم
تكثرث لما جرى، كل ما تعلمه أن عليها أن تفعل الصواب وكفى، ولكن فجأة سمعت
صوت أوراق الشجر يأتي من خلفها، أي أن هناك أحداً يتبعها، وبمجرد أن التفت



وجدت زجاجة كُسرت على رأسها، كانت الزجاجة زجاجها سميك جداً مما سببت الضربة في فقدانها الوعي، ومن ثم . . .

فاقت ولكن لا تدري كم مر من الوقت على فقدانها الوعي، رأسها ما زال يدور ولكن فجأة صرخت بشدة عندما أدركت ما لحق بها وما زال يحدث . . .

ها هو توماس مثل الحيوان يفتريتها، مستغلاً فقدانها للوعي، ها هي تدفع هذا الحيوان عنها، ولكن قواه كانت تفوق قواها، تحاول دفعه ولكنه لم يتوقف قط عما يفعله، ولم تجد ما تدافع به عن نفسها سوى حفنة من التراب ألقتها في عينه؛ زلزلت اتزانها فقامت برميها من فوقها وهمت بأخذ ملابسها، كان هو قد همّ واقفاً ويحاول جاهداً أن يفتح عينه، في تلك اللحظة تمكنت من أخذ حجر، ها هي تهدده إن اقترب منها سوف تقوم بضربه . . . ولكنه لم يكثر لتهديدها؛ إن المخدرات أثرت على تفكيره، ولكن فريدة لم تتردد وقامت بضربه فسقط أرضاً .

ارتدت ملابسها وهي تجهش بالبكاء بعدما نظرت لفخذيها اللذين تلوثا بدم شرفها . . . تبكي بسبب ضعفها، تبكي لأنها كانت تظن نفسها قوية، كانت تظن

نفسها قوية مثل الرجال ولكنها أنثى، مهما كان أنها أنثى، وستظل ضعيفة مهما

يكن . . . ستظل مطمعا مهما حاولت صنع هالة القوة والرجولة حولها .

هرعت بعدما ارتدت ملابسها باكية صوب خيمتها، ولكن بمجرد ما أن اقتربت

لمكان التخيم، رأت إيفانا تلهث تجاهها .

نظرت لها إيفانا في دهشة وذعر وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها:

— ما بكِ يا فريدة لم تبكين . . . ؟

تعجبت إيفانا لأن فريدة لا تبكي أبداً وترفض الضعف . . . ولكن فريدة لم ترد

عليها وهي تشيح بنظرها بعيداً عنها وتمسح دمعها وهي تهم بالذهاب تجاه

خيمتها . . .

ولكن سرعان ما قطعت إيفانا تفكير نفسها بما جرى لفريدة وقالت لها بأسى:

— فريدة، أنا كنت نائمة ولكن فجأة شعرت أن خاتمي يهتز معلناً أن هناك من يتصل،

وكما تعلمين أنا أرد على أي اتصال يرد لها نفي . . . كان الرقم غريباً فقمتم بالرد

وأنا ناعسة ولكن الصوت الذي سمعته والخبر الذي نزل على مسامعي كان مثل

الصاعقة . . .

لم تكن فريدة ترد على إيفانا، هي تسمع لها ولكن عينيها ممتلئتان بالدمع، ولكنها بسبب كبريائها تكبل دمعها بالقيود كي لا يفروا منها أمام إيفانا وتعلن عن ضعفها . . . ولكن إيفانا أكملت لها بحزن:

-إن الاتصال كان من أمك يا فريدة، إنها تريدك ضروري . . .

كل هذا يسقط على مسامع فريدة ولا تحرك ساكناً، ومن ثم أردفت إيفانا بعدما حاولت أن تستجمع قواها مع التقاط أنفاسها:

-إن أباك في وضع حرج في مستشفى . . .

لم تكمل إيفانا كلامها إلا ونظرت فريدة لها بصدمة، ومن ثم هرعت وهي تبكي مثل الطفلة التي تريد أن تهرب من الكون كله، الظالم أهله، إلى مصدر الأمان لها وملاذها؛ ألا وهو أبوها .

ها هي تهيم بسرعة بدخول خيمتها وتأخذ مفتاح سيارة إيفانا وتهيم بالرحيل، هرعت إيفانا خلفها وقالت لها وهي تشاركها البكاء؛ كانت إيفانا حساسة جداً، وما يسعد فريدة يسعد ما يحزن قلب فريدة يؤلم قلبها أضعافاً مضاعفة، كانت إيفانا أختاً لها لا مجرد صديقة فقط:

—سوف آتي معكِ يا فريدة، لن أترككِ وحدكِ...—

صارت تبكي بحرقة وهي تتبع خطى فريدة تجاه السيارة، كانت فريدة لا تسمع ولا ترى أحداً أمامها وهمت بفتح باب السيارة كي تقودها، ولكن إيفانا منعتها وسحبها من يدها، ولكن فريدة لا تستجيب لصوتها وتبكي في هستيريا وهي تحاول أن تدخل السيارة، ولكن إيفانا سحبها بقوة وضربها كفاً على وجهها كي تسمع لها؛ فنظرت لها فريدة بشرود وقد احمرت عيناها بشدة وسمعت ما قالته لها إيفانا:

—لن أدعكِ تعودين بمفردكِ، أنا سوف أقود السيارة، إذا قمتِ بالقيادة سوف تقومين بجاذب، أنتِ غير واعية يا فريدة...—

بعد الكف صارت فريدة في حالة شرود، عيناها تستمران في الانهماك بالكثير من الدموع معلنة بدء العاصفة...

صار جسدها مرخياً، وها هي إيفانا تجلسها على المقعد الآخر وبدأت القيادة تجاه المستشفى، وطوال الطريق فريدة لا تحرك ساكناً ولكنها لا تتوقف عن البكاء...

لم تختبر إيفانا وضع القيادة الذاتي في السيارة لأنه يتحكم في مستوى السرعة الذي يشكل الأمان، بينما هي اعتمدت على القيادة بأعلى سرعة كي يصل إلى المستشفى.

ها هما قد وصلتا المستشفى، وبمجرد أن وصلت فريدة استعادت رشدها وسألت عن اسم أبيها، من ثم هرعت تبحث بين الغرف عن رقم غرفة أبيها إلى أن وصلت، وقامت بفتح الباب بسرعة، ولكنها ترى الممرضات يقمن بفصل الأجهزة عنه، تنظر إليهن متسائلة رافضة الواقع:

— أنتن تقمن بإزالة الأجهزة لأن أبي صار بجير أليس كذلك . . . ؟
ولكن الممرضات لم يقمن بالرد عليها وأكملن عملهن، فنظرت لأمها الباكية وسألتها بهدوء:

— وتين، توقفي عن البكاء، مراد بجير . . .

اقتربت من الطبيب وقالت له والد موع تنهمر من عينها:

— قل لها يا طبيب إن أبي بجير، قل لها أن توقف عن البكاء .

نظر لها الطبيب وقال لها بأسى وهو ينظر أرضاً:

-إن أباك قد توفي . . .

أمسكت به فريدة من معطفه بقوة وقالت له بغضب صارخة:

-لا تقل ذلك، أنت طبيب لا تفهم، ولا تعلم كيف تقوم بعملك على أكمل وجه، أنا

والدي طبيب ولدي خلفية طبية سأريك ما سأفعل له . . .

تكمل كلامها وهي تقترب من أبيها وهي تبكي في هستيريا:

-هيا يا أبي افتح عينك، هيا يا مراد أرجوك لا تتركني .

ها هي تقوم بالضغط بكلتا يديها على قلب أبيها وتقول له صارخة:

-لا أستطيع أن أعيش في هذا العالم من دونك يا مراد، أرجوك أفاق . . .

المرضات يحاولن سحبها وإبعادها، ولكنها صارت تدفعهن صارخة وتقول:

-أيها الأغبياء قوموا بتشغيل جهاز صدمات القلب، هيا أعيدوا أبي للحياة

حالا . . .

دفعت الممرضات عنها ومن ثم خارت قواها وفقدت الوعي .

استيقظت فوجدت نفسها معلقاً لها محاليل، بمجرد أن فاقت حاولت أن تفهم لم
هي في المستشفى، ومن ثم بدأت تذكر ما حدث، ولكنها كانت تقول في قرارة
نفسها:

-أتمنى أن يكون كل ما مررت به طوال هذا اليوم مجرد كابوس، يا رب يكون كابوس .
دخلت أمها الغرفة عليها وأمسكت يدها وهي تبكي وتمسح بيدها على شعرها،
ولكن فريدة كانت تشيح بنظرها عن عيني أمها .
كانت أمها تبكي لفراق زوجها، ولكن كانت تبكي أكثر على ابنتها المتعلقة بشدة
بأبيها .

ها هي وتين ترتب إجراءات نقل الجثمان إلى مصر، واستعدتا للسفر لمصر، كانت
هذه المرة تزور فيها فريدة مصر، ولكن جسدها فقط هو الذي سافر، ولكن عقلها
ظل في لندن يجوب أرجاء البيت مع ذكرياتها هي ووالدها . . .
مرت الشهور وفريدة في غرفتها في فيلتهم في السادس من أكتوبر في مصر، لا تتحدث
مع أحد، ولم تعد للندن لكي تكمل عامها الدراسي .
قدرت أمها سوء حالتها، وخسرانها لمن كان لها كل شيء .

ولكن في شهر أغسطس من عام 2038، أي بعد مرور عام وخمسة أشهر على تلك الصدمة الكبرى بفقدائها أيها، وتلك الصدمة الأخرى بفقدائها شرفها وإثبات ضعفها .

حاولت خلال تلك الفترة أن تتعافى من كلتا الصدمتين ولكن أثرهما كان عميقاً جداً، قررت الانتحار ولكنها خافت من عقاب الرب .

صارت أمها تشعر بوحدة حياتها، صارت فجأة شاحبة بغياب حبيبها وشريك حياتها مراد، وبفقدائها شغف وسعادة ابنتها . . . كم كانت تحب نقاشها هي وابنتها وتشاجرهما سوياً . . . يقولون إن الشخص الذي تحب أن تتشاجر معه كثيراً هذا يعني أنك تحبه بشدة .

يد شاب تحمل سكيناً، وها هي اليد تقترب من فتاة لا نرى من ملامحها شيئاً، لا نرى سوى ظهرها وشعرها الأسود متوسط الطول، وها هي اليد تقترب أكثر وأكثر، إلى أن التفت الفتاة مسرعة ولكن شعرها يخفي ملامحها؛ التفت عندما شعرت

بأنفاس أحد خلفها ومن ثم طعننها اليد في ظهرها وسقطت أرضاً غارقة في دمها

و . . .

-فريدة . . . استيقظي يا فريدة .

قامت فريدة فرعة من نومها . . . بدأت أمها تهدئ من روعها . . . وسألتها ما بها

فقال لها فريدة:

-كابوس يا وتين . . . كابوس يتكرر معي كثيراً هو عبارة عن . . .

قاطعتها أمها وقالت لها وهي تمسح على شعرها لتهدئها:

-لا يا حبيبتي، لا تذكرى الأحلام السيئة أو الكوابيس، فقط اتقلي على يسارك

ثلاث مرات واستعيزي من الشيطان ومن شر هذه الرؤيا .

ظلت فريدة شاردة بعض الشيء ومن ثم تغاضت عن التفكير .

بعد قليل من الوقت وقفت فريدة في شرفة غرفتها، تحاول أن تنسم الهواء كي

يدخل ويزيل عن روحها غبار الحزن والكآبة .

قطعت أمها شرودها عندما دخلت وأحضرت لها كوباً من القهوة وكيكاً كي

تناوله .

جلستا سوياً تستمتعان بشمس مصر الدافئة التي تفقر لها لندن الباردة الغائمة

الكئيبة، ومن ثم قالت لها أمها وهي تنظر لها برفق:

—حبيبتي فريدة، ما رأيك في مصر...؟

تنهدت فريدة وهي شاردة الذهن في السماء الصافية وقالت وهي تنفس بهدوء:

—إنها جميلة حقاً بالرغم أنني لم أر شيئاً منها سوى هذا الطريق الذي أراه من شرفتي،

ولكن جوها يبعث الدفء داخل الروح.

—ما رأيك بالاستقرار هنا...؟

نظرت لها فريدة باستغراب وسألتها:

—هنا أين...؟

—في مصر يا فريدة، أنا كنت أرغب بشدة بالعودة والاستقرار في مصر ولكن

مراد...

ومن ثم لم تكمل الكلام لأنها لا تريد أن تبعث الحزن بداخل فريدة بذكر أبيها.

نظرت لها فريدة وقالت لها:

—أكملي، ولكن أبي... ماذا...؟

ابتلعت وتين ريقها وقالت لها مجزن لحيء طيف ذكرى مراد في بالها:

-لأن مراد كان ينتظر أن تكلمي دراستك الثانوية والجامعة وتصيري طبيبة مثله
ومن ثم يأتي ويستقر هنا، كما تعلمين أن المتغرب مصيره في يوم يعود لوطنه مهما طال
غيا به .

-يعني هذا كان هدف مراد . . . !

أومات أمها برأسها "أي نعم"، فقالت لها فريدة وهي تحاول أن تتمالك أعصابها وألا
تبكي، ومن ثم رسمت شبح ابتسامة لأمها وقالت:
-وأنا سوف أحقق مراد أبي، ولن أخذه أبداً .

ابتسمت لها أمها ابتسامة تقاوم العبوس والبكاء، ومن ثم قاطعتها فريدة وهي تهم
بدغدغتها:

-توقفي عن البكاء أيتها البومة الكئيبة، لا أدري لمَ من بين الأمهات أنتِ أُمي . . . ؟
حينها مسحت وتين دموعها وهي تبسم وهي تهم بالوقوف وتقول:
-آه وأخيراً قد عادت ابنتي المشاغبة من جديد .

أخذت فريدة فنجان القهوة وقطعة الكيك ووضعتهما على سور الشرفة وسألت

أمها وهي تهم بتناول الكيك:

—وتين، هل مراد كان يحب مصر...؟

تنهدت أمها وهي تقترب منها وسرحت في السماء وقالت بلهفة:

ومن في الكون لا يعشق مصر...!

قاطعتها فريدة بعدما قامت ببلع الكيك بسرعة وقالت بعناد:

—لم أسألك عن الكون كله، أنا أسألك عن مراد، لأحب تغيير دفعة الحديث، ها!

تنهدت وتين وهي تنظر بغضب يتخلله السعادة لابنتها:

—آه يا ربي، أنت خلقت كي تعانديني وكفى، اسمعيني جيداً يا ذات اللسان

الطويل... مراد كان يعشق مصر ويجب كل ما بها، ولكن اضطر للسفر لكي يحقق

ذاته ليس هرباً منها أو كرهاً فيها كما يفعل قليل الأصل... ولكن كان هناك دافع

آخر للسفر هو أن ذاك البيت...

قاطعتها فريدة بصوت مكتوم وهي ترتشف من فنجان قهوتها وطلبت من أمها

بلهفة:

-أريد أن أذهب للأماكن التي كان يحبها مراد قبل أن أسافر .

نظرت لها أمها بسعادة على تغير حال ابنتها للأفضل وخروجها من قوقعة الحزن أخيراً، وأردفت لها بنظرة مليئة بحنو الأمومة:

-كان يحب القاهرة بكل ما فيها من مناطق أثرية أو متحفرة، وكان يحب سيناء بكل ما فيها بلا استثناء، والأقصر وأسوان .

نظرت لها فريدة ببلاهة ومن ثم غمغمت:

-لا أدري شيئاً عن كل هذا، دعينا نبدأ من أي مكان ولكن المهم أن نزورهم كلهم خلال هذا الشهر .

وبالفعل بدأت رحلاتهما . . . وبدأت فريدة تشعر بالقرب أكثر من أمها، كانت دائماً لا تشعر بأنها بحاجة إلى حنان الأم، لأن حب الأب يكفيها، ولكن بعد فقدتها لأبيها ها هي تحتاج لحنو أمها الذي تبحث بين ثناياه على حب أبيها، وقررت أن تحب أمها بشدة، يكفي أن أباه كان يهيم بها حباً وعشقا .

مرت الأيام وقررت فريدة السفر إلى لندن والعودة إلى مصر في العطلات فقط، ولكن أثناء وجود فريدة مع أمها في المطار سألت أمها السؤال الذي لم تتجرأ على معرفة إجابته كل هذه الفترة:

-أمي، لم مات أبي...؟

-مات أبوك بسبب كثرة الإجهاد... لم يكن مراد يفكر في راحته... كان دائماً يفكر في غيره ونفع غيره وكفى... كان يومها يشعر بالإجهاد، طلبت منه أن يرتاح ولكنه أصر أن يذهب لعمله في الجامعة.

ويبدو أن الإجهاد قد ألم بقلبه بشدة ووصل لحالة لم يتم إسعافها ورحل بسلام كما كان يعيش بسلام.

رُسمت ملامح الأسى على وجه كليهما وهمهما:

-عليه رحمة الله.

من ثم جال في خاطر فريدة سؤال كي تغير مجرى الحديث كي لا تستسلما للحزن:

-أمي، لم تؤمنين بالأحلام...؟ ولم تعيرينها انتباهك...؟

-لأنها حق يا بنتي، وكل ما أحلم به يقع.

—ولكن في مرة قلت لي أن توماس سوف يؤذيني .

—نعم، أنا غير مرتاحة لهذا الشاب، ابتعدي عنه عند رجوعك لندن .

—ولكن هذا الحلم كان منذ مدة طويلة لم أحذر منه . . . ؟

—ابتعدي عنه لأنه سوف يلحق بك أذى كبير . . . يعني إن لم يلحق بك أذى عندما

حذرتك منه هذا ليس معناه أنه لن يؤذيك، ولكن موعد تحقيق الرؤيا لم يأت بعد ،

فانتبهي .

غمغمت فريدة في قرارة نفسها وقالت :

—لقد وقعت الرؤيا ولحق بي الأذى، وأنا كنت أظن أن الأحلام ما هي إلا تخاريف

من العقل الباطن .

فتاة ترتدي عباءة سوداء على كنفها وشاح أصفر وشعرها أسود متوسط الطول

تقف شاردة، تقترب منها فريدة كي تفهم ما بها، لم هي واقفة بمفردها . . ؟

ولكن سرعان ما بدأت بطنها بالنزف ومن ثم سقطت أرضاً فبرز السكين المطعون

به في ظهرها . . .

صُعقت فريدة من هول المشهد . . . حاولت أن تقترب من الفتاة كي تتأكد أنها ما

زالت على قيد الحياة أم لا قبل أن تطلب المساعدة . . .

ولكن سرعان ما تحولت نظرة الفتاة من ساكنة هادئة إلى نظرة كلها شر وتوعد ،

وقالت والدم يخرج من عينيها ومن شدقيها:

-ابتعدي عن هنا . . . لا تعودي إلى مصر من جديد . . . ابتعدي .

فتحت فريدة عينيها على صوت اسم الطائرة للرحلة القادمة .

كانت فريدة متعبة بعض الشيء فقررت أن تنام قليلاً قبل موعد طائرتها . . .

نظرت لها أمها وقالت لها بلهفة:

-كنت سوف أوقظك الآن . . .

لم تهتم لما تقوله أمها وهمت بمعانقتها وهي تشعر بأمان وراحة من بعد هذا

الكابوس، ولكن سرعان ما بدأت تسمع همهمات أمها . . . فقالت لها فريدة:

-لا تقلقي عليّ، إن احتجت لي في أي وقت سوف تجديني بين يديك في خلال

ساعة . . .



أوه، الرحلة في عام 2038 تحتاج ساعة ونحن الآن نحتاج أكثر من خمس ساعات،
بالفعل إن التقدم سوف يوفر لنا الكثير من الوقت، ولكن علينا أن نستغل هذا الوقت
الذي قمنا بتوفيره فيما هو مفيد وليس لإضاعته هباءً.

الفصل الثالث

الاختراع

عادت فريدة إلى لندن وكان رفيقها توماس وإيفانا في انتظارها، لم تكن تتوقع أن ترى توماس بعد فعلته تلك، لقد كانت على استعداد أن ترى إيفانا التي اتصلت بها بعد غياب طويل وأخبرتها بموعد وصولها .

عندما رأت توماس، ارتسمت ملامح الغضب على وجه فريدة وقالت لإيفانا:

-لم أكن أظن أنك ستفعلين ذلك، قلت لك لا تخبري أحداً .

وهمت فريدة غاضبة، وهرعت خلفها إيفانا موضحة:

-توقفي عن عصبيتك تلك واسمعي يا . . .

قاطعها توماس وقال لها:

-دعيني أنا أوضح لها . . .

لم تلتفت فريدة وخرجت مسرعة من المطار، هرع خلفها توماس وقال لها وهو

يمسكها لاهثاً محاولاً التقاط أنفاسه:

-هل يمكن أن تعطيني من وقتك دقيقة؟ أقسم لك دقيقة واحدة فقط .



-ولا حتى ثانية، لا أريد أن أرى وجهك .

-صدقيني، دقيقة واحدة ولن تري وجهي مرة أخرى .

وافقت فريدة على مقابله ولكنها كانت تقف بجانبه، أي لا تريد أن تقابل عيناها عينية أبداً؛ لأنها عندما تنظر له تشعر بالبغض ورغبة في الانتقام على ما فعله، ولكن سرعان ما قطع توماس شرودها بالتقاته أمامها ونزوله على ركبتيه معتذراً متأسفاً لها باكياً:

-فريدة، أرجوك أعطيني فرصة أخرى لأثبت لك صدق نيتي، أنا أحبك ولم أكن أقصد أن أؤذيك، أقسم لك أنني لم أكن بوعي .

ولكن فريدة لم تكن تنظر له، وها هي الدموع بدأت تتلأل في عينيها، لكنها رفعت رأسها في كبرياء كي تمنع دموعها من النزول؛ لأنها تشعر أنها إن بكت حزناً على ضعفها، ستسقط كرامتها معها .

وها هي لم تتمالك نفسها عند سماع صوت توماس الباكي النادم، وهمت بسحب حقيبتها تاركة إياه، ولكن توماس سرعان ما وقف ممسكاً بيدها ووقف أمامها وقال لها وهو يمسح دموعه محاولاً التماسك:

-فريدة، أقسم لك أن تصدقي أنني لم أكن مدرِّكاً لما حدث، أنا استيقظت في اليوم التالي بجوار البحيرة، ومن أيقظتني كانت "إيما"، جاءت لي وكانت مندهشة من وضعي هكذا عارياً تماماً، عندما أفقت لم أكن أدري ما سبب وجودي هنا، ولكن سرعان ما بدأت أتذكر ما حدث في ذلك الوقت؛ كانت إيما لا تتوقف عن التساؤل ولكني لم أكن أرد لأني صرت نادماً على ما فعلته معكِ يا فريدة، وفي ذات اليوم قررت الانفصال عن إيما و... .

قاطعه فريدة في عصبية وعيناها تترقق بالدمع وقالت:

-مهما قلت لن أغفر لك أبداً ما سببته لي من ألم خلال كل هذه الفترة، أرجوك لا تظهر أمامي مرة أخرى، أريد أن أتعافى مما حدث وألا أتذكره مرة أخرى .
صار توماس يتبعها ويقول لها معذراً:

-أنا آسف يا فريدة، كنت أنتظر اليوم الذي أراك فيه كي أعذر لك، وكنت أتمنى أن تعطيني فرصة أخرى كي أكون معكِ، لأنكِ لو قبلتِ اعتذاري هذا يعني أن لي فرصة أخرى للحياة، ولكن إن لم تقبلي اعتذاري فهذا يعني أنني لن أستطيع أن أعيش في عذاب نفسي أكثر من ذلك على ما فعلته بك وما سببته لك من ألم... . أرجوك لا

تكرهيني . . . وتذكري لي أي ذكرى كانت جميلة بيننا في يوم . . . لا تهربي مني ثانية يا فريدة . . . لأنني سوف أرحل .

ومن ثم ضغط على حذائه وطار عاليًا .

التقت فريدة فرأت إيفانا تقف بعيدًا تتأمل الموقف، ولكن بمجرد أن رأت فريدة لم تحرك ساكنًا، نظرت بحزن إلى فريدة وضغطت على حذائها وطارت كي تلحق بتوماس . . .

ها هو توماس يقف فوق مبنى عالٍ جدًا، وإيفانا تنظر له وتبكي كي تمنعه من ترك جدار المبنى، ثم أردفت:

-توماس، توقف أرجوك، لا تفعل ذلك، أنا أعلم أن فريدة سوف تسألك، لا تصدق صلابتها، إنها تحتاج إلى بعض الوقت، أرجوك لا تيأس وتستسلم مسرعًا هكذا، أرجوك .

تمتم توماس وهو يجهد بالبكاء:

-أريد أن أموت، لأنني لا أجد الراحة في حياتي، أنا شخص أحمق ولا أحد يحبني، ولا أحد يرغب في وجودي .

اقتربت منه إيفانا بحذر وقالت:

—من قال لك هذا يا توماس؟ كلنا نحبك، كلنا نرغب في وجودك معنا . . .

صرخ بها توماس وقال لها وهو يبكي:

—ابتعدي عني يا إيفانا، لأنك إن حاولت منعي سوف تعجلين موتي قبل أن أطلب

السماح من الرب .

—أرجوك توقف عن التقوه بهذا الكلام، ودع هذه الفكرة، وهيا عُدْ معي . . .

—لن أعود لأن فريدة لم تسامحني، لا أريد أن أعود للدنيا المصرة على إعطائي أشياء

وأشخاصاً لا أرغب بهم، ودائماً ما تسلبني كل ما أريد .

وها هو نظر لإيفانا وقال لها باكياً:

—إيفانا، سامحيني إن سببت لك أذى في يوم من الأيام .

قاطعه إيفانا وقالت باكياً:

—ولكنك لم تؤذني أبداً يا توماس، لطالما كنت المقرب لدي منذ الصغر وأنا أحبك

جداً .

ومن ثم رفع رأسه للسماء مجهشاً بالبكاء وهو يقول:

يا رب، ساحني على ما سوف أقدم عليه، ولكني أطلب منك مغفرتك و... .

ومن ثم سمع صوتاً يأتي من أمامه ففتح عينيه في دهشة:

ـوأنا... . ألا تريد أن تطلب الغفران مني مرة أخرى قبل الرحيل... .!

دهش توماس عندما سمع ذلك الصوت، الذي كان صوت فريدة التي كانت محلقة أمامه في الهواء وتنظر له نظرتها المتفائلة التي طالما اعتاد عليها عندما تكون فريدة في

مزاج رائق، ها هويفلت يدًا من اليدين المسكتين بالسوركي يسمح عينيه من

الدمع، في تلك اللحظة فقد اتزان والده الأخرى فقدت تماسكها، ولكن سرعان ما

عانتته فريدة معيدة إياه، ومن ثم أمسكت به إيفانا وأجلساه على سطح المبنى، ها

هو يجلس بينهما، وينظر إلى فريدة في دهشة، ويقول بعينين مليئتين بالدمع:

ـهل هذا حقيقي؟ هل ساحتني بالفعل يا فريدة؟

نظرت له فريدة باستغراب مداعبة إياه:

ـما هذا السؤال الغبي... .! أقسم لك إن سألت مثل هذه الأسئلة مرة أخرى

سوف ألقي بك من فوق هذا المبنى، وقبل أن ألقي بك سوف أخلع حذاءك ذا... .

ابتسم لها توماس باكيًا وأردف:

-كم أحب عصيتك يا فريدة.

همت فريدة واقفة بهمة وقالت لهما:

-هيا يا رفاق، أريد أن نخرج سوياً بمناسبة عودتي.

ومن ثم ضربت مقدمة رأسها بكف يدها متذكرة:

-آه... نسيت، لا مانع من قدوم إيمان معنا...

نظر لها توماس باستغراب:

-ولكني قلت لك أننا انفصلنا...

-لا أريد أن تنفصل عنها بسببي، هيا اتصل بها مرة أخرى...

انفعل توماس قليلاً وأردف:

-أنا لم انفصل عنها بسببك، أنا لم أتأقلم معها قط، وإيمان مرتبطة حالياً فلا داعٍ لذكر

اسمها.

نظرت فريدة باستغراب وقالت لإيمان التي لا تفعل شيئاً سوى النظر لكلاهما:

-يبدو أن هناك أموراً كثيرة قد تغيرت هنا.

ابتسمت لها إيمان وأردفت وهي تهم واقفة وتأبطت ذراع فريدة ضامة إياها:

- سأخبرك بكل شيء .

ها هي فريدة تعيد آخر عام لها في الثانوية من جديد ، وها هي تجد وتجتهد كي
تلتحق بكلية الطب التي سبقها إليها كل من توماس وإيفانا . . .

في السابع من شهر أكتوبر عام 2038

-ألو . . . دكتور جون . . أين كنت ؟ لقد قلقت عليك كثيراً .
-آسف يا عزيزتي . . كنت مشغولاً حقاً من أجل أن أحضر لك مفاجأة عيد
ميلادك . . . ولكني لم أوفق .
-مفاجأة ماذا . . ؟ أنت أكبر هدية لي في الحياة . . . أنت صرت لي أباً من بعد
موت أبي مراد .

هذا أول عيد ميلاد أشعر فيه أنني وحيدة بدون أبي الذي مات ، ومن دون أمي التي
قررت أن تستقر في مصر بعد وفاة أبي ، وها أنت قد أكملت تعاسي ليلة عيد
ميلادي بعدم حضورك ، بل وأقلقتني عليك .

-ساحيني يا عزيزتي . . . لم أقصد أن أجعلك تعيسة ليلة عيد ميلادك . . بل إن

المفاجأة التي كنت أود أن تكون جاهزة ليلة عيد ميلادك لم تجهز بعد .

-وما هي هذه المفاجأة . . ؟

-كيف تكون المفاجأة مفاجأة إذا علمت بها يا فريدة .

-حسنًا، قل لي أين أنت الآن . . . ؟ أنا ذهبت إلى بيتك وسألت العمّة كريستينا

ولكنها أجابتي: أنها لا تعلم أين أنت .

-لقد خرجت مبكرًا ولم أخبرها إني سوف أذهب لمختبري .

-إذن أنت في المختبر الآن، سوف آتي إليك حالًا .

-فري . . . !

أغلقت الهاتف بمجرد أن عرفت أين دكتور جون .

بعد ساعة وصلت إلى مختبره، عندما قابلته عانقه بشدة، إنها تحبه جدًا .

دكتور جون بمجرد أن رآها أمامه فتح ذراعيه إليها مستقبلًا عناقها له، وأردف:

-أوه يا عزيزتي، ساحيني عما صدر مني الليلة، ولكن الأمور لم تتجر كما خططت

لها .

-لا يهمك يا جون، أنت تعرف كم أحبك، أنا ح أسلة فقط لأنني ظننت أن مكروها
قد أصابك، حمدا لله أنك بخير .

-لا تخزني يا صغيرتي فلقد أوصاني أبوك عليك، وأنا مسؤول عنك وعن
سعادتك .

-لا تقل لي صغيرتي، لقد كبرت يا جون، الليلة عيد ميلادي الثامن عشر، صرت
شابة ناضجة الآن .

-لا، ستظلين صغيرتي إلى آخريوم في حياتي .
-حسنا، قل لي الآن ما هي المفاجأة التي جعلتك تتخلف عن ليلة عيد
ميلادي . . ؟

-لقد أكملت الاختراع لتوي ولكني لم أجربه، يجب أن أجري بعض التجارب على
أشخاص متطوعين كي أثبت صحة الاختراع .
-وما هذا الاختراع . . . ؟

-اختراع يجعلك تتحكمين بالزمن، ترجعين لأي تاريخ في الماضي، وتكتبين أي تاريخ
في المستقبل .

— وكيف أفعل ذلك وما هو شكل هذا الاختراع؟

— أنه يتكون من خمس قطع يا عزيزتي .

عدسات لاصقة، لا تظني أنها للتجميل ولكي صممتها لكي تكون شاشات

مصغرة لكي نرى من خلالها .

وسماعتان دقيقتان جداً نسمع من خلالهما ما سوف نمر به خلال تلك التجربة .

وخامس قطعة هو هذا الجهاز اللوحي، أنه يشبه الهاتف أعلم ذلك، ولكنه مبرمج

على كتابة التاريخ والسفر عبر الزمن .

— أووه، يعني سوف أختمي من هنا وأسافر عبر الزمن .

— لا يا عزيزتي، لن يحدث ذلك، جسدك سوف يظل هنا في المختبر .

— وكيف سوف أسافر عبر الزمن إن لم أسافر بجسدي؟

— سوف تسافرين في رحلة العودة للماضي أو السفر للمستقبل من خلال عقلك

فقط، ومن خلال العدسات اللاصقة سوف ترين ذاك الواقع في الماضي أو

المستقبل .

— ولكن كيف سوف أشعر بهم وكيف سوف يشعرون بي؟



-إن العدسات التي ترتدينها تصدر إشعاعات تحيط بك تجعلك مرئية كما تظهر أي شيء حولك، والساعات التي ترتدينها تصدر ذبذبات تجعلك مسموعة وتمكنك من سماع أي شيء حولك كذلك .

-ولكن كيف سوف أكون في الماضي والمستقبل بلا جسدي ؟

-سوف تسافرين للماضي والمستقبل من خلال روحك فقط، وتلك المعدات التي معك تجعلك طيفاً شفافاً أو شخصاً محسوساً به تماماً .

-لم أفهم يا جون . . . !

-إنها مغامرة تشبه الحلم إلى حد كبير، ولكنه حلم أنت من تختارين أحداثه، والأشخاص الذين تريد أن تريهم أثناءه .

يعني يمكنك أن تعودى لأي يوم في حياتك .

-صدقني يا جون إنني أحاول أن أفهم، ولكن من دون أن أفهم أنا أود أن أجرب هذا الاختراع حالاً .

-أجنت يا فريدة ؟ لا يمكنني أن أجرب الاختراع عليك، إن لهذه التجربة توقيت يجب أن تعودى قبل تمام ست ساعات في التجربة .

— يعني إذا استمررت أكثر من ست ساعات ماذا سيحدث يا جون . . . ؟

— لن تعود روحك من جديد إلى جسدك .

الجهاز لن يتحمل أن تطول مدة التجربة أكثر من ست ساعات .

إذا انتهى شحن الجهاز للمدة المحددة لن يمكنك أن تشحنه لافي الماضي ولا

المستقبل، يجب أن تعودني إلى الواقع من جديد، ونعيد شحن الجهاز لكي نكرر

التجربة .

— حسناً يا جون لقد فهمت كل شيء، الأمر بسيط جداً . إنها أفضل مفاجأة

صارت لي في حياتي .

إذا كنت تحبني حقاً دعني أجرب هذا الجهاز .

— لا يمكنني، لا أدري كيف ستكون النتائج يا عزيزتي .

— أرجوك، أريد أن أعود بالزمن لليوم الذي تركت فيه البيت لكي أسافر مع

أصدقائي وتركت فيه أبي . . . ولم أسمع لتحذير أمي .

ولكنني كنت أظن أنها خائفة عليّ، كنت أظن أنها تظنني ما زلت تلك الفتاة الصغيرة

المدللة، لذا تمردت وسافرت وتركتهما .

-اهدئي يا عزيزتي، إن أباك أوصاني عليكِ وقال لي أنه يحبك بشدة وأوصاني أن أحبك كما أحبك هو.

أنتِ ابنتي التي حُرمت من إنجابها .

-إذن إذا كنت تريد أن تنفذ وصية أبي لك، دعني أقوم بهذه التجربة، أريد أن أرى أبي، أريد أن أعاققه، لقد اشتقت إليه كثيرًا .

-تعال في حضني يا حبيبتي، توقفي عن البكاء يا عزيزتي، دموعك غالية عندي يا بني، توقفي يا فريدة أنتِ قوية، وهذا أمر الرب وعلينا أن نحمد الرب على قدره .
-أرجوك، دعني أذهب إليه .

-حسنًا يا فريدة، ولكن دعيني أصل الحاسوب الخاص بي بجهاز التحكم الخاص بكِ لأنك يمكن أن تنسي التحكم في الجهاز ويأخذك الوقت، فسوف أقوم أنا بإخراجك من التجربة .

وسوف يظهر لي وأسمع كل شيء أنتِ تريه أو تسمعيه في الحاسوب الخاص بي .
فجأة تغيرت ملامح الحزن والبكاء إلى ملامح فرحة ومن ثم قالت لجون وهي تهم بمسح دموعها :

— ولم كل ذلك يا جون؟ أنا سوف أتبّه للوقت .

— على الأقل يا حبيبتي في أول مرة، بعد ذلك إذا نجح الأمر سوف أتركك تفعلين ما تشائين .

— حسناً، ها أنا أُنظرُكِ إلى أن تنتهي، ولكن لا أريدك أن تعب معي أنت لم تنم بعد .
— لا يهملك يا عزيزتي، الليلة ليلة ميلادك وعليّ أن أسعدك .

ومن ثم مر القليل من الوقت ونظر لها دكتور جون نظرة تشجيعية وقال لها:
— أنت جاهزة يا عزيزتي !

— أنا جاهزة يا جون، بل أنا متحمسة، لم أكن أظن أن بإمكانني أن يعود بي الزمن
وأعيش مع أبي آخر أيامه . . . ولكن هل يمكنني أن أسألك سؤالاً ؟
— أكيد يا فريدة .

— هل يمكنني أن أمنع أبي من الخروج ذلك اليوم كي لا يمر بتلك الأزمة وبذلك عندما
أعود للحاضر أجد أبي لم يمت بعد ؟

— لا، لن يمكنك ذلك يا فريدة، إلا الموت لن يمكنك منعه أبداً لأنه مكتوب علينا
جميعاً في يوم محدد سوف نموت .

يعني إذا منعتيه أن يموت بتلك الطريقة سوف يموت بطريقة أخرى، لأن هذا يومه يا عزيزتي .

ولكن . . .

-لا تفكري يا عزيزتي . . . كل ما عليك أن تعودى بالزمن وتقضى هذا اليوم مع والدك، وأهم شيء أنك بالفعل غير موجودة في ذلك التاريخ لأنك مسافرة مع أصدقائك، فلن تكوني عائناً لنفسك في ذلك الوقت .

-حسناً يا جون، لقد فهمت كل شيء الآن . إذن أنا مستعدة . . هيا بنا نبدأ .

جلست على الكرسي ومن ثم ارتدت العدسات ومن ثم ركبت السماعات الدقيقة في أذنها ومن ثم أعطها دكتور جون جهاز التحكم، أمسكت به في يديها وكتبت التاريخ (13-3-2037) وعنوان بيتها ومن ثم نظرت نظرة وداع إلى جون وعيناها تفيضان من الدمع ومن ثم ضغطت على التأكيد .

أوه يا إلهي، في غمضة عين صارت أمام باب بيتها، ها هي ترن جرس البيت، فظهرت أمها في الشاشة فقالت لها مندهشة:

-ها، فريدة، عدت بسرعة، ألم تقولي أنك سوف تسافرين مع أصدقائك ؟

-لم أستطع أن أرفض طلبك، ورجبت في أن أقضي معكما اليوم.

-ادخلي يا فريدة، ولكن أين حقيبتك؟

-أوه، لقد نسيتها، ولكن لا يهم.

-كم أنت غريبة يا فريدة، ولكن لم تفتحي بالبطاقة الخاصة بك يا بنيتي؟

-قلت لك نسيت حقيبتني يا وتين.

-ليس من طبعك النسيان يا فريدة ولكن لا يهم.

فتحت البوابة بأمر من وتين فدخلت فريدة وبمجرد أن دخلت حديقة البيت سألت أمها:

-قولي لي أين مراد؟

في هذه اللحظة كان أبيها قد جاء من الحديقة الخلفية عندما سمع صوتها.

قال لها أبيها عندما رآها:

-فريدة...! م...

لم تجعله يكمل سؤاله حتى لأنها هرولت مسرعةً معانقة إياه بشدة، وقالت له وهي

تقبله بحنون:



-أبي، أبي حبيبي، لقد اشتقت إليك كثيراً، آه يا أبي يا حبيبي آه لو تدري كم أحبك .

ومن ثم صارت تبكي بهستيريا، أخذ يرت عليها وهو يعانقها بشدة ويقول لها :

-يا حبيبي وأنا أيضاً أحبك، ولكن لم تبكين يا حبيبي ؟ اهدئي . . !

-أبكي لأنني اشتقت إليك كثيراً .

-لم كل هذا الاشتياق ؟ كنا معاً منذ قليل يا فريديتي .

أردفت أمها متعجبة:

-إن فريدة غريبة جداً اليوم، تخيل يا مراد أنها قالت لي يا أمي، وهي لا تقل لي تلك

الكلمة قط . . . وها هي تنعك بأبي . . !

ضحك مراد وفريدة متمسكة به مثل الطفلة التي لا تريد أن تترك حضنه، بل صارت

تقف بجانبه وهي تضمه، ومن ثم قال مراد لوتين وهو مسح يده على شعر فريدة:

-ما أجمل كلمة أبي من بنيتي، إن أي كلمة تكون جميلة من فريدة .

ولكن قولي لي يا صغيرتي ما سبب كل هذا الاشتياق ؟ لم تسافري مع

أصدقائك ؟

-لا أدري ولكي فكرت كثيراً بأن تكون رحلتي معك ومع وتين، ها ما رأيك اليوم
نخرج سوياً، ونذهب للتنزه وللعب والذهاب للملاهي وللسينما وأكل المثلجات؟
ضحك مراد ونظر لعينيها وأردف:

-كل هذا يا حبيبتي في يوم واحد؟

نظرت إليه وهي تعاقه وتحاول أن تحبس دمع عينيها وأردفت:

-نعم كل هذا، ولن ترفض لي طلبي.

-بالرغم أنني متعب يا صغيرتي ولدي عمل مهم ولكن لا يوجد شيء مهم بالنسبة لي
سواك، أنتِ تدللين يا حبيبتي.

وبالفعل تنزهوا ولعبوا سوياً وضحكوا كثيراً وأكلوا الوجبات التي يحبونها والمثلجات
التي يعشقونها، وشاهدوا فيلماً في السينما للفنان المفضل لهم.

وها هو الوقت يمر وهي لا تترك حضن أبيها، لم تفارقه أبداً، لم تكن ترفع عينيها عن
عينيها، كانت تريد أن تجترع المزيد والمزيد من نظرات عينيها لكي تروي ظمأ
اشتياقها إليه.

ومن ثم قرروا أن يجلسوا أمام البحر ويتكلموا، ضحكوا كثيراً ولم تترك فريدة يد أبيها لحظة، ولكن في لحظة وهو جالس على الكرسي، سرح قليلاً في البحر وفريدة تحدث إليه ولا يرد، نظر لها أبيها وهو يرسم على وجهه ابتسامة ولكن فريدة شعرت أن خلف هذه الابتسامة ألم بداخله، نظر إليها بعينيه السوداوين اللامعتين المتلألئتين بسبب الدمع النابع من الألم الذي يحاول ألا يظهره إليها، ومن ثم قال لها وهو يتنسم:

-فريدة أنا أحبك .

ومن ثم حول نظره إلى وتين وقال لها :

-وتين أنا أحبك ولم أحب غيرك وسأظل أحبك إلى الأبد . فريدة، كوني فريدة يا فري . . .

وأثناء كلامه كانت فريدة وأمها تقولان:

-وأنا أيضاً أحبك . . .

وظلا يبكيان ولكنه لم يكن متجاوباً معهما ، كأنه لا يسمعهما هو فقط يراهما ويقول هذا الكلام، ومن ثم أغمض عينيه .

صرخت فريدة ووتين وهما يحركانها كي يعود لوعيه . . .

-أبي . . أرجوك افتح عينك . . .

-ها، أين أنا؟ دكتور جون؟ ماذا حدث؟

رد عليها دكتور جون وهو يمسك بأذنها معاتباً:

-آه منك يا فريدة، لم تفعل شيأً مما اتفقنا عليه، ها أنتِ عدتِ بالزمن وغيرتِ

الأحداث ولم تتركي أباك يذهب . . .

-لم أرغب أن تكون نهاية أبي وأنا بعيدة عنه . . .

-ولكن حدث ما قلته لك . . . في الوقت المحدد لكل منا سوف نترك الحياة، لا مجال

للهرب من الموت .

صارت تبكي بجنون فضمها دكتور جون وقام بتهديتها .

-آه يا جون، أشكرك كثيراً، ذلك اليوم أفضل يوم في حياتي، عشت سعادة لم أعشها

قط في حياتي مع أبي .

- الحمد لله إني موجود وأخرجتك، لأن الوقت كان قد أوشك على الانتهاء وأنت دخلت في حالة هستيريا بسبب حزنك على أبيك، كنتِ سوف تظلين هناك إلى الأبد .

- آسفة جداً يا جون، يبدو أنك متعب، ست ساعات تتابعني ولم تنم قط .

- من قال إني تابعتك ست ساعات ؟

- ألم تقل لي أن التجربة ست ساعات !

- ست ساعات مدة التجربة في العالم الآخر، ولكن في الحقيقة أن التجربة مدتها ست ثوانٍ فقط .

نظرت إليه بدهشة واستغراب متسائلة:

- ولكن كيف تابعت وشاهدت كل ما مررت به خلال ست ساعات في خلال ست ثوانٍ ؟

- كل الذي رأيته لقطات سريعة، أنا عيني كانت على الوقت وأوقفته على خمس ثوانٍ وخمسين جزءاً من الثانية .

- ولكن كيف حدث كل هذا ؟

قلت لك أن تلك التجربة أشبه بالحلم، أي حلم نراه أثناء نومنا ومهما طالت مدته لا تتجاوز مدته في الواقع بضع ثوانٍ، عالم الأرواح مختلف تمامًا يا عزيزتي .
عاقته بشدة وأردفت:

أشكرُك يا جون على تلك المفاجأة، لقد حققت وصية أبي لك وبالفعل
أسعدتني، ولكن هل يمكن أن أطلب طلبًا !
أؤكد يا بنيتي .

هل يمكن أن تعطي لي ذلك الفيديو المسجل لتلك التجربة ؟
أؤكد يا فريدة، ولكن دعيني أغير سرعته وأجعله سرعة طبيعية لأن الأحداث
مسجلة بسرعة فائقة جدًا .

قبلته وشكرته، ومن ثم أوصلها لبيتها، وفي تلك الليلة قامت فريدة بتشغيل الفيديو
وكررت لحظات السعادة من جديد ونامت وهي تبكي وتضحك في نفس الوقت .
في صباح اليوم التالي اتصلت بدكتور جون كي تشكره من جديد على تلك التجربة
ومن ثم طلبت منه أن تقابله في المعمل الليلة من أجل أن تكرر الأمر من جديد .
رفض في بداية الأمر ولكن فريدة أصرّت إلى أن وافق .



في المساء تقابلنا ومن ثم شرح دكتور جون لها:

يا فريدة يا حبيبتي، لا أستطيع أن أجعلك تجربين الليلة أيضاً، أنتِ بالأمس كدتِ أن تنسي الوقت، ماذا كنتِ سوف أفعل حينها إذا بقيتِ في العالم الآخر... ؟
-أنتِ رافض الآن لأنك تشعر بالقلق عليّ، أعدك سوف أنتبه الليلة... كل ما في الأمر أن الأمر كان جديداً عليّ فقط، لذا لم أنتبه.

حك دكتور جون رأسه ذا الشعر الأبيض الناعم الكثيف وأردف متنهداً:
-حسناً يا فريدة، ولكن دعيني أكمل الليلة التعديل الذي أرغب به على الجهاز،
أريد أن أعدل المدة الزمنية المحددة.

-حسناً موافقة، ولكن يا جون أشعر بالعطش، هل يمكن أن تجلب لي شيئاً أشربه !
-لا، بل سوف أجلب شيئاً نأكله أيضاً، دقيقة وسوف أعود إليك يا صغيرتي .
بمجرد أن خرج دكتور جون من الغرفة شرعت بارتداء العدسات والسماعات
وكتبت نفس التاريخ لكي تقابل أباهما مراد من جديد في نفس اليوم، ولكن في هذه
المرّة قررت أن تعيش معه تجربة مختلفة.

وبالفعل قضت اليوم مع أبيها من جديد في أماكن مختلفة، ولكن سعادتها ولحفتها كانت لا توصف .

في هذه المرة لم تبك بل كانت تضحك والسعادة كانت تغمرها، لأنها صارت تشعر بأنها لم تفقده، بل سوف تعود لأي يوم في أي وقت وسوف تقابله من جديد .
ومن ثم تركت الجهاز، وآخر مرة نظرت له علمت أنها تبقى لها نصف ساعة، وها هي في مغامرة مع أبيها يسبحان سويًا في البحر، لذا قررت أن تترك الجهاز مع ملابسها على الشاطئ .

أبوها يشعر بسعادة عارمة، وما زال ينظر إليها كأنها طفلة الصغيرة .
ومن ثم فجأة توقف مراد عن الابتسام، ومن ثم ارتسمت ملامح الألم على وجهه
ومن ثم ارتحن جسده على الماء، فقامت بسحبه باكية إلى الشاطئ، ومن ثم شرعت هي وأمها في البكاء، ولكن فجأة رأت فريدة شيئاً غريباً . . . !
أمها تحولت إلى أفعى كبيرة جداً وفتحت فاهها صارخة قائلة:
- أنت من قتلته .

ومن ثم شرعت بمهاجمة فريدة، ولكن فريدة هربت مسرعة وقررت أن تهرب للبحر وتعود لأن الأفعى لن تتمكن من العوم بالتأكد .

ولكن فجأة بمجرد أن اقتربت الأفعى من الشاطئ تحولت إلى قرش كبير، قام بالعموم بسرعة تجاه فريدة، صارت تعوم مسرعة صارخة تشعر بالفرع بسبب فم القرش الذي يريد أن يلتهمها .

ومن ثم بمجرد أن رفعت نظرها عن القرش كي تنظر أمامها، رأت أباهما مراد يعوم وينظر لها فاتحاً ذراعيه ويقول لها:
- هيا يا صغيرتي، بإمكانك فعلها .

ولكنها صرخت وشعرت بالرعب والتقت بنظرها للشاطئ فوجدت جثة أبيها هامة وأمها على الشاطئ تنظر لها صارخة خائفة عليها وتقول لها:
- عودي يا فريدة .

ولكن القرش قد اقترب منها .
ومن أمامها أبوها يقول لها:
- هيا يا فريدة . . .

ومن ثم تحول أبوها إلى قرش والقرش الذي خلفها صار أبها .

ومن ثم فتح القرش فاه والتهما، ولكن فجأة تغير كل شيء وصارت في حفرة عميقة وحوطها غابة، ومن ثم جاءت إليها عاصفة قوية فرفعت جسدها في الهواء، صارت تدور في الدوامة الهوائية ومن ثم ألقتها الدوامة على سحابة ضخمة، شعرت حينها بالأمان لأنها كانت تحملها، ومن ثم رأت السحاب يتشكل على هيئة درج لكي تتمكن من النزول، ومن ثم شرعت تنزل الدرجة الأولى والثانية والثالثة، ولكن الرابعة جعلتها تهوي ساقطة وكانت الأرض تحتها كأنها وحش فاتح فاه بأسنانه الحادة، ولكن فجأة . . .

سمعت صوت دكتور جون يقول لها معانًا:

— لم فعلت ذلك يا فريدة لم؟

نظرت إليه باكية مرتجفة، وقالت له وهي تلغثم في الكلام معانقة إياه:

ج . . جون، لقد أنقذتني، مررت بتجربة مرعبة . . .

ومن ثم وهي تعانقه نظرت لوقت التجربة كانت 6 ثوانٍ و 30 جزءاً من الثانية .

سألته مستغربة وهي تمسح دمع عينيها بيديها:

— أنا قد تجاوزت الوقت يا جون، انظر . ولكن كيف . . . ؟

ربت على كتفها مهدئاً إياها ولكن نظرت لها كانت نظرة غضب بسبب فعلتها تلك لأنه خائف عليها كثيراً ومن ثم أردف:

— لقد كذبت عليكِ يا فريدة وقلت لكِ فكرة أن الجهاز له مدة محددة ويفصل شحنه، وكذبت عليكِ بشأن أنكِ سوف تظلين حبيسة ذلك العالم .

— ولم كذبت عليّ . . ؟

— لأنني لم أرغب أن تمرّ بما مررت به، أنا قلت إذا قلت لكِ تلك الفكرة سوف تخافين وسوف تلتزمين بالوقت المحدد، لأن بالفعل إذا تجاوزت الوقت لن يفصل الجهاز ولكنك سوف تدخلين في المرحلة الثانية من التجربة وهي مرحلة الهلوسة البصرية والسمعية، وتلك المرحلة سوف تؤثر على تفكيرك وسوف تنسين أمر الجهاز تماماً وأمر الرجوع .

وسوف تظلين في مرحلة هلوسة مستمرة وعقلك لن يتحمل تلك الهلوسة كثيراً . . .

— حسناً يا جون الآن فهمت كل شيء، الأمر يشبه فكرة الحلم مثل ما قلت لي .

-نعم يا عزيزتي، أنه حلم ولكن أنتِ المسؤولة عن تفاصيله.

-صحيح يا جون، أنت تعرف جيداً أن أُمي تفهم في الأمور المتعلقة بالأحلام ولكني لم أرغب في يوم أن أتعلم منها هذا العلم.

ولكن في مرة سمعتها تقول لجارتنا التونسية إن ما رأتها كان النصف الأول منه رؤيا ولها معنى بينما الجزء الثاني هو عبارة عن هلوسة وليس له تأويل، أحياناً عندما يطول الحلم تبدأ في مرحلة الهلوسة كما قلت يا جون، الآن تذكرت ذلك اليوم بالفعل.

-كلامك صحيح يا فريدة، ولكنني أشعر بالضيق مما فعلته الآن.

-سأخبرني يا جون، أول وآخر مرة أتجراً وأفعل شيئاً من دون استئذان.

-أحمد الرب إني معكِ في نفس المكان وأخرجتك من ذلك المأزق.

-أنت منقذي يا جون، ولكن هل يمكن أن أكل تلك البيتزا الشهية، لقد جعت كثيراً بسبب الفزع الذي شعرت به في تلك التجربة الرهيبة.

ابتسم جون وأردف:

-آه منك يا فريدة، لا تأخذين الأمور على محمل الجد أكثر من دقيقة.

—أي أمر في الحياة لا يستحق التفكير فيه كثيراً، ما دام حدث يعني انتهى، فأهلاً بالجدید .

—حسنًا يا فيلسوفتي، فنانة في اللامبالاة أنت .

—وعاشقة للبيتزا، لا تنسَ مميزاتي .

—في يوم سوف تحققين وصية أبيك وسوف تكونين فريدة يا فريدة .

—هذا الأمر سوف أفكر فيه فيما بعد ، دع الغد قليلاً ودعنا في الحاضر الذي سوف يبرد إذا نسيناه بسبب التفكير فيما سبق وفيما سوف يأتي .

—حسنًا هيا نأكل ومن ثم نعود للمنزل لكي نرتاح قليلاً .

وبالفعل بمجرد أن عادت للبيت وصارت تشاهد الفيديو المسجل لتلك التجربة

تمت في قرارة نفسها :

—أنه لفيديو مشوق بالفعل ، بل سيكون أفضل فيلم إثارة إذا تم تصويره .

لكن بعد أن شاهدت الفيديو لم تستطع أن تنام تلك الليلة بل صارت تفكر في أمها لذا

قررت أن تتصل بها :

— أهلاً وتين، كيف حالك؟

— أنا بخير يا فريدة، غريبة تتصلين بي!

— رغبت أن أطمئن عليكِ لأنني رأيتك في حلم، ومراد قال لي رسالة.

— ومنذ متى تشغلين بالك بالأحلام...؟!؟

— من الآن يا أمي.

— يا أمي مرة واحدة! من معي؟ من يتحدث إلي...!

— وتين لا تجعليني أندم أنني اتصلت بك.

— حسناً يا فريدة قولي لي ماذا رأيت؟

— أبي قال لك أنه يحبك جداً ولم يحب غيرك، وقال لي أنني فريدة وسوف أكون

فريدة.

— الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يُؤوّل كما هو من دون تفسير.

— ولكني أريد أن أفهم أكثر عن الأحلام.

— إنه لموضوع طويل يحتاج للكثير من الشرح.



— حسنًا يا وتين في أول فرصة اشرحي لي كيف أفهم الأحلام . . . ما رأيك أن
تعودي إلى لندن مرة أخرى ؟

— لن أعود يا فريدة، إذا كنتِ ترغبين في تعلم تفسير الأحلام سوف أشرح لك كل ما
ترغبين معرفته في زيارتك القادمة إلى مصر .

ولكن بمجرد أن أغلقت المكالمة مع أمها استمرت في التفكير أكثر، وبحث عن المزيد
من المعلومات بخصوص الأحلام ولم تفهم شيئاً .

قرأت عن العلماء الذين اشتهروا بتفسير الأحلام ولم تتوصل لشيء، قالت في قرارة
نفسها:

— لكن كيف سوف أفهم وأمي ليست معي . . . ؟

أوه أنها التاسعة صباحاً، أنا متعبة جداً، سوف أنام وغداً سوف . . .
غداً ماذا ! أقصد اليوم سوف أفكر .

استيقظت الساعة السابعة مساءً، يبدو أن مغامرة الأمس أهلكتها وجعلتها تنام
عشر ساعات وبالرغم من ذلك تشعر بالدوار .

بعد أن أكلت اتصلت بدكتور جون وسألته:

-لدي خبر يا جون .

-وما هو يا صغيرتي . . . ؟

-لم أعد صغيرة يا جون، أنا فكرت فيما مررت به في تجربتك والسفر عبر الزمن ومقابلتي لأبي وخاصة عندما قال لي (كوني فريدة يا فريدة) لذا قررت أن أفكر في حياتي بجدية وأن أبدأ في تحقيق أهدافي .

-وما هي أهدافك يا فريدة ؟

-بصراحة، بالأمس لم يكن لدي أهداف محددة ولكن صباح اليوم قبل أن أنام، قررت أن أتعلم تفسير الأحلام وأريد أن أستخدم ذلك الجهاز للسفر عبر الزمن أو السفر للكثير من الأماكن .

-وما دخل الجهاز لتعلم تفسير ما نراه أثناء نومنا ؟

-كما تعلم أن أمي تفهم تفسير الأحلام جيداً وكان هدفها وأنا صغيرة أن نكتب كتاباً عن تفسير الأحلام بأسلوبها المميز البسيط، ولكن كما تعلم الحياة ومشاغله، أو بالأصح هي لم توفق في ترتيب أمور حياتها وتحقيق أهدافها في وقت واحد .

لقد تناسست تحقيق هدفها بسبب التأجيل، فكرة أن يؤجل المرء هدفه إلى الغد فهذا معناه أنه لن يقوم بتحقيقه أبداً .

-صحيح يا فريدة، من يريد أن يحقق أحلامه فليبدأ في نفس اللحظة التي راودته الفكرة بها ولا يؤجلها كي لا يتكاسل، ويوم يحريوماً ومن ثم أيام .

-كم أنت رائع يا جون، أنت من جعلتني أفكر من جديد في حياتي، وكما قلت لك أن أُمي تفهم في تفسير الأحلام ولكنها في مصر و . . .

-سوف تسافرين إلى مصر لكي تكوني مع أمك و . . .

-لا لست بحاجة إلى ذلك، بإمكانني أن أتواصل معها، ولكني لا أريد أن أفعل ذلك .

-إذن ما هي خطتك يا فريدة ؟

-أريدك أن تعطيني ذلك الجهاز وسوف أستخدمه بحذر وحرص وأتبع

التعليمات .

-تعالي إلى المعمل حالاً وسوف نكمل حديثنا .

مسافة الطريق ومن ثم وصلت لدكتور جون ونظر لها مبتسماً بفمه الصغير،

ابتسامته تلك كهيئة أن تغمر فريدة بالبهجة، ومن ثم أردف:

-سعيد بك يا فريدة لأنك قررت أن تغيري من حياتك .

-الفضل لك يا جون، ها قل لي أين جهاززي . . . ؟

-ألن تتوقفي عن تسرعك ذا ؟ قبل أن تأخذي الجهاز دعيني أجربه عليك آخر

مرة .

-لا يوجد عندي مانع يا جون ولكن لم . . . ! لقد جربناه سابقاً . . . ؟

-لأنني قد أجريت عليه تعديل اليوم بعد ما حدث معك بالأمس .

-وما هو هذا التعديل ؟ لن أمر بكوايس وهلوسة إذا زادت المدة ؟

-حاولت أن أفعل ذلك ولكني لم أوفق في زيادة مدة الرحلة أكثر من ست ثوانٍ .

-ولكن ما هو التعديل . . . ؟

-التعديل أن الجهاز سوف يعيدك تلقائياً إلى المكان الذي سجلت منه مكان

رحلتك بمجرد أن تتم 6 ثوانٍ، سوف تستيقظين وتعودين للواقع .

-شكراً لك يا جون على ما تفعله من أجلي .

أنت أخذت كل الاحتياطات اللازمة، أحبك كثيرًا يا جون .

—وأنا أيضًا أحبك يا بنيتي، هيا بنا نجرب هل سوف ينجح المؤقت أم لا... !وها
أنا بجانبك في حالة عدم نجاح المؤقت سوف أعيدك أنا .

—حسنًا سوف أرجع بالزمن سوف استغل فرصة غيابي وأقابل مع أبي وأمي .
—هيا نبداً .

وبالفعل تمكنت من العودة بالزمن وجلست مع أييها قليلاً الذي لم تعد تشعر أنه مات
بل ها هو معها تقابله متى تشاء .

ومن ثم وقتت مع أمها في المطبخ فاستغربت قليلاً من وجودها معها وأنها تركت
أصدقاءها ولكن فريدة قطعت تساؤلاتها وقالت:
—أنا كبرت يا أمي وتغيرت طريقة تفكيري .

—هذا أمر يسعدني يا فريدة .

—أريدك أن تعلميني أو بمعنى أصح تشرحي لي كل ما يخص الأحلام .

—حسنًا يا صغيرتي، تناول الفطور سويًا ومن ثم تكلم فيما تحبين ونحن نختسي
الشاي، ما رأيك يا ريذا ؟

—موافقة أكيد يا أحلى وتين في الكون، ها دعيني أساعدك في تجهيز المائدة .
—أووه، لقد كبرت ابنتي بالفعل وها هي تساعدني وتشاركني نفس الميول، أنه ليوم
سعدي .

—أوّه يا أمي سوف تجعليني أرجع في كلامي بسبب مزحك ذا .
—آه من عصبيتك يا فريدة ولكن لن ألومك عليها فأنت تشبهيني بها .
بعدما انتهيا من تناول الفطور احتسبا الشاي سوياً وشاركهما مراد بالاستماع
إليهما .

بدأت وتين بمقدمة في علم تفسير الأحلام والرؤى بالرد على أكثر الأسئلة شيوعاً
حوله .

صارت فريدة تسأل وأمها تجيب و...
ولكن فجأة انتقلت فريدة إلى مختبر دكتور جون فنظر لها مبتسماً مطمئناً:
—الآن أنا مطمئن تماماً عليك أثناء استخدام الجهاز، لقد تم تفعيل المؤقت وتمت
عودتك من جديد عند انتهاء الوقت المناسب وقبل الدخول في مرحلة الهلوسة .
نظرت له فريدة وملامح السعادة قد رسمت على وجهها:

— هذا يعني يمكنني أن آخذ هديتي معي الآن وأستخدم الجهاز كما أشاء ووقت ما أحب . . . !

— نعم يمكنك ذلك الآن، لأن الجهاز قد اكتمل بالفعل ولكن عليك ألا تستخدم
الجهاز سوى مرة واحدة في اليوم، لأن تلك التجربة إذا تكررت أكثر من مرة في ذات
اليوم قد تسبب لك إجهاداً ومن ثم أضراراً لا داعي لذكرها . . .
— لا داعي للتوضيح يا جون، من بعد ما حدث المرة الماضية لن أفعل شيئاً سوى أن
ألتزم بكلامك . . .

الفصل الرابع

المغامرة

ها هي فريدة عاكفة على الدراسة في بيتها بمفردها، لا يوجد أحد معها، ومن يخدمها هو ذاك الروبوت الذي تراه بطيئاً مقارنةً بسرعة أمها في تحضير ما ترغب به .

بعدها اجتهدت في الدراسة، قامت بفك شعرها وتدليكها، وفكرت وهي تنظر للجهاز الموجود على مكتبها قائلة في حيرة:

أرغب في مغامرة جديدة مع أبي، لا أريد أن أكرر ذات اليوم، بل أريد أن أعيش أكثر من مغامرة في المرة الواحدة .

ثم التمت فكرة جعلتها تبسّم وتمت:

أوه، يا لها من فكرة رائعة! سأرجع بالزمن ليوم خطوبة مراد ووتين، أظن لا يوجد أحد حضر زفاف أو خطوبة أبيه وأمه، سأكون أول من يجرب هذا الشعور .

كم أنت مجنونة يا فريدة . . . بل هذا ليس جنوناً، بل مجرد تفريغ طاقة بعد إجهاد الدراسة .



هيا لأبدأ الآن، سأعود ليوم الحادي عشر من شهر نوفمبر من عام 2019 إلى
دمنهور .

أتذكر حكاية أبي وأمي عن هذا اليوم، سوف أذهب لمسقط رأس كل من أبي
وأمي، والاحتفال كان في بيت جدي محمد .

ضغطت فريدة على الموعد والمكان وها هي في لمح البصر صارت هناك .
-إن هذا الجهاز يترجم جيداً ما رأيته في الصورة، أنا بالفعل أمام بيت كبير عليه
الكثير من المصابيح الملونة المضيئة، ولكن كيف سأدخل الآن . . . ؟
لن أسأل كثيراً، لم أعتد الخوف أبداً، أنا تعلمت المواجهة والإقدام وكفى .
معروف أن المصريين أهل كرم، وأنا شكلي غريب، أكيد سوف يكرمونني ولن
يتروكني .

كل ما أحتاجه هي بضع لحظات لا أكثر ولا أقل . . .
بدأت الموسيقى تسيطر عليها وتجعلها متحمسة أكثر وأكثر، لم تكن تظن أن
الموسيقى المصرية كفيلة بجعل المرء يطير من السعادة لأن يستمتع فقط .

ها هو باب البيت مفتوح، والأطفال ينزلون من على الدرج بلهفة وسعادة عارمة، تنظر لكل شيء باستغراب؛ إن لمصر جواً وروحاً لا يمكن أن يجدها المرء سوى فيها، إنها حقاً أعظم بلد وأجمل بلد لعظمة تاريخها وطيبة شعبها .

دخلت الحفل والكل يرمقها، ولكن لم يتشككوا كثيراً؛ لأنهم ظنوا أنها من المدعوين من طرف مراد الذي يدرس في بريطانيا .

فريدة لا تشغل بالها بتلك التفاصيل، كل ما لفت انتباهها وجعل عينها تدمع مع ابتسامة من القلب، هورويتها لأبيها يرتدي بذلة بيضاء وأُمها ترتدي فستاناً فضياً، وبينهم مأذون؛ يبدو أن هذا حفل كتب الكتاب كذلك، وذلك لضيق وقت مراد .

سُحرت فريدة بجما لهما ولم تمالك نفسها بعدما أتما عقد القران، همت فريدة بمعانقة مراد، هنا شهق كل من في الحفل، وصُدمت وتين مما جرى، ولكن فريدة لم تدعها تستمر بصدمتها إلا وعانقتها هي كذلك بشدة، ولكن سرعان ما أبعدتها وتين عنها بعصبيتها المعهودة التي ورثتها منها فريدة، وسألت مراد صارخة به:

—من هذه يا مراد . . . ؟



مراد لم يستطع الرد بعد هذا الموقف المخرج أمام الملاء، ولكن سرعان ما تداركت فريدة الأمر وردت يا نجلزيتها:

-أنا جيني، أخت جون زميل مراد، جون لم يستطع الحضور لهذا الحفل، ولكني كنت أرغب بشدة أن أزور مصر، وشعرت أن هذه ستكون تجربة مميزة في زيارتي لمصر...

لم تسمع فريدة أي رد من أحد إلى أن بدأت تشعر أنها غير مرحب بها...
إلا فجأة سمعت صوت جدتها أم أيها تسأل ابنها:

-قل لي يا مراد، ماذا قالت لك...؟

ابتسمت فريدة والتفت لها وقالت بلهجة مصرية ركيكة (سأكتبها باللغة العربية):
-قلت له إنني أرغب في قضاء يوم معكم، لأنني أحب مصر وأهلها...
اقتربت منها جدتها وعانقتها عناقاً قوياً وقالت:
-أنتِ تنورين وتؤنسرين.

ومن ثم أمرت بتشغيل الموسيقى وعودة الفرع من جديد.

رقصت فريدة مع مراد ووتين؛ مراد كان شاباً في الثلاثين، وسيماً، قمحي البشرة، ذا شعر داكن اللون مموج بعض الشيء، بينما وتين كانت آية في الجمال، بيضاء، رشيقة، متوسطة الطول، ذا شعر حريري أشقر اللون (ولكن يبدو أنها من قامت بصبغه . . . هذا ليس موضوعنا) .

كانت فريدة في سعادة عارمة وقد أخذها الوقت من التاسعة إلى أن صارت الثانية عشرة بعد منتصف الليل، وقد هدا الجو . . .

وها هي تقف في شرفة الغرفة التي طلبت منها جدتها أن تنام بها من كرم الضيافة . تقف فريدة في الشرفة وتشرب مشروباً غازياً وتشعر بحمال النسيم الذي يظنه المصريون برداً، ولكنها تشعر أنه مناخ يبعث في المرء الراحة، ولكن فجأة رأت شيئاً أخذ عقلها وجعلها تفكر . . . !

رأت أمامها بيتاً مهجوراً من طابقين شبه محترق، ظلت شاردة فيه إلى أن قطع شرودها صوت وتين التي أردفت بلامبالاة:

-لا تفكري كثيراً في هذا البيت، إنه ليس بيت أشباح .

دُهِشت فريدة من وتين التي فهمت ما تفكر به، التقت لها فريدة فاعرة فاهها، ثم
تمالكته دهشتها وسألته:

هل تعلمين قصة هذا البيت . . . ؟

أخذت منها وتين زجاجة المشروب الغازي وجرعت منها وقالت:

-لا أدري ما قصته بالضبط، لقد تعددت القصص بخصوصه، ولكن بمجرد أن أتينا
إلى هنا عام 2007 بعدما كنا نعيش في بيت العزبة، كان هذا البيت على هذا
الوضع.

-ولكن ما هو الحادث الذي أدى به للهجر هكذا . . . ؟

-يوجد من يقول إنه منذ عشرين عاماً أو أكثر، حدث حريق في البيت.

-وهل نجا أحد . . . ؟

-يقولون إن الجيران حاولوا أن يفتحوا الأبواب أثناء الحريق ولكنها كانت مقيدة
تماماً ولم يستطع أحد كسرها، حتى المطافئ لم تجد منفذاً واحداً كي تطفئ لهيب
النيران، بالرغم أن النوافذ كانت مفتوحة والناس رأوا الحريق الذي يلهتهم البيت،
ولكن بمجرد أن حضرت المطافئ، أغلقت كل النوافذ وأي مصدر للدخول . . .

ولكن فجأة سمع الناس صوت انفجار داخل البيت، ومن ثم قُتحت الأبواب والأغلب منها قد خُلع من مكانه .

وعندما صعد الناس كي يأخذوا حتى جثث الناس الذين كانوا يصرخون، لم يجدوا أي جثة .

قاطعتها فريدة متعجبة وقالت:

— ولكن أنا لا أصدق مثل هذه الأمور .

أكملت وتين تجرع ما تبقى من المشروب الغازي وأردفت ببرود:

— يوجد فرق بين أنك لا تصدق هذه القصة وبين أنك لا تصدق مثل هذه الأمور، وعلى العموم لن تصدق هذه الأمور إلا إذا مررت بموقف ما، يثبت لك أن هناك قوة من عالم آخر .

ارتسمت ملامح التعجب على وجه فريدة وسألت وتين بلهفة:

— وهل مررت بمواقف تثبت لك هذا يا وتين . . . ؟

تصنعت وتين التثاؤب ثم تركت الزجاجاة على السور وقالت بتملل لفريدة:

— هذا موضوع طويل، والوقت تأخر وأريد أن أخلد للنوم .

ولكن فريدة لاحظت أن الحزن قد خيم على ملامح وتين فسألتها برفق وهي تمسك بيدها كي تنظر لها:

-لم يبدو عليكِ العبوس يا وتين . . . ؟

تصنعت وتين أن كل شيء على ما يرام وأردفت:

-لا يوجد شيء، كل ما في الأمر أنني تذكرت . . .

ثم لم تكمل كلامها وتنهدت بأسى، وقامت بتغيير وجهتها للداخل وأردفت:

-لا شيء يا فريدة، أريد أن أنام.

قالت فريدة بإصرار:

-قولي لي، هل صدر مني شيء أحزنك . . .

واجهتها وتين بنظرة حأسلة وقالت:

-كل ما في الأمر أنك ذكرتني بصديقتي في الجامعة.

نظرت لها فريدة بتعجب وتساءلت:

-وما الذي يحزن في الأمر يا وتين . . . !

بدأ الدمع ينهمر من عيني وتين وقالت بحسرة:

— أنا حأسلة لأنها ليست معي، لأنها ماتت . . .

ثم همت بدخول الغرفة وهي تبكي . . .

تصلبت فريدة مكانها ولم تستطع أن تذهب وراءها، قررت أن تتركها تبكي على

فراق صديقتها كي ترتاح، أحياناً يكون البكاء مريحاً من كبت المشاعر . . .

ظلت فريدة واقفة في الشرفة شاردة الذهن، وكانت لا تحيد نظرها عن ذلك

البيت، ولكن فجأة رأت أحداً يتسلل كي يدخل البيت من دون أن يراه أحد، ظلت

تفكر:

— كيف له المرأة أن يدخل بيتاً مثل هذا بالرغم أني لم أعرف بقية قصته ولكنه

مقبض، ولكن ستكون تجربة جميلة حقاً إن أقدمت عليها .

ها هو البيت صار هادئاً، الكل دخل غرفته، وفريدة تنظر للوقت، الساعة صارت

الواحدة صباحاً، أي ما زال معها ساعتان . . .

ها هي تخطو خطواتها الأولى خارج البيت، وقلبها يدق بقوة من الخوف ولكن حبها

للمغامرة أقوى من خوفها، بدأت تخطو خطوة تلو الأخرى إلى أن وصلت لذلك

البيت .



بمجرد أن لمست باب البيت سرت قشعريرة في جسدها ولكنها لم تتراجع بل
أقدمت أكثر وأكثر، ولكن بمجرد أن وقفت أمام الشقة سمعت من يبكي
متنهداً . . .

قررت فريدة أن تغير من إعدادات الجهاز قبل أن تدخل وصارت طيفاً مرئياً لا
محسوساً، خوفاً من أن تتعرض لأي هجوم . . .

ثم دخلت الشقة والرغبة سيطرت عليها، صارت تسمعه يقول:

-لم أقتله، أقسم إنني لم أقتله . . .

وقفت فريدة أمامه وسألته برفق:

-لم تقتل من . . . ؟

رفع رأسه لمصدر الصوت بعدما كان منكساً أرضاً من الحزن، وبمجرد أن تأمل

الملامح جيداً فرح و قام من مكانه مبتعداً . . .

استغربت فريدة كيف لشاب بطوله وعرضه وعضلاته أن يخاف منها هي . . . ؟

ثم بدأ يقترب منها أكثر ويسألها بلهفة والدموع تنهمر من عينيه:

-هل أنتِ على قيد الحياة . . . ؟ ظننت أنكِ مت . . .

فريدة تنظر له لا تحرك ساكناً، لا تدري شيئاً، ومستغربة أكثر من دموعه ورقة قلبه وضعفه غير المناسب مع شكله . . .

همّ بالاقتراب منها، وعندما حاول معانقتها، اخترقها، فرجع للخلف خائفاً مما جرى متسائلاً:

- أنتِ لستِ حقيقة، أنا أتوهم . . .

ثم شرع في البكاء، ولكن فريدة أردفت متعجبة:

- عنن تحدث . . . ؟ من هي التي تتوهمها . . . ؟

- أنتِ يا ياسمين . . .

- ياسمين . . . ! ولكي لست ياسمين . . . أنا فريدة.

- كيف . . . ؟ كيف لا تكونين ياسمين . . . ؟ أدري أن هناك تغيراً طفيفاً ولكن

هذا لا يمنع أن تكوني هي .

- أنا فريدة، ولست ياسمين . . . وأنا لست من هذا الزمن، لقد أتيت من المستقبل .

جلس فارس أرضاً وأمسك رأسه وقال صارخاً متعباً:

- كل هذا وهم، إن هذا البيت ملعون، يظهر لي كل من ماتوا، بالأمس ظهر لي جواد والليلة ياسمين.

- صدقني أنا لست ياسمين، ولكن يمكنني أن أساعدك . . .

نظر لها نظرة حزن وأسى:

- كيف لا تكونين ياسمين، وهذا هو ما فعلته معي بالفعل عندما رأيتني أول مرة بالإسكندرية . . .

- أنا لا أعرف ياسمين، ولا حتى زرت الإسكندرية.

- أنا لا أدري لم صرتِ تحدثين هكذا يا ياسمين . . . !

- لأنني لست ياسمين، أنا مصرية ولكن مقيمة في بريطانيا، فكلامي باللغة العربية صعب بعض الشيء .

- بريطانيا . . . ! ما هذا الذي أمر به . . . ! لم أعد أفهم أي شيء في هذه الحياة.

فاق من توتره وسأل:

- إن لم تكوني ياسمين، هل أنتِ حقيقة . . . ؟

- نعم حقيقة، ولكن كوني حقيقة في زمن آخر، إنما في هذا الزمن أنا لم أولد بعد .

-لا أفهم شيئاً، أنتِ شبح ياسمين أنا أعلم.

-لا أحب أن أشرح الأمر أكثر من مرة، إذا أردت أن تظن أنني ياسمين إذن فأنا ياسمين.

-لا، لا أقصد أن تنفعلي هكذا، إن ياسمين لم تكن سريعة العصبية هكذا.
حسناً، لن أقول لك فريدة، بل أنا أشعر بعد الذي سمعته منك وقدومك من زمن
آخر أنك عجيبة، لذا سأقول لك يا عجيبة.

نظرت له فريدة متعجبة من الاسم، ثم رسمت على وجهها ابتسامة وأردفت:
-عجيبة، أعجبني الاسم ولم لا.

ها قل لي، لم كنت تبكي...؟ يمكنني أن أساعدك.

-أنا أقول لك ياسمين ليس للشبه فقط في الملامح، ولكنك تذكريني بالفعل بأول لقاء
لي بياسمين منذ عام.

جلست فريدة بجانبه وقالت له:

-احكِ لي ماذا جرى في أول لقاء وأنا كلي آذان صاغية.

الفصل الخامس

الفارس

(يحكيه فارس)

بدأ الأمر في شهر أكتوبر من عام 2018، أنا وجواد كنا في الإسكندرية للعمل في أحد المطاعم.

أثناء فترة عملي في المطعم رأيت فتاة جميلة طويلة، ذات شعر بني كستنائي طويل، ترتدي قميصاً كحلي اللون وبنطال جينز؛ ملابسها تدل على قوة شخصيتها، ولكنها كانت تضع مساحيق تجميل على وجهها مما يدل على اعتزازها بأنوثتها وجمالها، كانت تقف أمام لائحة اختيار الوجبات خارج المطعم.

في تلك الأثناء اقترب شاب أسمر نحيل منها، وسحب حقيبتها وهو راكب على دراجته النارية، همت الفتاة بالنهوض من على الأرض والناس حولها ينظرون باستغراب لهول الموقف، ولم يستطع أحد اللحاق بالسارق.

همت من مكانها فوجدت على الرصيف الموازي لها رجل شرطة، لجأت إليه لاهثة وأردفت:

-أريد أن تجلب لي حقي من ذاك السارق .

رد عليها الضابط يبرود وقتور:

-اذهي للقسم وقدمي بلاغاً . . .

انفعلت خاصة عندما رأت أن يدها تنزف من أثر السقطة وقالت:

-وما هو دورك أنت . . . ؟ إن لم تلحق بالسارق لحظة وقوع الجريمة . . . !

نفث الضابط سيجارته في وجهها وأردف:

-كل ما عليك أن تعرفي رقم الدراجة النارية وقدمي بلاغاً في القسم، وهيا أغربي

عن وجهي ليس لدي وقت لك .

قالت له وهي تنظر له نظرة احتقار:

-ليس لديك وقت لكي تلحق بالمجرم، ولا لأن تسمع شكوتي، ولمن لديك

وقت . . . ؟ لديك وقت فقط للتصفح في الهاتف وحرق السجائر، حقاً لن تتقدم

هذه البلاد أبداً ما دام أمثالكم لا يقومون بدورهم .

انفعل الضابط وهم بصفع فريدة وسحبها من شعرها أمام الناس وقال لها سباً بإياها

بأهلها:

— وهل أنتِ من سوف تعلميني عملي يا بنت ال . . .

هنا قد خرج جواد من المطعم فور وصوله، ولكنه لم يتحمل قط ما يجري أمامه، فهمّ
بسحب الشابة من يد الضابط وقال له بانفعال:

— ليست رجولة أن تضرب بنتاً مهما كان، عيب على شاربك الذي على
وجهك . . .

احمر وجه الضابط من شدة الغضب وأردف:

— وهل أنتِ من سوف تعلمني الرجولة يا روح أمك؟ تعال هنا يا ابن ال . . .
وسبه بأمه وهو يضربه برأسه مما جعل رأس جواد ينزف . . .

لمس جواد رأسه ورأى الدم ولكنه لم يكثرث للدم الذي ينزفه، ولكن تلك السبة التي
قالها له أشعلت غضبه؛ فانهال على الضابط وانقض عليه مثل الأسد فأسقطه
أرضاً، ومن ثم همّ بضربه وسبه بدون انقطاع . . .

وها هي تلك الشابة تبكي خائفة مما تمادى إليه الأمر وتحاول أن تسحب جواد من
فوق الضابط كي يتوقف ولكن لا جدوى .

حاولت أن أدخل في الحشد وأمنع جواد، ولكن ما ساعدني في إقناعه بالتوقف عن الضرب هو سماع صوت سيارة الشرطة قادمة، فهمّ جواد وقال لي:

خذها يا فارس وأنا سوف أنصرف . . .

بالفعل أخذتها وهرولنا إلى داخل حواري منطقة المنشية، وفي آخر لحظة نظرت لجواد قبل أن يسلك طريقاً آخر فأشار لي بيده ألا أقلق عليه . . .

قررت أنا وهي أن ندخل حواري ضيقة كي نضيع الشرطة إلى أن وصلنا إلى الطريق المواجه للبحر، فرأينا أتوبيس نقل عام مزدحم، قلت لها بلهفة:

- اركبي . . .

قالت لي بلهفة:

- ولكن . . .

- ليس هناك وقت لك "لكن" . . .

وقمت بدفعها لداخل الحافلة وهي تتحرك وتدخلنا في الزحام . . .

ومن ثم بدأنا في التقاط أنفاسنا، ومن ثم نظرت لي وارتسمت على وجهها ابتسامة وقالت:

-أنت شجاع جداً يا . . .

شعرت بالخجل من مدحها لي وقلت لها:

-أنا فارس . . . ولم أفعل شيئاً، الذي دافع عنك كان . . .

ولكن لم أكمل كلامي لأنها قامت بنزع إيشارب صغير منقوش واضعة إياه في

منتصف شعرها، قامت بفكه وبدأت تمسح وجهي، تعجبت مما تفعله فقامت

بأخذ الإيشارب منها وأردفت:

-أشكرك ولكن لا داعي لذلك، يمكن من كثرة الجري عرق وجهي كثيراً . . .

قاطعتني وقالت:

-ولكن هذا دم يا فارس . . .

حينها دهشت ونظرت للإيشارب، وبالفعل كان ملطخاً بالدم؛ تعجبت وقلت لها:

-لا أدري كيف جاء الدم، أو كيف أصيب رأسي، يمكن أثناء جريتنا بسرعة لم

ألاحظ وصدمت بشيء ما من دون أن أشعر . . .

-لا بل كان الضابط هو من فعل ذلك . . .

-ولكن أنا لم أقرب من الضابط يا . . .

-ياسمين . . . اسمي ياسمين يا أيها الفارس الشجاع . . . ولكن كيف تقول . . .

سرعان ما قاطع كلامنا مسؤول التذاكر في الأتوبيس وقال لنا:

-ها ألن تدفعا . . . ؟

مسكت الإيشارب مضمداً به جرح رأسي، وباليد الأخرى أخرجت ثمن

تذكريتين . . . وبعد قليل خلا مكان فقررت أن تجلس ياسمين فظللت واقفاً بجوارها

ممسكاً بيدي أحد الأعمدة العلوية في الحافلة مما برز من عضلات يدي . . .

نظرت لي ياسمين بإعجاب فابتسمت لها، ومن ثم قالت:

-أين تسكن يا فارس . . . ؟

-أنا أسكن بجوار المطعم الذي حدث أمامه ما جرى اليوم.

-وهل ستعود إلى هناك . . . ؟

-لا أدري سوف أنتظر صديقي يتصل بي ويقول لي ما عليّ أن أفعل، هل أعود أم

لا . . . !

-يمكنك أن تعود . . . لا توجد مشكلة.

-كيف أعود بعد ما حدث اليوم؟

أفهم يا فارس هذا الضابط لا يمكنه فعل شيء، لأنه إن قرر أن يأخذ حقه سوف
يرغ سمعة الشرطة في الوحل بعد اعتدائه على شابة وشاب بالضرب في عز النهار
أثناء تكاسله عن تأدية عمله.

ياسمين أنت طيبة، نحن هنا في مصر، يعني لا يوجد أحد يأخذ حقه إلا من هم من
الجيش والشرطة.

لا أنا لست منحازة إلى أي فئة من فئات الوطن، ولكن أنا ضد كل متكاسل عن
تأدية دوره في هذا المجتمع، سواء معلم مستغل ومتكاسل أو ضابط متقاعس
متعجرف بمنصبه... إذا لم يقيم كل منا بدوره الصحيح وبأكثر جهد ممكن فلنقل
على بلادنا "يا لا السلام".

حقاً لن نغير بلادنا إن لم نغير نحن في البداية.

صحيح يا فارس، يعني على سبيل المثال بسبب ذاك الضابط المتقاعس تكثر
الجريمة لأن السارق يدري أنه ليس هناك رقيب أو حسيب، ومثلاً المعلم المستغل
العاشق للمال وكفى، يعلم الأطفال من الصغر على الجشع وعشق المال، وفي النهاية

يعطيهم الامتحان ويعلمهم الاستسهال والغش، وإن لفعلته هذه لأشراً وخيماً في المستقبل.

- بالفعل، كلنا لنا أثر في هذه الدنيا، وبيدنا أن يكون أثرنا خيراً أم شراً في حياة من حولنا.

نظرت لي ياسمين وعلى وجهها رسمت ابتسامة رقيقة وأردفت:

- بما أنك تقول إننا يجب أن نكون ذا أثر جميل في حياة من حولنا، فكما أنت ساعدتني أريد أن أساعدك.

- لا يا ياسمين، لو كل منا يفعل المعروف لأنه يرغب من الآخرين رده له لن يكون معروفاً، عندما تقوم بعمل الخير ليس من أجل انتظار الشكر أو رده بالمثل ولكن لأخذ الأجر من الرب.

- أوه أخجلتني بكلامك يا فارس، ولكن قل لي إلى أين ستذهب... ؟

- لا أدري، سأذهب لأي مكان، هذا ليس غريباً عليّ، من صغري وأنا هكذا...

رفعت ياسمين حاجبيها وأردفت:

-بيدو أن وراءك حكايات كثيرة يا سي فارس .

-يمكنك قول ذلك .

همّت ياسمين من مكانها وقالت لي:

-هيا سوف أنزل هنا ولن أدعك بمفردك .

-ولم سوف تنزلين هنا . . . ؟

ضربت رأسها بكف يدها ، ومن ثم قامت بسحبي وأردفت وهي تتحرك وتحركني معها:

-لأنني أسكن هنا يا فارس ، هيا معي .

نزلنا سوياً وبدأنا نمشي في شارع إسكندر إبراهيم وتنسم هواء إسكندرية العليل في عز أكتوبر إلى أن وصلنا لعمارتها ، فتوقفت وسحبت يدي وقالت لي:

-هيا معي . . .

نظرت لها باستغراب وقلت لها وأنا أسحب يدي من يدها:

-هيا إلى أين . . . ؟

سحبتني مرة أخرى بلهفة طفولية وأردفت:

-كي أعرفك على أبي وأمي وأخي مصطفى الصغير، متأكدة سوف يحبك كثيرا .

تعرق وجهي من القلق وقلت لها :

-لا لا يصح أن أفعل ذلك .

هيا لا تكن سخيفاً، أنت في أي عصر ؟ نحن في 2018 .

-ولكن ...

هنا سحبتني وشعرت أن قدمي تسوقني معها، صعدنا للدور الثالث في العمارة،

فطرقت الباب، فتح أخوها مصطفى، وهنا سمعت صوت أمها متسائلة:

-من الطارق يا مصطفى ... !

بصوت طفولي أردف وهو يفتح الباب كي يسمح لنا بالدخول:

-إنها ياسمين ...

هنا قد جاءت الأم من المطبخ وهي تقوم بمسح يدها في منشفة صغيرة وكانت تقول

متسائلة قبل أن ترانا:

-وأين مفتاح ...

لم تكمل كلامها عندما رأيته . . . شعرت أنها صدمت عندما رأيته . . . شعرت
بالإحراج فقلت بصوت خافت:

-أعذريني، كان عليّ فقط توصيل ياسمين لذا سأذهب ال . . .

سحبتني ياسمين وقالت لي وهي تجعلني مواجهًا لأمها:

-إلى أين ستذهب . . . ؟

ومن ثم لم تدع لي فرصة للرد وقالت لأمها:

-أعرفك يا أمي، هذا فارس، شاب شجاع دافع عني ولم يهمه أن من يضربه من

أجلي ضابط . . . إنه شاب شهيم وجدع كما يقولون . . .

هنا ارتسمت على وجه الأم ابتسامة ارتياح وقالت مرحبة بي:

-تفضل يا ولدي، عليك أن تستريح قليلاً .

ازداد خجلي وأصررت على رغبتي وقلت:

-لا شكرًا . . . عليّ أن أذهب صديقي .

-عيب يا ولدي، أنت في بيتنا ضيف، ارتح قليلاً وسوف تتناول الغداء معنا، الحاج

عادل سوف يأتي من صلاة المغرب بعد قليل .

ومن ثم أشارت لياسمين أن تأتي معها إلى المطبخ، وتركني أنا مع مصطفى وقد كسانني الخجل من هذا الموقف، كنت أعلم جيداً أنها أخذت ياسمين لكي تعرف منها كل ما حدث . . .

بالفعل بعد 5 دقائق فتح الباب، هنا قمت بالنهوض احتراماً وخجلاً في نفس الوقت، نظرت المتعجبة فور دخوله جعلتني أتصب عرقاً مع أن الجو لا يسمح بذلك، كنت أدعو الله أن تأتي ياسمين وتجاوب بدلاً عني الأسئلة التي سوف تنهال عليّ الآن، والحمد لله ما أتمناه قد كان.

هرعت ياسمين مسرعة إلى أبيها معانقة إياه، وها هو أبوها يقبل رأسها ولكنه شارد عنها، فهمت نظرتة المستائلة، فأخذت منه دفعة الحديث وشرعت في توضيح الأمر:

-انظري يا سي عادل، أعرفك بهذا الشاب الذي له من اسمه نصيب، إنه فارس، وهو بالفعل فارس لا يهيمه الأخطار، وأنه لرجل في زمن كثر به الذكور لا الرجال، لقد تعرضت للسرقة وكل من كانوا موجودين اكتفوا بالنظر وكفى، لا أدري ما جرى

للناس، ولكنه كان مميزًا بل ودافع عني عندما بدأ الضابط الاعتداء عليّ . . . ولم يكف بذلك بل أوصلني إلى هنا .

هنا أخذها أبوها بجانبه وهو يهيم بالجلوس على أريكة الصالون وهو يشر لي بالجلوس:

- أشكرك يا ولدي على موقفك الشهم مع بنتي، ربي يكثر من أمثالك .
كانت أصابع يدي معقودة من شدة التوتر، وكذلك لساني، وبصعوبة بالغة خرجت مني تلك الكلمات البسيطة بعد عناء من الهروب من الخجل:
- لا شكر على واجب، ولكن أسمح لي بالذهاب الآن .
- ولكن إلى أين . . . ؟
- لا أدري .

- أنت من هنا . . . ؟
- أنا مقيم هنا منذ فترة ولكن في الأصل أنا من . . .
هنا قاطعني الحاج عادل وأردف وهو يربت على فخذي:
- سيدو أن قصتك طويلة يا ولدي، فلتحك لي كل شيء بعد العشاء .

هنا سمعنا صوت الأم تنادي بأن العشاء جاهز، تناولت معهم العشاء، ومزاح العم عادل أزال حاجز الحرج تماماً، وبدأت أشعر بالراحة، ومن ثم شربنا الشاي بالفلية (نبذة تشبه النعناع)، ومن ثم وأنا أحتسي الشاي وشعوري بالأمان والحنان ودفء الأسرة هنا سقطت دمعة من عيني، حينها سألتني العم عادل برفق ولين:

— ما بك يا ولدي . . . هل ضايقناك . . . ؟

مسحت دمعي ورسمت ابتسامة على وجهي كي تداري وجعي وقلت:
— لا أبداً يا عمي، بالعكس أنا سعيد جداً لأنني اليوم أول مرة أشعر بمعنى الأسرة.
هنا سمعنا صوت أذان العشاء، فقال لي:

— هيا يا فارس، هيا يا مصطفى نصلي العشاء جماعة في المسجد، وعندما نعود تحك لي ما يضيق به صدرك.

وفي الصلاة وبمجرد سماع القرآن بدأت في البكاء، بعد الانتهاء من الصلاة جلسنا بجوار أحد أعمدة المسجد وقال لي العم عادل:

— يبدو أنك شاب تقي وصالح يا ولدي لتأثر بك القرآن هكذا . . . ولكن بكاءك مجردة هكذا يدل على وجود شيء بداخلك . . . احك لي يا ولدي.

-لا أدري لماذا . . . ؟ ولكن إذا سقط القرآن على مسامعي دائماً أبكي .

-ولكن أريدك أن تحكي لي ما بك . . . لعلني أساعدك يا ولدي .

-لا يا عمي أرجوك، تكفي ضيافتك لي، عليّ أن أرحل الآن .

-ولكن إلى أين . . . ؟

-إلى أي مكان، إلى أن يطمئنني صديقي جواد .

-حسناً إلى أن يطمئنك صديقك جواد أنت ضيفي في بيتي .

-لا يا عمي لا يصح، لا أقبل بهذا .

-هل تريد أن تكون (أجدع) مني يا فارس . . .

-حاش لله يا عمي، ولكن لا أرغب برد المعروف بمثله .

-الله يقول (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) . . . هيا يا ولدي وكفى جداً .

بعد خروجنا من المسجد طلب مني أن آتي معه إلى ورشته الخاصة بالحدادة كي

تتكم سويًا، هنا طلب لنا شاي وبدأ في سؤالني:

-قل لي يا ولدي ما قصتك . . ؟

-أنا يتيم، هربت من بيتي في صغري عندما كنت في سن مصطفى ولدك تقريباً . .

- أه يا فارس، لا تقل التشبيه على ولدي . . .

- أوه أنا أسف، أقصد عندما كنت في العاشرة من عمري . . .

- ولم هربت يا ولدي . . . ؟

- هربت لأن أبي لم يكن يحبني . . . كان يقسو علي كثيراً . . . ويعاملني

كالمنبوذ . . . أو إني غلطة بالنسبة له .

- وماذا عن أمك . . . ؟

- أنا كنت أحبها كثيراً لأنها لم تكن تعنفني ولكنها كانت تحب أبي أكثر مني، تعطيه

الاهتمام أكثر مني، كنت أشعر إني غريب في هذا البيت، كنت منبوذاً من الجميع .

- لم يكن لك أصدقاء . . . ؟

- لم أتعرف على الخروج لكي تكون لدي الجرأة على تكوين صداقات، كل ما كان

يدور في ذهني إني غير مقبول في الداخل من أبي وأمي، فما بالك بالغرباء .

- ولكنك قلت لي أن لك صديقاً اسمه . . .

- أه، لدي صديق واحد وهو جواد، في اليوم الذي هربت فيه من البيت لم أجد

مكاناً أنا فيه، ولكن سرعان ما سمعت صوتاً قادماً . . .

بسبس بسبس .

التفتُ مسرعاً لكي أعرف من صاحب الصوت ومن أين هو . . . ! ولكن عندما
التفتُ لم أجد أحداً، خفت كثيراً وارتجف جسدي من البرد والرعب، كان يومها

السادس عشر من شهر ديسمبر عام 2010 . . .

مر بجوار قدمي فجأة قط أسود ذا عيون خضراء مائلة للصفرة، ولكنه كان يداعب
ساقِي برفق، فنزع ما بداخلي من خوف، جلست القرفصاء كي أقرب منه وأمسح
بيدي عليه، ومن ثم رأيت القط يدخل ماسورة مياه ضخمة جداً موجود منها

العديد في الطريق، فقررت اتباعه، أحببت القط لأنه أهداني إلى هذا المكان الذي
سوف يؤولني على الأقل من المطر، ولكن في لحظة أغمضت عيني وعندما فتحتها
مرة أخرى لم أجد القط، تعجبت من رحيله، كنت أرغب به أنيساً لي، ولكن
سرعان ما قطع تفكيرِي صبي في مثل سني يقف أمامي وهو ممسك بسحاب بنطاله
و . . .

نظرت له بخوف ولكنه سرعان ما سحب سحاب بنطاله مسرعاً وهو يقول لي
ضاحكاً:

—لم أنت مذعور هكذا . . . ! هل أنت جديد في المكان . . . ؟

أومات برأسي وأنا لا أرغب في الرد عليه، لم أعتد أن أتكلم مع أحد، ها هو دخل
المسورة الكبيرة كي يجلس بجواري . . . ولكي سرعان ما ابتعدت عنه، فقال لي:

—لا تقلق مني، وللعلم أنا من كنت أصدر هذا الصوت منذ قليل لذا لا داعي

للخوف . . . أعرفك على نفسي أنا جواد . . . وأنت . . . ؟

تمت بصوت خافت من دهشتي:

—فارس .

كان الضوء خافتاً ولكن عندما حاولت أن أرفع نظري له وأحاول أن أتأمل ملامحه
تعجبت كثيراً واستغربت . . .

كنت أشعر لوهلة إنني أمام مرآة، إنه يشبهني كثيراً، لا يختلف عن بعضنا في شيء
سوى الملابس، يختلف عني أنه راسم على وجهه ابتسامة نابعة من القوة، وأنا مهزوز
خائف كالعادة .

حينها قطع شرودي من هول صدمتي وقال لي:

—أتريد أن تأكل . . . ؟

أومات له برأسي "أي نعم"، فأخذني معه للخارج، وسرنا نمشي في الطرقات سوياً وكان شعور غريب جداً ولكنه لذيذ، أنساني ما مررت به اليوم، وبدأت أشعر أن حياتي القادمة سيكون لها طعم أفضل من حياتي السابقة، وها نحن دخلنا سوقاً شعبياً وكنا نسير سوياً وتحدث، ومن ثم شعرت إني تعبت من كثرة السير، فقررت الجلوس على أحد الأرصفة، فقال لي:

—هل تعبت . . . ؟

قلت له:

—أريد العودة لبيتي، أريد أن أكل، أريد أن أنام . . .

قال لي وهو يجلس بجواري:

—أتريد أن تعود لكي تظل منبوذاً . . . ؟

شعرت بأن الحزن غمرني وصرت مطأطئ الرأس، ولكن سرعان ما رأيت برتقالة أمامي، رفعت رأسي متعجباً، ففتح حقيبته التي تشبه الكيس التي يرتديها وقال لي بثقة:

—إن كنت تريد الطعام فمعني الكثير منه .

نظرت له باستغراب وسألته:

ولكن كيف جرى هذا، كيف؟ كيف فعلت ذلك؟

—هل يهملك كيف...! أم يهملك أن تأكل...؟

مددت يدي وأخذت البرتقالة وقلت له:

—أن أكل، أريد أن أكل.

ومن ثم أكلت وعدت إلى نفس المكان الذي تقابلنا فيه ونمت نومًا عميقًا وما

استيقظت إلا على...

حينها قاطعني العم عادل وقال لي:

—أووه، يبدو أن قصتك طويلة وتحتاج إلى عقل في كامل تركيزه، فلتكمل لي غدًا يا

ولدي، وهيا تعال معي البيت.

—لا يا عمي لا يصح أن أذهب معك و...

—لا بل لا يصح ما تقوله أنت.

—حسنًا إن كنت مصرًا يا عمي على رد الجميل لي، يمكنك أن تجعلني أبيت في المحل

ويمكنك أن تغلق عليّ.

- ولكن يا بني لا يصح . . .

- أرجوك يا عمي .

- حسناً إن كانت هذه رغبتك يا ولدي، أراك غداً على خير .

في الصباح أتى لي في الورشة واندesh مما رآه، لقد وجد كل ما بها مرتب، فقال لي:

- صباح الخير يا وجه الخير .

ومن ثم سرعان ما طلب لنا فطوراً وأكملنا حديثنا، حينها قال لي عم عادل:

- ها أين توقعنا بالأمس . . . ؟

- توقفت حيث قمت بالمبيت في تلك الماسورة الكبيرة في الشارع مع جواد . . .

ولكن ما جعلني أستيقظ هو صوت صراخ طفل:

- أنقذوني أنقذوني . . .

حينها خرجت مسرعاً كي أرى ما يجري، وجدت رجلاً سحب جواد إلى داخل

الحافلة التي يقولون عليها "ميني باص"، ها أنا فزعت وما كان بيدي إلا أن أهرول

ناحية الطريق وأصرخ كي ينقذنا أحد، ولكني لم أذهب بعيداً إلا ووجدت يدًا

ضخمة وضعت على فمي وسحبني إلى داخل السيارة، وعندما التفت أحد المارة لما يجري تعجب من مقاومتي لذلك الرجل، ولكنه قال بضحكة سمجة واضعاً إياي بجوار امرأة منقبة:

-أنت تدري أولاد هذه الأيام صعب أن نربيهم وصعب التحكم بهم .
ومن ثم هم يا غلاق الباب، وكذلك المار لم يعر الموضوع أهمية، وضاع مع ذهابه أُملي في الخروج من هذا المأزق . . .

وعندما بدأت السيارة في التحرك تركني المرأة المنقبة وفكت قبضتها عني ولكني استغللت هذه الفرصة وقررت فتح الباب -----والقفز من السيارة، فتحت الباب ولكن سرعان ما سحبني يد تلك المرأة للدخل وأغلقت الباب بسرعة، وقام الرجال بسبِّي وقامت هي بضربي، حينها كرهت نفسي أكثر لأنني قررت أن أهرب من حفرة نار إلى وادي الجحيم بنفسي، لم أكن أفعل شيئاً سوى البكاء والصراخ، فقامت المرأة بإخراج مطواة وقالت لي بعنف:

-سوف أجعلك تجد بالفعل سبباً للبكاء .

سحبت أذني وأنا أقاوم تلك السيدة الضخمة، ولكنها كانت أقوى وقامت بقطع قطعة من أعلى أذني، لا أتذكر شيئاً .

سوى أول ما لامست السكين أذني، يبدو أنني من هول الصدمة والخوف أغمي عليّ قبل أن يحدث أي شيء .

رسمت ملامح الأسى على وجه العم عادل ومن ثم قال لي:

— آه يا ولدي، يبدو أنك مررت بالكثير من المعاناة في طفولتك .

قلت له بابتسامة نابعة من التحسر على حالي وحظي في الدنيا:

— يبدو . . . ليس يبدو يا عمي، بل بالتأكيد أنا عانيت في حياتي، ولكن حمداً للرب على كل حال .

نظرت لي محاولاً تغيير دفة الحديث الذي أخذ مجرى الحزن مما فات، وأردف:

— أتصدق ؟ لفتت انتباهي أذنك عندما رأيته أول مرة، ولكن أتدري أنها علامة مميزة، ومع وسامتك لم تقل منك أبداً .

ابتسمت بسبب هذا المدح، ومن ثم احتسينا الشاي، وبدأ العم عادل العمل، وعرضت عليه المساعدة، وأكملنا حديثنا، وها أنا أمد له إحدى الأدوات وأنا أقول له بهمة:

-أكمل لك يا عمي ماذا حدث بعد ما قطعت المرأة جزءاً من أذني .

ضحك العم عادل وقال لي:

-لقد أخذتها من على طرف لساني يا ولدي، هيا أكمل .

-استيقظت، وجدت نفسي مع أطفال كثير في غرفة قدرة، ولكن لم أتكلم مع أحد سوى "جواد" الذي رأيته مصاباً في نفس الأذن التي أصبت بها، تعجبت لدرجة التشابه بيننا، ولكن ما جعلني أتغاضى عن دهشتي أنني رأيت الأطفال الثلاثة الآخرين قد جرحوا في وجوههم كذلك .

وسرعان ما سمعنا صوت أقدام قادمة تجاه الغرفة، تلك الخطوات جعلت قلبي يفتت من شدة الخوف، وما إن قُتح الباب حتى رأيت ذاك الرجل الضخم الذي قام باختطافي، فما فعلت شيئاً سوى الشروع في البكاء، ولكنه قاطع بكائي صارخاً:

-هل سوف تقضيها بكاء يا روح أمك؟ هيا جميعكم أمامي كي يعرف كل منكم عمله.

أول من تقدم كان جواد، وكان واثق الخطى، لم يكن خائفاً أبداً، وكأنه تأقلم مع وضعه الحالي، وقال بثقة ورجولة غير متلائمين مع صغر سنه:

-على العموم، في أي عمل ترغبون أن أعمل به سأقوم به أنا وفارس سوياً.
نظر له الرجل باستغراب لطريقة كلامه وأردف:

-ومن هو فارس يا روح أمك أنت الآخر...؟!

أشار عليّ جواد، فقام الرجل بسحبه من قفاه وقال بغضب:

-هي ناقصة جنان؟ أوبضع أطفال يتشرطون... هيا جميعكم أمامي.

فجأة وصلنا، وكنا أمام امرأة سمينة يبدو أنها كانت تلك المرأة المنقبة، ولكنها الآن

غير منقبة، بل لا تمت للإسلام بصلة، إنها لا تعلم عن الدين شيئاً، يبدو أنها عاهرة...

كانت ترتدي ملابس بيت كاشفة أكثر ما هي ساترة، وكان في الغرفة هذان

الرجلان، وكان عدد الأطفال في الغرفة 10 بما فيهم أنا، وأعمارنا تتراوح من 8 إلى

15، ولكن يبدو أنهم معتادون على الوضع، ومن ثم قامت بتوزيع كل مجموعة منا لمنطقة ما لبيع المناديل ومسح السيارات في الظاهر، ولكن الدور الكامن هو السرقة أثناء التسول . . .

خرجت أنا وجواد وصبي آخر عمره 13 عاماً كي يعلمنا الشروط، وأعطانا تحذيراً ألا نتحاذق ونهرب لأن هناك من يراقبنا . . .

لم أكن أفعل شيئاً سوى أنني ألحق بجواد وأراه وهو يتسول ويتوسل للمارة، وفي نفس الوقت ينشلهم ببراعة، كنت مصدوماً مما يفعله، ولكني لم أفعل، وليس بيدي حيلة للهرب فكنت أتبعه .

وفي المساء عندما اتهمنا من العمل، ها هو الرجل الذي قام باختطافي بالأمس يربت على كتفي ويقول للمعلمة:

ـ لن تصدقي يا معلمة، إن هذا الفتى الذي كنا نظن أنه ليس منه رجاء هو أفضل من أتى بإيراد اليوم . . . هذا الفتى معجزة .

كنت متعجباً، لم ينسب لي الفضل فقط ولا ينسبه لجواد؟ ولكن جواد لم يكثر
ونظري وابتسم، قطع استعجابي صوت المعلمة وهي تنادي عليّ وتؤشر لي
بأصبعها كي أقدم إليها:

-تعالى هنا يا... ها ما اسمك...؟

اقتربت منها وأنا أرتعش وأحاول أن أفك شفتاي اللتين التصقتا خوفاً منها:

ف... ف... فا... فا

ضحكت ضحكة تليق بامرأة عاهرة وقالت متهمكة:

-اجمديا فتى، كن رجلاً... .

ومن ثم نظرت لي نظرة لا تليق أن تنظرها لطفل، وقالت بتهكم:

-ها، أأنت رجلاً...؟

لم أستطع الرد عليها ونظرت أرضاً، ومن ثم رد ذاك الرجل الضخم الذي كان يدعى

صبحي وقال:

-لا، هذا سيكون من أولادنا ومن رجالنا فيما بعد يا معلمة سماح، واسمه فارس.

نظرت لي وهي تداعب شعري الناعم وتقول لي:

-إنك داهية، وأنا كنت أظن أنفع منك .

تمت بصوت هادئ وقلت لها :

-جواد من جمع تلك الأشياء .

نظرت متعجبة لصبحي وقالت له :

-أين جواد ذا . . . ؟ !

رد جواد بثقة وقال :

-أنا جواد يا معلمة . . . خدامك . . . وأنا وفارس واحد .

نظرت المعلمة سماح بتعجب وقالت :

-بالفعل واحد .

ومن ثم قالت بتهكم :

-لا تفرق فارس من جواد، هذا راكب وهذا مركوب .

ومرت السنين، واستمر وضعي على ما هو عليه، أنا وجواد مع بعضنا البعض

خطوة بخطوة، أنا ألهي الناس وهو يسرق، إلى أن صار عمري 18 عاماً تقريباً، ومن

ثم بدأت المعلمة سماح في التقرب مني صراحة، وتلميحاتها صارت بمنتهى الجراءة،

ولكني عفت نفسي عنها، لا أقدر أن أفعل ذلك، لا أقدر على التفكير في القيام
بتلك الرذيلة، فقلت لي يوماً متعجبة:

-يعني السرقة حلال والزنا حرام...؟

لم أرد عليها وقررت أن أخرج من الغرفة، فنادت عليّ قبل أن أهرع بالخروج، ولكني لم
أعبأ لمناداتها، وقمت بفتح الباب، ولكنها حينها همت كي تلحق بي وأغلقت
الباب وسألتني وهي تقيدني من الحركة بسبب جسمها الضخم الملتصق بجسدي
الذي لا يزال صغيراً مقارنة بضخامتها، أنها طويلة القامة وسمينة جداً ولكنها جميلة
ولكني أشمز منها، ها أنا أريد إبعادها عني، إنني أكره شعوري بأنفسها على
وجهي...

فقلت لي وهي تحاول لمسي:

-ما بك يا فارس لم أنت متقلب المزاج هكذا؟ أنا صرت لا أفهمك، لم تغيرت عليّ
هكذا...! ولا عندما تأكدت أنني أحبك وأريدك فتستغل حيي هكذا...!
-ابتعدي عني.

وقمت بدفعها ورحلت، فلم يهمها ما فعلته بها وقالت لي وهي تقف تستند على

الباب:

-مسيرك تأتي لي من أجل المزاج.

ذهبت لجواد وبدأت أشكي له ما أمر به من محاولات تقرب هذه المرأة، ولكني

تفاجأت من ردة فعل جواد، رد عليّ وهو ينفث دخان سيجارته وقال بثقة:

-أعط لها ما تريده منك وخذ منها مقابل، الست تريدك يا جدع.

-استغفر ربك يا جواد، أنا أقول لك ذلك كي نقرر سويًا خطة للرحيل من هنا، لقد

سممت من كوننا سارقان، والأدهى أنها الآن تريدني أن أرتكب فاحشة كبيرة معها

تلك العاهرة، هذه المرأة لا تخاف الله، تسرق الأطفال من أهلهم وتعلمهم السرقة،

والبنات بمجرد بلوغهن تجعلهن يعملن في الدعارة، إنها شيطان لعين.

-إن بني آدم ألعن من بني إبليس يا صديقي.

لم أفهم مقصده ومن ثم قلت له بتوتر وبهمس:

-هيا، قل لي فكرة للهروب، لا أستطيع أن أكمل في هذا الجحيم أكثر من ذلك، قلبي

يؤلمني من معصية ربي.



-أنت مثلك مثل كل بني آدم خطاء وعاصٍ .

-نحن نعصي الله ولكن نتوب ولا نكمل في المعصية .

همّ جواد بالخروج من الغرفة وقال لي:

-ارتح أنت ولا تشغل بالك، وأنا سوف أدبر لك الأمر .

ولكنه خرج ولم يعد، تعجبت إلى أين ذهب الآن فقررت أن أخرج في البحث عنه،

وأثناء مروري في ممر البيت سمعت صوتاً قادمًا من غرفة المعلمة سماح، إنها السافلة

الفاجرة تتأوه وتقول اسمي .

-اسمي كيف . . . ؟ !

قررت أن أنظر من فتحة المفتاح في الباب فرأيت جواد هو من . . .

-آه . . . يا إلهي، لذلك نظراتها غريبة وقالت عني متقلب المزاج . . .

ولكن لم يفعل جواد ذلك . . . ؟ ! لم يقل لي . . . !

قررت أن أدخل عليهم ولكن ما جدوى ذلك . . . ! لن يفيد أن يعرف الناس أنها

زانية لأنها عاهرة قوادة في الأساس .

قررت أن أنتظر في غرفتي إلى أن أتى جواد الغرفة وهو يترنح وحسن المزاج، ولكن

عندما رأى عيني يتطاير الغضب منهما قال لي باستغراب:

— ماذا بك . . . ؟ لم تنظري هكذا . . . ؟

انقضضت عليه ممسكاً إياه من ياقته متسائلاً وعينا ي تذر فان الدمع:

— لم فعلت هذا يا جواد . . . ؟ لم لوثت نفسك في الوحل . . . ! لم فعلت ذلك

وانتحلت اسمي لم . . . ؟

قام جواد بإنزال يدي بلامبالاة وقال:

— وهل أنت تشعر بالضيق من فعلتي ولا من اتحال شخصك واسمك ؟

لم أرغب في النظر له وأعطيته ظهره، لم أعد قادراً على مواجهة نظراته القوية التي لم

تشعر بالخزي أبداً، ومن ثم قلت له:

— لا تفرق، لا أريدك أن تأخذ ذنب هذا الفعل الشنيع ولا أريدك أن تشركني فيه

كذلك.

رد جواد ببرود وهو يهم ياشعال سيجارته:



—هي بالفعل لا تفرق، أنا وأنت واحد، نشبه بعض كثيرًا، لا يوجد فرق إن قلت فارس بدلًا من جواد، وعلى العموم أنا فعلت ذلك من أجلك، فعلت ذلك نيابة عنك كي أستغل المعلمة وكي أكمل الخطة التي سوف نبدأ في تنفيذها بعد قليل .
التفت له غير فاهم وسأله:

—حقًا؟ فعلت هذا من أجلي؟ وبهذه السرعة فكرت كيف نهرب يا جواد . . .
نفت دخان سيجارته وقال لي بثقة المعتادة:

—لا داعي للحديث الآن، بعد قليل سوف تفهم كل شيء .
بعد قليل وجدته خرج من الغرفة، ومن ثم عاد لي وهو يحمل على ظهره حقيبة ظهر،
سأله باستغراب:

—ما تلك الحقيبة يا . . .

قال لي بغضب هامس وهو يضغط على أسنانه:

—لا أريد كلامًا كثيرًا، اتبعني هيا .

ولكن على الباب ها هو صبحي يسأل جواد:

- إلى أين العزم إن شاء الله؟ أنا أعرف أنك مجتهد في عملك ولكن ليس لهذه الدرجة .

ولكن لم يكمل صبحي كلامه إلا وقد قام جواد برش منوم في وجهه، ومن ثم نظري هامساً ومؤشراً لي أن أتبعه، وبدأنا في الجري، وأنا أسأله وأنا أحاول أن أتنفس:

- إلى أين يا جواد . . . ! وماذا حدث فهمني . . . ؟

لم ينظر لي حتى وقال لي:

- عندما نصل سوف أشرح لك كل شيء .

هرولنا إلى أن وصلنا محطة القطار وتوجهنا إلى الإسكندرية، كان جواد متمسكاً بالحقيبة بقوة وهذا أثار حيرتي فسألته:

- ماذا تحتوي هذه الحقيبة . . . ؟

لم يكثر جواد لسؤالي وأجابني بلامبالاة:

- لا يمكنني أن أقول لك الآن، بمجرد وصولنا سوف أفهمك كل شيء .

وها نحن قد وصلنا، ولكنه قال لي سوف نفترق من محطة سيدي جابر وسوف
نعود إليها السادسة مساءً، كل منا سوف يذهب في طريق لكي نعرف مكاناً نعيش
فيه، وعلى الموعد المحدد كل منا يقول للآخر ما توصل إليه .

سألني حينها عم عادل وقال لي متعجباً:

- وهل وثقت به ؟ ألم تظن أنه يمكن أن يرحل ولا يعود إليك من جديد . . . !
- بالعكس يا عم عادل، أنا أثق في جواد وثقتي به فاقت كل الحدود، إذا كان يريد
تركي لكان تركني منذ البداية في بيت المعلمة سماح وأتخذ نفسه وكفى، بل إن جواد
دائماً يفكر بي قبل أي شيء، جواد يكملني، جواد أرسله الله لي كي يكون لي السند
والأب والأخ، وكي يكون لي العوض في هذه الدنيا .

دعني أكمل لك، لأنني إن بدأت أحكي لك على مواقف جواد معي لن أتوقف عن
مدحه، من ثم ذهب كل منا في طريق وبالفعل ذهبت إلى المحطة الساعة السادسة،
كنت قلقاً ألا أجده لأنني لن أعرف كيف سوف أصل إليه لأن ليس معنا هواتف،
جاء في بالي أن أترك المكان وأبدأ في البحث عنه، ولكن بمجرد أن التقت مغيراً

وجهتي، وجدت يدًا على كتفي، كان هو، جواد، بمجرد أن رأيته عانقته، هو الأمان لي والمؤنس، قال لي وهو يخرجني من حضنه ويربت على كتفي:

—ها، هل وصلت لمكان...؟

—لا، لم أصل لشيء، كلهم رافضون لصغر سني وغير ذلك لأنني شاب، كلهم لا يثقون أنني قادر على الدفع وليس من الأمان أن يسكنوا شابًا عازبًا في عمارتهم.

قام بإخراج علبة السجائر الخاصة به وأشعل سيجارته وبدأ ينفث دخانها وقال بثقة وهو يتلفت وأشار لي بيده:

—حسنًا، تعال معي.

لحقته وأنا لا أدري وأقول له متعجبًا:

—ولكن إلى أين...؟

—سوف تفهم كل شيء الآن... هيا معي.

وصلنا إلى قهوة شعبية في سيدي جابر، سأله هامسًا بسؤال غبي:

—هل سنعيش هنا...؟

نظري متعجبًا من مستوى ذكائي ولم يرد عليّ، ومن ثم نادى وقال:

-السلام عليكم يا معلمة قدريّة .

نظرت فوجدت امرأة في الخمسين من عمرها ، ولكن القوة ظهرت من ثبات خطواتها وصوتها وتمكّنها بين الرجال ، كانت ترتدي عباءة سوداء وكانت تغطي شعرها بإيشارب أسود وكانت مشمرة عن ساعديها لتكشف عن ذهبها ، وقالت بصوت قوي مجلجل وهي تقترب لطاولة ما وأشارت لنا بالقدوم:

-تعال يا جواد .

تقدم جواد للطاولة وجلس فاتبعته .

قال لها بثقة وهو يقوم برمي عقب سيجارته ونفث دخانها جانبا بطريقة لا تناسب مع سنه ذات الـ 18 عامًا فقط ، ولكن شخصيته تعكس رجولته ورجاحة عقله:

-تمام يا معلمة نقول "أمين" على المكان، ولكن الشقة سيعيش بها معي أخي

فارس .

قالت له المعلمة بلامبالاة وهي تخط بكف يدها على الطاولة:

-يعيش معك أخوك، أبوك، عشرة من أصدقائك لا يهمني، كل ما يهمني التأمين والإيجار، وأنت حر .

—وأنا جاهز يا معلمة، والآن لأنني أريد أن أرتاح من السفر.

حينها لم أفهم شيئاً، كنت أنظر له مستغرباً وهمست له:

—كيف سوف تأتي لها بكل هذا المال . . . ؟

قال لي وهو يوكزني:

—اسكت الآن وسوف أشرح لك كل شيء لاحقاً.

قلت له وبدأت أشعر بالحيرة:

—أليس لديك سوى هذه الكلمة؟ هل تريدني أن أمشي على عماي معك . . . ؟

—لم يبقَ إلا القليل، هيا معي.

وبالفعل أخذتنا المعلمة قدريّة، إن لديها صحة وقوة مثل شابة في العشرينات بالفعل،

وإنها ليست قبيحة الشكل ولكنها سليطة اللسان، وصلنا معها إلى عمارة تتكون

من خمسة أدوار فقط، دخلنا معها مدخل العمارة القديمة التي هي للبيت القديم

أقرب، وفتحت لنا باب شقة في الدور الأرضي، الشقة كانت تتكون من غرفة

واحدة وحمام صغير ومطبخ صغير أيضاً وصالة، كانت الصالة تحتوي على أريكة

خشبية قديمة تبدو أنها من أيام الاحتلال، وتوجد طاولة دائرية في المنتصف، وفي

الغرفة سرير متوسط الحجم وكفى، شقة فارغة تماماً لا يوجد بها شيء سوى ما قلته فقط .

جلسنا على الطاولة ودفع جواد 10000 جنيه تأمين وإيجار مقدم 1000 جنيه، تعجبت كيف يدفع إيجار 1000 جنيه في هذه الخرابة، ولكنه مسك يدي كي لا أنطق، ومن ثم همت المعلمة بالخروج، وقبل أن تخرج وقفت عند الباب ونظرت لجواد نظرة لم أرتح لمغزاها وقالت:

-مبروك عليك يا جواد . . . مع أنك بهذا خسرتني الكثير ولكن هذا طبعي أحب الخير، وأحب أن أسند الغير .

وقف جواد واقترب من الباب وقال لها وهو يتسهم:

-كلك ذوق يا معلمة، وأنا خدامك من اليوم .

ربت على صدره وقالت:

-تسلم يا ذوق .

ورحلت، فهمّ جواد بقفل الباب وراءها وهو يتنفس الصعداء، ولكني لم أدعه يكمل تنفسه حتى قمت من مكاني كي أسأله:

—من أين أتيت بالمال يا جواد، وما هذه الخرابة التي نحن بها الآن، لا تستحق كل هذا المال.

نظري متسائلاً:

—أهذه "شكراً" التي يجب أن تقولها لي يا فارس...؟

—شكراً على ماذا...؟ أنا لا أفهم شيئاً...!

—من دون هذه الشقة سوف نكون في الشارع، أتريد أن تكون في الشارع يا

فارس...! ها قل لي؟

تمتت وقلت:

—ولكن...!

قاطعني وقال بثقة:

—لا تكمل كلامك، سوف أريحك وأحكى لك كل شيء من البداية للنهاية.

لقد استغللت المعلمة سماح وأعطيته مرادها كي أستطيع في النهاية بعدما تعاطت

المخدرات أن تقول لي رقم خزنتها السري، ومن ثم خدرتها، وأخذت مالها، إن



المبلغ ليس كبيراً مجرد 100 ألف فقط بالرغم أنني كنت أظن أن معها الكثير في الخزنة.

قررت ترك القاهرة والرحيل عن إمبابة تماماً كي لا يصلوا لنا رجالها، لأن العيون سوف تسلط علينا نحن فقط لأننا من هربنا وأكد بدءوا البحث عنا من الآن، فقررت السفر للإسكندرية حيث لا يعرفنا أحد .

قررت البحث عن مكان ولا يوجد أفضل من القهوة حيث يوجد ناس مختلفة وأكد أحد منهم سوف يوصلني لحل، واحمد ربك على هذه الخرابة لأن لا يوجد أحد يسكن من هم أمثالنا لا في عمرنا ولا أكبر منا، لا يوجد أحد يؤمن لعازب يسكن في عمارته .

وهذه المرأة بمجرد النظر لها علمت أنها مشبوهة وسكتها بطالة، قلت هذه التي سوف تأتي لي بحل، لعبت عليها بكلمتين، أنت تعرف مدى تأثيري، وهذه الشقة أنا أعرف جيداً هي كانت توجرها بالليلة للقمار أو للعشاق، ولكن الحكومة هذه الأيام شادة حيلها، فصارت تخاف أن توجرها للعشاق أو للقمار، فنحن فرصة لها من السماء، بدلاً من غلقها تماماً، هي قالت "نصف العمى ولا العمى كله" . . .

نظرت له باستغراب:

يعني أنت لم يكفك فعلتك الشنيعة التي فعلتها، بل وسرقت . . .

قاطعني بضحكة تهكمية:

حلوة سرقت، على أساس من صغري كنت ماذا أفعل . . . ! كنت أصلي، هذا

جزاؤها، هي من علمتي، وطباخ السم يجب أن يذوقه، وإن جئت للحق، هذا

مالي وتعبي وشقائي، ومالي الذي جمعه كان أكثر من هذا، ولكن هيا . . .

وقفت أمامه وسألته وأنا أنظر في عينيه:

هيا . . . ! هيا ماذا . . . ؟ أنت كيف بارد الأعصاب هكذا . . . ؟ لم ترغب

أن تبدأ بداية جديدة فيها رضى الله . . . ؟

إن لم تعجبك الحياة معي، فلترحل يا فارس، وهيا اخرج نم في الشارع، دع ربك

يرعاك ويدفئك في عز الصقيع .

زاد من حدة غضبه ورزع الطاولة وقال:

هيا اخرج من هنا ودع مالي الحرام واطلب من ربك يطعمك ويسقيك .

نظرت له بدهشة من تجرؤه على ربه وسألته وأنا أمسك بذراعه كي ينظر لي:



-كيف تجرباً وتقول هكذا على ربنا . . . !

ترك يدي غاضباً وأردف:

-ربك وحدك . . . سوف أترك البيت حالاً وأنت فكر، واختر، رضى ربك أم

الحياة معي .

لحقت به وقلت له:

-دعنا نبداً سوياً من الصفر بداية يحبها الله كي يرضى عنا .

-أرضه أنت فقط إن كنت ترغب، ولكنه لن يرضى عني لأنني لا أريد، أنت حر

بيدك أن تختار الواقع أم تمشي وراء وهمك .

وأغلق الباب بقوة ورحل .

قررت أنا أيضاً أن أرحل، قررت ألا أكمل في الحرام وأن لا أكل مالاً حراماً، قررت أن

أرحل وقلت إن الرب لن يجعلني أضيع أبداً .

ولكن بمجرد أن خرجت من البيت بدأ المطر ينهمر بقوة، وما أدراك ما مطر

الإسكندرية شتاءً، كنت حينها في أول يناير من عام 2018 وحببات المطر كانت

تسقط بقوة أرضاً، كانت حبات المطر مثلجة من شدة الصقيع، نظرت للسماء
وقلت للرب:

يا رب ما معنى مطرك الآن...؟ هل مطرك يعني سخطك عليّ وعدم رضاك
عني...؟ أم أن هذه علامة أن أظل في هذا البيت!؟ إلهي هل تسمعي...؟
أعطي إشارة...؟ ساعدني...! يا رب إن كنت راضياً عني وسوف
تساعدني إن رحلت، أوقف مطرك، سوف أفهم أنك موجود وأنك سوف تعينني
على القادم، انتظرت 10 دقائق على أمل أن يتوقف المطر وأرحل من هنا، ولكن
المطر لم يتوقف بل زاد أكثر وأكثر، حينها شعرت بأسى وقلت لنفسي:

— هذا معناه شيئين: أنك يا رب غير راضٍ عني، أو أنك غير موجود فلم تسمعي ولم
تساعدني.

حينها رأيت جواد قادماً من آخر الشارع ومعه كيس كبير ونظري وابتسم، وعندما
اقترب قال لي:

—ها ماذا قررت؟ تختار الواقع أم الوهم...؟

لم أجبه وطأطأت رأسي أرضاً، فأخذني من يدي وقال لي وهو يدخل مدخل
العمارة وفتح باب الشقة ونظر لي كي أتبعه وقال لي:

- تعال، لقد عملت حسابك وجلبت لك طعاماً معي، تعال . . .

سحبتي قدمي تجاهه، وبدأت أكل على الطاولة وأنا شارد أسأل نفسي:

- لم يربي تركني وحدي . . . ؟ لم جعلني أحتاج لغيره لا هو . . . ؟ أليس هو المعطي

الكريم . . . ! أليس هو الأمان لعباده . . . ! أليس هو الرحيم . . . ! أين

هو . . . ؟ لم تركني . . . ؟

قطع شرودي جواد وقال لي وهو يضحك:

- لم أنت حابسلك هكذا ؟ لم أكن أظن أن الطعام بهذا السوء . . . !

مضغت بضع لقيمات وقلت له:

- أنا فقط متعب، أحتاج أن أنام .

نمت واستيقظت، كنت مريضاً بسبب مطر الأمس، سألت ربي:

- لم أمرضني . . . ؟ أنا كنت أريد أن أظل بعافيتي كي أبحث عن عمل، على الأقل

أرضى بالحرام فترة إلى أن أتمكن من الاعتماد على الحلال ! لم لا تعينني ! لم !

عندما استيقظت رأيت نفسي بملابس غير الملابس، ومغطى ببطانية، وأنا أتذكر أنه لم يكن هناك بطانية من الأساس .

فجأة سمعت باب الشقة يُغلق، فبدأت في السعال، فجاءني صوت جواد متسائلاً:

-هل استيقظت يا فارس . . . ؟

جاهدت نفسي على الكلام وقلت له:

-استيقظت منذ قليل .

قال لي بصوت عالٍ:

-تعال هيا من أجل أن ترمّ عظمك بالفطور .

لم أرغب أن أكل، كان بداخلي شعور ندم وحزن بأن الرب غير راضٍ عني، يوجد

شيء ينغص عليّ، لا أدري ما هو . . . !

قلت لجواد بصوت متعب:

-افطر أنت يا جواد أنا لا أريد .

بعد دقيقتين رأيته جاء لي الغرفة وفتح الأكياس وفرشها على السرير ووضع عليها

الفطور وبدأ يجعلني أكل .

كنت أنظر له وأحمد الرب على جواد:

-أحمدك يا ربي على نعمة جواد في حياتي، لن أجد أحداً يحبني في الحياة مثله،
أكنت تريدني ألا أرحل من هنا لأنك تحبني أيضاً يا الله...! أحاول أن أفهم
حكمتك ولكن لا أدري.

قطع شرودي صوت جواد، ولكني لم أسمع جيداً ما قاله لي، فقلت له وأنا أمسك
يده:

-أحبك يا صديقي ويا أخي الذي لم تنجبه أُمِّي، أصدقاء وأخوة إلى الأبد .
نظري ورسمت ضحكة على جانب فمه وقال لي:
-إلى آخر يوم في حياتك يا فارس .

فطرت وقال لي:

-ارتح أنت اليوم .

فقلت له بندم:

-لا أريد أن أرتاح، أريد أن أبحث عن عمل يا جواد .

ربت على كتفي وقال لي:

-نم وارتح أنت اليوم وفي المساء سوف آتي لك أكون قد وصلت لحل في موضوع

العمل، ولا تنسَ تأخذ الدواء، ها هو بجوارك .

في المساء جاء لي جواد ومعه الغداء وقال لي:

-المعلمة قدرية تحتاجنا معها للعمل في المقهى، أنت سوف تعمل صباحاً وأنا سوف

أعمل مساءً .

-ولكن لم ليس معاً . . . ؟

-هذا رأيها يا فارس، إن لم يعجبك العمل يمكنك أن تبحث عن غيره، بالنسبة لي أنا

موافق عليه .

قاطعة مستغرباً:

-ماذا تقول يا جواد . . . ! أقول لك أريدك معي في نفس الوقت تقول لي أن أبحث

عن عمل في مكان آخر مختلف . . . ! حسنًا يا سيدي موافق، أي شيء إلى أن

نجد عملاً سويًا .

تناولنا الغداء وتركني وقال لي:

-سوف أذهب للعمل الآن، تناول دواءك عندما تستيقظ .

قلت له بصوت شبه عال مجاهدًا نفسي على الكلام كي يسمعني وهو عند الباب:

— حسنًا، سوف أرتاح الآن، كي أستطيع الذهاب للعمل صباحًا.

جاءني صوته وهو يغلق باب الشقة:

— إن استطعت فلتفعل.

في الصباح ذهبت وباشرت عملي بهدوء، أخذ الأوامر وأنفذ فقط، بعد قليل

جاءتني المعلمة وسألتني:

— لم أنت هادئ، هل حدث شيء ضايقك...!

سعلت بهدوء ومن ثم قلت لها:

— لا يوجد شيء يا معلمة، ولكني متعب قليلًا.

تمر الأيام والمعلمة اعتادت على طبعي الهادئ ولم تعد تستغرب منه، وصرنا لا نتقابل

أنا وجواد إلا في الصباح عندما يوقظني ونفطر سويًا، وأنا مساءً عندما أوقظه

وتتناول الغداء سويًا.

بعد مرور شهرين من وجودنا في الإسكندرية، بدأت المعلمة في بناء دور سادس

فقررنا أن نساعد مع العمال ولكن بأجر، كنت أحمل الطوب وأرفعه وبعدها يتبعني

جواد، وفي كل مرة أحمل كانت المعلمة تنظري، كنت أعلم جيداً أنها نظرات إعجاب، ولكن كيف تفكر بذلك وأنا في عمر أولادها إن كان لها أولاد من الأساس.



تمر الأيام وأكملنا الشقة، فصار عملي في الصباح في البناء أنا وجواد، وفي المساء يذهب جواد بضع ساعات للمقهى كي يساعد المعلمة. بعد أن أكملنا البناء، بدأت المعلمة ترسلنا مع عمال آخرين للبناء، فصار عملي الجديد في البناء.

قاطعي العم عادل وقال لي:

-بالفعل، وأنا قلت ما سبب بنية جسدك الرياضية. . !
-أه يا عم عادل، إنه لعمل شاق، ولكن كنت سعيداً لأنه حلال؛ فعندما كنت أعود ومعني طعام اشتريته بالمال الذي تعبته به، أشعر أنني مرتاح لأنني أعلم مصدر هذا المال بأنه يرضي الله.



ما زلت أفكر به في كل لحظة في حياتي، أبحث عنه في كل ما أفعله، يوجد شيء رابطني به رغم كل شيء .

-ونعم بالله يا ولدي، أكمل لي .

-لم تستمر راحتي يا عمي، وفي يوم رأيت جواد يأخذ المال الذي كان يخبئه وخارجاً من البيت، قلت له باستغراب:

-إلى أين أنت ذاهب بالمال يا جواد . . . ؟

-لا شأن لك، هذا مال حرام كما تقول، فلا شأن لك به، أفعل به ما أشاء .

وحيرتي لم تدم كثيراً إلا أنني صرت أرى جواد كل يوم معه مال كثير . . . فقررت أن أسأله:

-جواد، من أين لك بكل هذا المال . . . ؟ قل لي الحقيقة . . . !

يا سيدي مالي وقمت بتشغيله، ما المشكلة !

-تشغيله في ماذا . . . ؟ أتريد أن يزيد الحرام في جيبك ؟

-أنت لك طريقك وأنا لي طريقي، لم أقل لك أعطني مالك وأشغله لك .

-أعطيك مالي تشغله في ماذا . . . ؟

-لا يهم في ماذا، ولكن إن كنت ترغب أن يكون معك مال مثلي أنا سوف
أساعدك.

قمت من على السرير وقلت له:

-لا أريد أن أعطيك قبل أن تفهمني سكة هذه الأموال في البداية.

قام بربط حزمة المال ووضعها في كيس ثم في الحقيبة، وقام بغلقها وهو يقول لي:

-لا، لن أقول لك، لأن الموضوع يخص كباراً.

إن كنت تريد الزيادة فأنا رقبتي لك سداة، ولكن كثرة كلام لا أريد؛ لأن الكلام في

هذا الموضوع تضع فيه رقاب.

نظرت له وأنا أسحب منه الحقيبة وقلت له:

-ولم دخلت في هذا الطريق الذي تضع فيه رقاب يا جواد . . . ؟ ألا تريد أن نعيش

في أمان . . . ؟

سحب الحقيبة من يدي ووقف وقال:

-العيش في أمان لا يدعك تخطو خطوة للأمام. الذي يخاف يظل طول عمره بجانب

الحيط إلى أن يسقط عليه ولا أحد يدري عنه . . .

- وهل يعجبك وأنت ماشٍ في سكة خطر لا تضمن أتعيش غداً أم لا . . . ؟
- ولم يهمني أن أفكر في أن أعيش غداً أم لا ما دمت أعيش سعيداً ومعني مال
الآن . . . ؟

- هل كل شيء بالنسبة لك المال وكفى . . . ؟
- لأن المال بالفعل كل شيء ، قل لي ما هو المهم سوى المال . . . !
كنت سوف أنطق ولكنه سرعان ما أسكتني وقال:
- لا تحاول إقناعي بكلام غير واقعي ، أنا لا يقنعني شيء سوى الواقع وكفى ، المال
هو سيد العالم .

- ولكن يقولون إن المال عبد جيد وسيد سيء ، لا تجعله يتحكم بك .
هم بالخروج من الغرفة وهو يتكلم بغضب:
- من قال ذلك أحمق ؛ من معه المال هو السيد ، ومن ليس لديه مال هو العبد ، نحن
عبيد من دون المال .

ومن ثم التفت لي وهو يقف عند باب الشقة وقال:

-لا تتبع هذه الحكم الزائفة يا صديقي كي لا تضع حياتك هباءً بدون فائدة؛
صدقني من يقولون هذه النصائح هم لا يأخذون بها في الواقع، كله كلام على ورق،
ولا يتأثر بها إلا من هو أحمق .

ومن ثم رحل وتركني شاردًا أفكر، من منا هو الصحيح . . . !

تمر الشهور، وكل شهر كانت المعلمة تأتي لجواد وتعطيه مالا لا تأخذ منه الإيجار؛
علمت حينها أن المعلمة هي أيضاً في طريق جواد .
آخر شهرين كان ظرف المال به أقل، فسألها جواد لم المال أقل هذه الفترة . . . !
فردت عليه:

-السوق نائم هذه الأيام يا جواد على عينك .

نظر لها وابتسم جواد وضحك بتهكم:

-على عيني أن الوضع كما هو عليه يا معلمة، لا يغيركم صغر سني .
حاولت أن تجعله يهدأ وقالت له:

-اهدأ يا جواد وكلها فترة وسوف يعود الوضع كما كان وأفضل، لا تدع الشيطان يدخل بيننا .

-أي شيطان يدخل بيننا . . . ؟ لا يوجد أي شيطان بيننا ، وإن كنت تحافين من الشياطين ويطشها فأنا شيطان ، فاحذري من اللعب معي .
رحلت المعلمة ، فخرجت أنا من الغرفة وسألته :

-ماذا كان يحدث . . . ؟

أخرج سيجارة وبدأ ينفث بها بغضب وقال لي :

-لا تشغل بالك ، ولكن استعد للرحيل من هنا ، الليلة .

استغربت وقلت له :

-كيف . . ؟ ولماذا الآن . . . ؟ بعد أن استقرنا . . . ! ووجدنا عملاً . . . !

ومالك وعملك أنت . . . ماذا سوف تفعل . . . !

نفث دخان سيجارته وقال :

-لا تشغل بالك يا فارس ، قلت لك كل ما عليك أن تستعد وأنا سوف أتصرف ، لا

تقلق .

الساعة الثالثة فجراً جاء لي جواد وأيقظني وقال لي:

—هيا فلنذهب، الآن... .

كنت غير مستوعب ماذا يقول لي، فقام بسحبي كي أقوم وقال بغضب:

—هيا، يا فارس، وارحمني من كثرة الأسئلة.

وبالفعل ارتديت حذائي وأخذني وقال لي:

—أنا جهزت كل شيء هيا اتبعني.

وحمل حقيبة ظهر ضخمة وتحرك وأنا كنت معه، وفي آخر الشارع كانت هناك

سيارة، وبدون كلام كثير ركبت السيارة، ووقفنا عند إحدى حواري المنشية،

ودخلنا شقة في بيت قديم جداً، شكر جواد الرجل الذي أوصلنا ومن ثم دخلنا

الشقة، وتعجبت أنه قام بفتحها، سأله متعجباً:

—كيف... ؟

لم أكمل تساؤلي فقال لي جواد وهو يهيم بالدخول:

— ألا تكف عن الأسئلة يا فارس، سوف أريحك يا أخي، أنا موجود في الإسكندرية منذ ثمانية أشهر ولي أصدقاء، وتصرفت في هذه الشقة من شهر عندما بدأت المعلمة قدريّة تلعب بذيلها معي .

دهشت مما قاله:

— تلعب بذيلها كيف . . . ؟

— لا تشغل بالك، ارتح الآن وفي الصباح سوف أشرح لك الوضع الجديد .

قال لي العم عادل باند هاش:

— وهل أنت مسلم هكذا دائماً يا ولدي . . . ؟

— لا أدري يا عمي والله، في أغلب الأوقات يخفي عني جواد ما يربيه، ولكنه دائماً يفكر في مصلحتي .

— ولكني يا ولدي أظن أن طريقه خطأ وبذلك سوف يجرحك في هذا الطريق، وهذا سوف يعرضك للخطر .

— لا أظن ذلك يا عمي؛ لأن بمجرد أن جئنا إلى المنشية في صباح اليوم التالي رأيت معه آلة حلاقة وطلب مني أن أحلق وأغير من شكلي، سأله:

—لماذا يا جواد . . . ؟

—لزوم البداية الجديدة يا صديقي، قررت أن أبعد عن هذا الطريق الذي كنت به؛
فلنبدأ بداية جديدة في مكان جديد بشكل جديد .

نظرت له بدهشة وقلت له وأنا أمسك يده:

—حقاً يا صديقي . . . !

ابتسم لي وأمسك يدي وقال:

—حقاً يا صديقي .

قمت وعانقه وقلت له بلهفة:

—كنت أعلم جيداً أنك في يوم سوف تترك هذا الطريق . . .

أخرجني من حضنه وقال لي:

—توقف عن الكلام قليلاً وهيا بنا فلنبدأ بتغيير شكلنا .

قررنا حلقة الحية تماماً وحلق جانبي الشعر مع رفع شعرنا الطويل بمسافة شعر،
شكلنا تغير 180 درجة، بالفعل إذا كنت ترغب أن تغير من شكل رجل فاحلق
لحيته فقط .



قال لي جواد أن أذهب إلى مطعم وأقول لصاحبه أنا من طرف المعلم لطفي، وبالفعل ذهبت صباحاً إلى المطعم، وتم تعييني، ولكن جواد لم يعمل معي، جاءني المطعم جواد مساءً وسألني على العمل وما هو انطباعي، قلت له:

-إن العمل بسيط هنا، صاحب العمل علمني كيف أستخدم الآلة وصرت كاشير كما ترى يا صديقي، ولكن لم ألت معي . . . ؟

-ومن قال لك أنني لست معك . . . ؟ سوف أعمل في توصيل الطلبات يا فارس، وهيا سوف أتركك الآن كي لا أسبب لك مشاكل، بعد الانتهاء من العمل سنتحدث سوياً .

مر شهران على هذا الوضع إلى أن صار ما صار بالأمس، واشتعل جواد غضباً عندما رأى الضابط يضرب ياسمين .

قاطعني عم عادل وقال لي متعجباً:

-يعني جواد انفعَل عندما رأى الضابط يضرب ياسمين ولم يتفعل عندما هرب اللص ورمى ياسمين أرضاً !

-لم يكن موجودًا أثناء الحادثة، لقد وصل جواد أثناء وقوع ياسمين بسبب الضابط،
وهمّ مسرعًا ودافع عنها .

-يعني جواد هومن دافع عن ياسمين !

-نعم يا عمي هومن دافع عنها وهومن قال لي أن أخذها ونهرب سويًا كي لا تتأذى،
هو هكذا جواد دائمًا يهيمه أن أكون بأمان، أنا فعلت ما بوسعي كي تكون ياسمين
بأمان وأن تصل إليكم .

-أشكرك على أمانتك وصدقك، واسمعي أنا محلي مفتوح لك إذا أردت أن تعمل
معي، وإذا استطعت أن تكلم صديقك لكي أقدم له يد العون والمساعدة على
موقفه مع ابنتي وشجاعته، وكما قلت لي إنه صار صالحًا الآن وابتعد عن الطرق
المشبوّهة .

-أشكرك يا عمي على وقتك معي، حسنًا سوف أحاول أن أصل إليه وأقول له .



ومرت الأيام وياسمين تقربت مني، وها أنا ذا ولأول مرة قلبي يدق، بدأت أحب وأتعلق بياسمين، تلك الفتاة الجميلة، مرت الشهور وأنا لم أعرف كيف أصل إلى جواد، هاتفه مغلق دائماً، كنت قلقاً عليه كثيراً .

في شهر مارس عام 2019 قررت في مرة أن أذهب إلى الشقة التي كنا بها ولكن بدون جدوى، لم أجده، كنت مقتده جداً ولكن وجود ياسمين معي هون عليّ غيابه بعض الشيء .

كسبت حب ياسمين وأهلها لي، شعرت أن الله عوضني بالأهل والحببية في آن واحد، ولكن هذا لم يستمر . . .

في صباح أول أيام شهر أكتوبر جاءت ياسمين إلى محل أبيها ولكنها لم تنظر لي حتى، لا أدري ما سبب قطيعتها لي، قررت ياسمين الرحيل مسرعةً، استأذنت عم عادل بعض الوقت .

لحقت بياسمين وأمسكتها من ذراعها، فالتفت لي، سألتها بلهفة:
-ماذا جرى يا ياسمين . . . ؟ قولي لي لم تغيرت عليّ . . . ؟ ماذا فعلت لك . . . ؟
ترقق الدمع في عيني ياسمين وقالت بانكسار وهي تنظر أرضاً:

— ألا تدري ما حدث . . . ؟

وضعت يدي تحت ذقنها كي أرفع رأسها وكي تنظر عيناها لعيني وقلت لها:

— أقسم لك لا أعلم ما حدث . . . ! قولي لي ماذا صدر مني كي أصلح ما فعلته
وضايقتك به .

نظرت لي وبدأ الدمع ينهمر من عيناها وقالت بحسرة:

— ما حدث لا يمكن إصلاحه أبداً، ومن ثم التفتت وأجهشت بالبكاء، التفتت
للاتجاه الآخر فأمسكتها من ذراعيها وقلت لها وأنا أبكي لبكاؤها:

— ياسمين حبيبي، أقسم لك لا أدري ماذا تقصدين أرجوك أفهميني . . . !

نظرت لي وهمت بمسح دموعها وتنفست الصعداء وتماكت قواها وقالت وهي
تنظر لي نظرة كره:

— أنت استغللتني .

تعجبت كيف تنظر لي ياسمين هكذا . . . ؟ سألتها بتعجب وأنا أمسح دمعي:

— ماذا فعلت يا ياسمين كي أستحق تلك نظرة الكره منك ؟

— ألا تتذكر منذ أسبوعين عندما كنت في إجازة لأنك مريض وطلبت من أبي أن تذهب لشراء دواء، أنت يومها اتصلت بي وطلبت مني أن آتي لمقابلتك، وأنا حزنت لأنك مريض ولكنك قلت لي أن سبب مرضك هو فراق جواد الذي طال عليك، لذا طلبت مني أن نخرج سوياً وتستغل إجازتك في البحث عنه والسؤال عليه في المنشية، طلبت منك حينها أن تنتظر إلى أن تكون في صحة جيدة ولكنك أصررت وقلت لي أنك لن ترتاح إلا عندما ترى جواد .

قررت أن أذهب معك ووصلت لتلك الشقة التي كنت تسكن بها أنت وجواد، ولكن بمجرد أن وصلنا لهنالك أنت تحولت لوحش، تغيرت 180 درجة، لم أكن أتوقع أن تفعل ما فعلته بي، لم أكن أتوقع أبداً .

وأجهشت بالبكاء، وأنا شاركتها بكاءها وصرت أرفع رأسها وأقول لها باكية:

— أقسم لك يا ياسمين لم أفعل شيئاً، أظنني أن يصدر مني فعل كهذا . . . ؟

نظرت لي بكرة وأبعدت يدي عنها ودفعني وقالت:

— أنت مثل وبارع في التمثيل، صدقت أدبك وخجلك وطيبتك وأنت حقيقتك

شيطان .

ومن ثم همت بعبور الطريق ولكن في تلك اللحظة كنت أنا أنادي عليها وأحاول أن أمسك يدها وهي تحاول أن تبعد يدها عني وهي تلتفت، فمرت سيارة بسرعة واصطدمت بها . . .

أخذتها بسرعة إلى أقرب مشفى، ومن ثم اتصلت بعمي عادل كي يلحق بي، وتم تجييس ساقها ولكن لم تكن ياسمين ترغب في النظري، ياسمين لم تصدقني، ياسمين كرهتني . . .

صرت أفكر، كيف حدث هذا . . . ؟ أنا في هذا اليوم لم أخرج من الورشة وكنت راقداً من التعب، هذا معناه يا إما ياسمين تبلى عليّ، وأنا أستبعد هذه الفكرة من الأساس ولم تفعل هذا . . . ؟ هي تعلم أنني أحبها وأنا من أتمنى أن تكون لي، ليست مضطرة لهذه التمثيلية كي تكون لي، والفكرة الثانية من فعل ذلك هو جواد، ولكن كيف وصل جواد لياسمين وكيف عرف مكاني ورقم هاتفها . . . ! ولم يفعل ذلك من الأساس لم . . . ؟ أنا لا أفهم شيئاً .

مرت ثلاثة أسابيع وأنا لم أر ياسمين، قررت أن أسأل عمي عادل عنها، قال لي بأسى:

-لا أدري يا ولدي، هي فكت الجبس بالأمس ولكن طوال هذه الفترة لا تتحدث، قبل الحادث كانت تتحدث قليلاً، ولكن بعد الحادث لا تفعل شيئاً سوى أنها تومئ فقط، والدموع تذرّف من عينها كل ما حاولنا أن نعرف ما بها .

ترددت قليلاً ولكنني حاولت أن أجمع قواي وأتجرأ وقلت له:

-عمي، هل تسمح لي أن أزور ياسمين كي أطمئن على وضعها بنفسي .

-حسناً يا ولدي، بعد الانتهاء من العمل سوف تأتي معي البيت وتزورها .

بمجرد أن وصلت طلبت من عمتي كريمة أن توصلني لغرفة ياسمين، وبمجرد أن

دخلت أشاحت ياسمين نظرها عني، ولكن عمتي كريمة من أجل أن ترفع الحرج عني

بسبب هذا الموقف قالت لي:

-لا أدري لم ياسمين صارت هكذا . . . ! معنا كلنا تشيح نظرها ولا تتحدث .

قلت لها بجمل:

-ولا يهمك يا عمتي، ولكنني أريد أن أقول لياسمين شيئاً على أفراد، هل تسمحين

لي . . . !

وبالفعل خرجت عمتي وهي تهم، قالت لي وهي تربت على كتفي:

-تفضل يا ولدي، البيت بيتك . . .

جلست على طرف السرير وقلت لها بأسى:

-كيف حالك يا ياسمين . . . ؟

لم ترد عليّ وبدأت تذرف الدمع على خدها، فقلت لها:

-ياسمين، أريدك أن تساعديني، وأريدك أن تصدقيني أنني لم أفعل ذلك .

لم ترد عليّ، ومن ثم دخلت لي العمة كريمة بصينية عليها فواكه وكوب من الماء،

وضعت الصينية على السرير أمامي فشكرتها ومن ثم خرجت .

سألت ياسمين برفق:

-ياسمين، أريدك أن تساعديني، أنا فكرت في الموضوع ملياً، لا يوجد إلا شخص

واحد فعل ذلك ألا وهو جواد .

نظرت بكره وقالت لي:

-أنت من فعلت ذلك ولكن وجهك الحقيقي ظهر .



—حسناً، أريدك أن تذكرني شيئاً، هل من فعل ذلك لحتي حرقاً في رقبته أشبه

بشعلة...؟

صمتت ياسمين قليلاً وكأنها كانت تذكر، ومن ثم أغمضت عينيها وكأنها تشعر بالـ

وتعذيب وقالت وهي تفتح عينيها:

—نعم، كانت هناك علامة...!

من ثم نظرت لها وكنت أريها رقبتى وأسألها بلهفة كي أثبت لها براءتي:

—هل ترين هذه العلامة في رقبتى، قولي لي...؟

ظلت تنظر لي بدّهشة والدموع تنهمر من عينيها ولم تنطق...

كررت سؤالى لها:

—أجيبيني يا حبيبتى، أرجوكِ صدقيني واتبعي قلبك وسوف أجلب لكِ حقك من

فعل ذلك، صدقيني أنا سأكون معكِ دائماً.

بدأت تبكي في هيسستيريا وتقول لي:

—أنا لم أعد أرغب في شيء، لم أعد أريد شيئاً، أريد أن أموت، أن أموت... .

بدأت أهدئها وأقول لها:

- لا تقولي ذلك يا حبيبتي، أنا سأظل معك إلى الأبد ولن أتركك حبسلة هكذا . . .

ولكنها كررت كلماتها ألا وهي:

- أريد أن أموت، لا أريد هذه الدنيا .

- أرجوك لا تتركيني، أنا تركت العالم أجمع وهربت إليك يا مصدر الأمان بالنسبة

لي .

ومن ثم فعلت شيئاً لم أكن أتوقعه، أخذت السكين الموجود بجوار طبق الفاكهة في ثوانٍ وطعنت نفسها في رقبتها من دون أي لحظة تردد أو تهديد لي، تصلبت مكاني وحملت عيني من هول الصدمة والدموع ذرفت من عيني تلقائياً، في تلك اللحظة دخلت الأم كريمة وصرخت عندما رأت ابنتها ملقاة أمامي مطعونة غارقة في دمها . وأنا مصدوم لا أحرك ساكناً، لا أنطق حتى، الأم تصرخ تنادي على بنتها، ولكن لا حياة لمن تنادي، العمة كريمة لا تصدق أن بنتها فارقت الحياة، التقت لي وسألني ماذا حدث، ولكني مصدوم لا أنطق أبداً، دخل عمي حاول أن يسألني ولكني لم أستطع النطق، وكيف أنطق بعد الذي حدث أمامي؟ طلب عمي الشرطة، وفي القسم بدأ التحقيق، حاولت جاهداً أن أتكلم، ولكن بمجرد أن قام الضابط بالطرق



على المنضدة بكامل قوته كي أنطق، كانت كفيلة كي أنطق بالفعل، لم أجد ما أقوله سوى أنها قالت لي أنها تريد أن تموت وأنها لم تعد ترغب في العيش في هذه الدنيا، وفي لحظة عين طعنت نفسها بقوة في رقبته .

لم يجدوا بصماتي على السكين، البصمات كانت بصماتها، وعمي عادل وعمتي كريمة شهدا بطيب طبعي وحسن خلقي، وفي بداية التحقيق عندما طلب مني الضابط بطاقتي قلت له إني نسيته، وقام عمي عادل بصماتي، ولكن في الحقيقة أنا ليس لدي أي أوراق تثبت هويتي .

خرجت وكلنا في حالة صدمة، والعمة كريمة منهارة باكية، وأنا مصدوم، كل أحلامي تحطمت، حيي الأول ضاع أمام عيني، بل ورحلت وهي تكرهني . أقسمت أن آخذ حقها، سوف أنتقم ممن ظلمها حتى وإن كان أعز شخص بالنسبة لي . . .

مرت ثلاثة أيام وانتهى العزاء وحزني على ياسمين يزيد ولا يقل . . .

النوم قد سرق من عيني، من بعد فراق ياسمين وأنا لا أقدر على النوم نهائياً . . .
الساعة الثانية بعد منتصف الليل قررت أن أذهب وأبحث عن جواد مرة أخرى .
بمجرد أن وصلت إلى الشقة تقاجأت، كان جواد هناك بالفعل، أغلقت باب الشقة
واجتاح بدخلي عدة مشاعر، مشاعر شوق ومشاعر انتقام وتساؤلات عدة لم
أعد أعرف من أين أبدأ، ومن ثم قلت بصوت مكتوم من صدمتي:

— أين كنت كل هذه الفترة . . . ؟

كان يجلس على الطاولة يدخن سيجارته يبرود وأردف:

— عندما هربت بعدما دافعت عن هذه الفتاة، تعرفت على أناس جدد، وقمت
بالعمل معهم، تقدر تقول مصلحة جديدة .

— ومتى رجعت هنا . . . ؟

— منذ قليل، سعيد جداً برويتك، لم أكن أدري أنك تشعر بي لهذه الدرجة، بمجرد
وصولي هنا قد أتيت حالاً .

اقتربت منه وبدأت أسأله بصوت مهزوز:



هل أنت قابلت ياسمين . . . ؟

رد بعدما رسم علامات الغباء على وجهه:

من هي ياسمين . . . ؟

أنت تعرف جيداً عن أتحذ، هي قالت أنها رأتك حتى بالأماره تلك العلامة التي على رقبتك .

قام من مكانه وزاد غضبه وأردف:

يعني تكذب صديقك وأخاك وتصدق تلك الشابه !

وقفت أمامه وطرقت بيدي على الطاولة بقوة وقلت له غاضباً:

أنا أصدق الحق يا جواد .

نظري وضحك ضحكة تهكم وقال لي بسخرية:

ولأول مرة أراك غاضباً وتعلي صوتك عليّ، ومن أجل من . . . ؟ من أجل شابه تعرفها منذ بضعة أشهر .

اقتربت منه وأمسكته من ياقته وزاد انفعالي وقلت له صارخاً:

كيف تجرأت أن تفعل ذلك بها ؟ وكيف وصلت إليها ؟ لم فعلت كل هذا . . . ؟

بعد يدي عنه وقال بثبات:

-كنت أختبرها لك، وطلعت رخيصة لا تستحقك.

ازداد غضبي وقلت له وأنا أهم بلكمه:

-هي ليست رخيصة، هي ذهبت معك لأنها كانت تظن أنك أنا، وإن وافقت على

تلك الفعلة فذلك لأنها تحبني وأعطيتني الأمان، ولكن هي قالت لي أنك من أجبرتها

على ذلك لا هي . . .

نظر لي جواد بعدما لكمته وقال لي متعجباً:

-أحقاً تلكمني من أجل فتاة! يا إله هذه الدرجة نسيت ما فعلته من أجلك . . .

-لم أذيتني في حبيبي . . . ؟

-كنت أريد مصلحتك.

لم أتحمل كذبه عليّ، انفعلت بجنون ولم أشعر بنفسي إلا وقمت بلكمه مرة أخرى

وقلت له:

-توقف عن الكذب يا خائن.

ولكنه قام بدفعي فسقطت أرضاً . . .

تالكت نفسي ووقفت من جديد ، وقمت بدفعه بقوة فار تظم في الحائط فاستغللت سقوطه أرضاً ، وهرعت إلى المطبخ وجلبت سكيناً ، عندما التقت رأيه خلفي يحاول أن يمنعي من الانقضاض عليه ، حللت قبضته عني وصرت أوشر له بالسكين ، فقال لي متعجباً :

-هل تريد أن تقتلني من أجلها . . . ؟

-بل أريد أن أقتلك كي ترتاح في قبرها ، أنت لم تظلمها هي فقط بل ظلمتني أنا أيضاً ، سوف أجعلك تموت وتكون نهايتك مثل نهايتها التي تسببت بها .

هرعت تجاهه بجنون وقمت بطعنه في رقبته بقوة ، حينها فقت ، رأيت صديق عمري ملقى أرضاً غارقاً في دمه ، سقطت أرضاً بجواره باكياً نادماً على ما فعلت . . .

لم أتوقع أبداً أن أقتل صديق عمري ، ولكن أقسم أن هناك قوة خفية تمكنت مني تسببت في ما فعلته ، الآن أنا فقدت حبيبي وصديق عمري ، بل وبهذه الجريمة فقدت حياتي تماماً ، هربت من الإسكندرية وأردت الهرب إلى القاهرة ولكن

الظروف رمتني هنا إلى هذا البيت المهجور الذي ظهرت لي به يا عجيبة، ها قد
حكيت لك ما مررت به، هل يمكنك مساعدتي . . .

الفصل السادس

الاستنتاج

نظرت فريدة إلى فارس بأسى وقالت له:

-نعم، يمكن . . .

وهنا انتقلت فريدة إلى عالمها الآخر، يبدو أن الوقت قد انتهى .

ها هي فريدة تفكر في فارس، وتفكر كيف سوف تساعده في ورطته، ومن ثم قالت في قرارة نفسها:

-كيف سوف أساعده . . . ؟ ولكن أكيد سوف أجد طريقة لمساعدته، الله

أرسلني إليه كي أنقذه، ولكنه قاتل . . . ! وعليه أن يسلم نفسه للعدالة .

آه، أنا محتارة جداً، أحتاج أن أرتاح قليلاً، عقلي يؤلني من هذه المغامرة .

يد شاب تقترب من فتاة ذات شعر طويل أسود، ها هو يقترب أكثر فأكثر، ومن ثم

تلقت الفتاة ويكشف عن وجهها . . .

إنها فريدة، والشاب يضع يده على كتفها ويبكي لها بجرقة:

-صدقيني أنا لم أقتل، صدقيني...

أرجوك ساعديني...

فريدة تسأله بلهفة:

-كيف أساعدك...؟

صوت الشاب يتعد عنها وهو يقول لها:

-كوني مكاني... ساعديني... ساعديني يا عجيبة...

فاقت فريدة من نومها وهي تحاول أن تلتقط أنفاسها، تحاول أن تمسح وجهها بيدها

كي تزيل عن نفسها أثر هذا الكابوس...

فاقت فريدة من تفكيرها وأردفت:

-ولكن يمكن ما رأيته ليس كابوسًا، يمكن أن تكون هذه رسالة، ولكن ما معناها؟

ماذا عليّ أن أفعل...؟

قامت فريدة من سريرها وأردفت بتهيدة:

-آه يا ربي، ما هذا الذي أقحمت نفسي فيه...!

جهزت فطورها، ومن ثم احتست كوب النسكافيه الخاص بها، ومن ثم جال
بجاطرها كلام أمها:

-الكلام يا صغيرتي في بعض الأحيان يُؤوّل كما هو من دون تفسير.

لمعت فكرة في بال فريدة وقررت تنفيذها، وقالت في قرارة نفسها:

-يبدو أنني سأبدأ مغامرة جديدة اليوم، مغامرة في حياة فارس ولكن سأراها
بنفسي، لن أستمع إليه مجدداً، معروف أن الموقف يختلف من شخص لآخر أثناء
السرد، وأحياناً يتغافل المرء عن بعض التفاصيل، أريد أن أرى بنفسي لكي أعرف
كيف أساعده بحق.

مصر، شبرا، عام 2010، في شهر ديسمبر اليوم السادس عشر، ها هو الجهاز قد
نقلها لبيت فارس، طبعاً الجهاز لا يحتاج سوى أبسط التفاصيل ويفهم ما يجول
بالخاطر ويتكفل بمعرفة التفاصيل، هي لا تعرف سوى موعد هروبه من بيته وأن
اسمه فارس، وكان هذا كفيلاً لهذا الجهاز.

لا داعي للتركيز على الجهاز، فلنركز على ما رآته فريدة...

عمارة كبيرة تتكون من 12 طابقاً، وها هي فريدة في الدور التاسع والعاشر، إن

شقة فارس تتكون من طابقين أي ما تسمى بـ "الدوبلكس" . . .

يتوسط الصالة صينية كبيرة عليها مبخرة ضخمة، قطع شرود فريدة صوت

صرخات طفل، اتبعت فريدة مصدر الصوت، كان الصوت يأتي من غرفة

مغلقة . . .

اخترقت الباب؛ لأنها حددت في الجهاز أن تكون روحاً بجسد أثري ليس له

ترددات الجسد المادي الملموس .

رأت طفلاً في العاشرة من عمره مقيداً بالحبال، وأباه عاكفاً على ضربه بسوط، والأم

تقف بجوار الأب تبكي وتمسك به وتقول له:

—أرجوك يكفي هذا يا فتحي، الولد سوف يضيع منا ونحن أنجبناه بعد عناء .

رمى الأب السوط أرضاً وقال نادماً:

—وليته ما جاء للدينا، إنه عقاب الرب لي، ومهما أتوب لن يتقبل الله توبتي أبداً . . .

بسببه حل عليّ العذاب في الدنيا وسوف أعذب في الآخرة.

كانت فريدة تسمع ولكنها لا تفهم أي شيء مما يقع على مسامعها .

خرج الأب والأم من الغرفة، ولكن فارس ظل يبكي وينّ وينادي على أمه:

— أرجوك يا أمي تعالي، تعالي وحرريني، فكي قيدي يا أمي، يا أمي ألا

تسمعينني . . . !

ويجشش بالبكاء، وقامت الأم من سريرها، ولكن فتحي أمسكها من يدها وقال

لها:

— لا تذهبي إليه، أتريدينه أن يفعل كما يفعل كل يوم . . . !

تبكي رحاب وهي تنظر إليه بحسرة:

— ولكنه ولدي، قلبي يتمزق من حزني عليه يا فتحي، لا أستطيع سماع بكائه

هكذا . . .

— أرجوك أعينيني على إكمال ما بداؤه، أرجوك اتركي عاطفتك جانباً كي أستطيع

أن أخلصه .

وقفت رحاب تاركة يده وقالت وهي تبكي:

— تخلصه من ماذا؟ أنت سوف تخلص عليه يا فتحي، سوف تقتل ولدي الذي لي في

الدنيا من بعدك .

وقف بجوارها وهمَّ بمعانقتها وقال لها برفق:

ـ يعني الأترين ما يقوم بفعله . . . ! ألا تظنين أن ما يفعله غريباً يا رحاب، هل أنا
أتبلى عليه كي أؤذي ولدي، ها . . . !

ـ لا، لم أقصد ذلك، ولكن أكثر من شيخ جاء وقال إنه ليس به شيء، أرجوك رفقاً
به يا فتحي .

خرج فتحي وقام بفك فارس، وعندما اقترب فتحي من فارس لفكه همس له فارس
بتشفٍ وبصوت لا يمكن أن يكون مصدره طفل أبداً:

ـ ودع كوايسك وليالي الآمك ومعاناتك يا فتحي، ولتستعد لنهايتك . . .

فزع فتحي وهمَّ من مكانه ولكنه تما لك نفسه بمجرد ما التفت ووجد خلفه رحاب،
سألها برفق وهي تمسح وجهه الذي صار يتصبب عرقاً بقوة لا تناسب مع الجو:

ـ ماذا حل بك يا فتحي . . . ؟

نظر لها بتوتر وحاول أن يمالك نفسه وقال لها:

ـ لا شيء يا حبيبتي لا شيء، اذهبي للنوم . . .

نظرت رحاب بشفقة لابنها ومن ثم خرجت، ولكن قبل أن تخرج أوقفها صوت ابنها فارس معاتباً إياها:

-أنتِ لا تحبينني، أنتِ لا تفكرين سوى في زوجك الذي يؤذيني، لمَ لا ترحمينني من أذاه وتأخذينني ونعيش من دونه؟ إنه ظالم، إنه يعذبني، لا يحبني . . .
التقت أمه وقالت له برفق:

-لا، بل يحبك يا ولدي، إنه والدك، هل رأيت أباً يكره ابنه . . . ؟
-نعم، رأيت، هو يكرهني ولا يحبني، وأنتِ كذلك لا تحبينني لأنكِ تسمحين له بمعاقبتي على لاشيء .

مسحت رحاب على شعر فارس وقالت مطمئنة إياه:

كل شيء سيكون على ما يرام يا ولدي، لا تقلق .
مر الوقت بدون حدوث أي شيء فقررت فريدة أن ترى ما سوف يحدث بسرعة
قصوى مع تخطي الوقت الذي مر بدون أحداث، ولكن فجأة أوقفها صوت ارتطام
شيء في الصالة، حينها همّ فتحني من نومه وكان يمسك في يده اليمنى مصحفاً وفي

اليد اليسرى سبحة، وعندما وصل رأى أن الفائزة قد كُسرت، بدأ يتمم بذكر الله وهو يقترب من غرفة فارس ويقوم بفتحها، ولكنه تفاجأ بأن فارس نائم . . .
فأغلق الباب على فارس ومن ثم التفت . . .

ولكنه وثب رعباً عندما رأى فارس خلفه، وعيناه حمراوان تماماً وينزف منهما دماً وهو يُشر بيده تجاه فتحي ويرفعه في الهواء . . .

فتحي استمر في ذكر الله ولكن فارس كان يضحك ويتهقه، ويقول متهمكاً:
- هل تظنه سوف يحميك . . . قد فات الأوان .

وقام برميهِ بقوة في الجدار المقابل في الصالة، وسقطه على السفرة وكسرها من قوة الارتطام .

هنا قامت رحاب مهرولة للخارج مفزوعة وقالت صارخة:

-ماذا يحدث هنا ؟

التفت لها فارس بعينيه الحمراوين وقام برفعها في الهواء، فزادت من صراخها وهي تتوسل له:

-أرجوك اتركني يا فارس، أنا أمك التي تحبك .

دفعها فارس وجعلها تثبت في الحائط وقال لها بصوت أجش:

-توقفي عن الصراخ، لن يسمعك أحد .

حينها فجأة هجم فتحي بكامل قواه على فارس وانقض عليه، وبدأ يتمتم بذكر الله ويعلي صوته أكثر وأكثر، ولكن هذا زاد من غضب فارس أكثر، فدفعه بقوة وصرخ صرخة هزت أرجاء البيت وقال:

-توقف، قلت لك لن يساعدك أحد ، لن يحملك أحد مني .

هنا نظر فتحي لرحاب وقال لها نادماً:

-قلت لك يجب أن تتخلص منه قبل فوات الأوان، إنه لعنة، لعنة الشيطان . . .

قام فارس برفعه عالياً أمام باب الشرفة وقال له بهكم:

-بالفعل قد فات الأوان، وقد حان أن أتخلص منك . . .

وقام بدفعه تجاه زجاج الشرفة ورمى به من علٍ .

ومن ثم قام برفع أمه عالياً وحاول أن يرميها، ولكن أمه بدأت في التوسل إليه بأكية

وقالت:

—فارس حبيبي أنا أمك، أمك التي تحبك، لا تفعل بي هكذا، سوف أفعل لك ما

تريد . . .

ولكنه بدأ يقترب منها وهو يقول لها بغضب:

—ولكني لأحبك يا من تسببت في دمار حياتي قبل أن تبدأ .

أجهشت أمه في البكاء وقالت له غير فاهمة:

—ماذا فعلت أنا يا فارس كي تقول لي هذا الكلام!

ولكن فجأة شعرت أن الكلام لا يجدي نفعا معه فبدأت بقراءة آية الكرسي وقالت

بصرخة: يا رب .

كانت تلك الكلمة كهيئة أن تسقطها أرضاً وتفقد الوعي . . .

من ثم عاد فارس لفراشه وهو ينظر للسقف بعينيه الدمويتين، ومن ثم أغلقها، وفي

ذات اللحظة فتحها، ولكنها كانت عادية تماماً، شعر بالعطش، فقرر أن يقوم كي

يشرب، قام وهو يتألم من أثر الضرب على جسده، ولكن تفاجأ بأن غرفة والديه

مفتوحة ولم يجد أمه ولا أبيه، ولكن بمجرد أن مر في الصالة وجد أثر تكسير وأمه

ملقاة أرضاً، بدأ يبكي وقال متمماً:

-إن هذا الرجل ضرب أُمي مثلما يضربني، أنا سوف أهرب ولن أعيش معه ثانية .

وبالفعل ها هو فارس نزل الشارع فوجد الناس ملتفين تحت عمارته، ولكنه لم يكثر فقرر فقط أن يهرب بلارجمة .

ها هي فريدة تتبعه وتقول في قرارة ذاتها:

-بيدو أنك لست سهلاً أبداً يا فارس كما توقعت، سأظل وراءك للنهائية كي أعرف كيف سوف تكون نهايتك .

ها هي فريدة تجعل الوقت أمامها يمر بسرعة كي تعرف كل ما مر به فارس بأقصى سرعة قبل انتهاء وقتها .

فارس بالفعل قد مشى كثيراً إلى أن وصل إلى تلك المواسير الكبيرة، بالفعل وجد هناك قطعاً أسود يداعبه، ومن ثم دخل الماسورة كي يتحامي من البرد القارس، وها هو يتحدث، ولكن إلى من . . . !

إن فارس يتحدث مع نفسه . . . ! لا وجود لجواد من الأساس . . . !

ها هو فارس يمر في السوق وهو الذي يسرق، ومن ثم يجلس على الرصيف ويأكل ويتحدث مع ذاته . . .

فريدة جعلت الوقت يمر بسرعة أكبر كي تصل لليوم التالي حيث تم الاختطاف . . .
 إن من تم اختطافه كان طفلاً سميناً لا يمت بصلة لملاح فارس، أي أن لا وجود
 لجواد، وأن جواد لم يكن معه في بيت المعلمة سماح.
 ها هو فارس بمفرده يسرق . . .

مرت السنين وفارس يتحدث مع نفسه في الغرفة، لا وجود لأحد معه .
 فارس هو من يستغل المعلمة سماح، هو الذي يدخن وهو من يعاطى المخدرات
 وهو من يزني، لا وجود لشخصية جواد التي اختلقها كي يحتبى من عيوبه
 وراءها . . .

فارس هو من سافر بمفرده للإسكندرية، وهو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في
 تجارة المخدرات .

وفارس هو من اعتدى على الضابط، لا وجود لجواد في أي موقف من المواقف .
 وبالفعل هو من أخذ ياسمين وفعل بها تلك الفعلة القذرة، ولكن ياسمين هي التي قتلت
 نفسها بالفعل، فارس أمامها مصدوم غير مصدق ما تفعله .
 من ثم قررت فريدة أن تتأكد من آخر شيء، ألا وهو قتل فارس لجواد . . .

ها هو فارس في البيت يتجادل مع نفسه، وها هو يقتل بالفعل .

ولكن . . . إنه ليس جواد . . . إنه مجرد قط أسود دخل عندما فتح باب

الشقة . . . !

بمجرد أن رأى الدم هرب نادماً، ولكن لم هو نادم؟ إنه مجرد قط ليس جواد .

فريدة ترى اللحظات الأخيرة لفارس بأقصى سرعة، هروته باكيًا، صلاته، هربه

وركوبه القطار، وبالفعل هو لم يدفع أجره لأنه كان نائمًا، وها هو ضرب مسؤول

التذاكر وهرب .

إن فارس مضطرب حقًا . . . !

من ثم دخل البيت المهجور، ومن ثم القط الأسود ذو العيون الخضراء المائلة للصفرة

ينقض عليه فيفقد وعيه .

ومن ثم رأت نفسها معه ولكنها تجاوزت تلك الحادثة الطويلة وتوقفت عند كلمة:

-نعم، يمكنني مساعدتك يا فارس . . .

فارس يهم ناهضاً باكيًا ويقول لها:

-كيف . . . ؟

فريدة نظرت أرضاً ومن ثم تنفست الصعداء وقالت لفارس:

- أنت لم تقتل جواد . . .

نظر لها بتعجب ومسح دمه وقال:

- كيف . . . ؟ إن دمه لطح يدي . . .

نظرت فريدة لفارس بجدة وقالت له بكامل قواها:

- لم تقتل جواد؛ لأن جواد ليس له وجود من الأساس .

ابتعد عنها فارس وقال لها:

- هل تظنين أنني مجنون . . . ؟ صدقيني، أنا قلت لك كل ما مررت به في حياتي .

حاولت فريدة أن تقترب منه وقالت له بهدوء:

- أنا أصدقك يا فارس، أنت قلت لي ما تعتقده أنت في ذهنك، ولكن كما تعلم، أنا

قلت لك إنني سوف أساعدك ورجعت بالزمن ورأيت حياتك بأم عيني، لا وجود

لجواد، كنت أنت وحدك طوال هذا الوقت، جواد مجرد شخصية في خيالك . . .

أبعد فارس فريدة عنه وبدأ يغلق أذنه وهو يقول لها بانفعال:

- توقفي، توقفي، أنا لست أتوهم، جواد حقيقي صدقيني .

أخذت فريدة في الاقتراب منه وإزالة يده عن أذنه، وها هو بدأ ينزل أرضاً من قوة الصدمة، فبدأت تهمس له:

فارس، أنا معك، بجوارك وسوف أساعدك كي تكون بخير، الله أرسلني لك كي أساعدك، يمكن الله جعل أبي يوصي أمي أن أدرس الطب النفسي من أجلك . . . !

أنت مصاب باضطراب وهامي، أنت تحتلق مواقف وشخصيات ليس لها وجود، أحياناً تحتلق شخصية تعوضنا عن شعور نفتقر إليه في حياتنا، بعض الأطفال لديهم الصديق الوهمي أو الخيالي، ولكن سرعان ما نخرج من هذا الوهم للواقع ونكون صداقات في الواقع، فقدانك لأهلك وبعدك عن الناس وانفرادك بذاتك جعل مرضك النفسي يتمكن منك .

-صديقي جواد كان معي دائماً .

-أصدقك، وأصدق كل مشاعرك، ولكن عليك أن تصدقي، وأن تسلم نفسك للشرطة .

نظر لها فارس بهشة متسائلاً:

-لماذا أسلم نفسي للشرطة . . . ؟ أنتِ قلتِ لي إنني لم أقتل جواد، وياسمين ماتت

منتهرة . . . ؟ ما الذنب الذي اقترفته كي أذهب للسجن . . . ؟

قالت فريدة وهي تنظر لعينييه وعيناها تترقرقان بالدمع:

-لأنك قتلت بالفعل . . . ؟

-لم أقتل أحداً أقسم لك . . .

وأجهش بالبكاء، فقالت له وهي ترفع رأسه كي ينظر لها:

-بل قتلت، قتلت والدك . . .

صُدم فارس وقال بدهشة:

-أنا قتلت والدي . . . ! إن والدي هو من كان يعذبني وأنا هربت من شدة قسوته .

-لا، بل هذا ما سولت لك به نفسك، أنت من آذيته وهو كان يفعل ذلك من أجل أن

يخلصك من شيطان نفسك .

مسح فارس دمه وقال متعجباً:

-شيطان نفسي . . . ! لا أفهم ما تقولينه .

جلست فريدة أمامه وأمسكت يده وقالت له:



- كما تعلم، أغلب العرب عندما يجدون أحد تصرفاته صارت شاذة أو غريبة،
أول ما يخطر في بالهم هو الشيطان والسحر وكفى، يلجأون إلى الدجالين ولا يخطر
في بالهم العلاج النفسي .

- يعني أبي كان يضربني ظلماً منه إني مسوس . . . ؟
- هذا ما كان يظنه . . .

- ولمَ ظن . . . ؟ ماذا كنت أفعل له . . . ؟

- كنت تحرك الأشياء وتدمر البيت وتلعب بأبيك مثل الدمية وغير ذلك
الكثير . . .

- أحقاً هذا ما كنت أفعله . . . ؟

- هذا ما رأيته بعيني .

- ولكن هل بالفعل المرضى النفسيون قادرون على تحريك الأشياء عن بعد
هكذا . . . !

- العلم أثبت أن هنالك بعض الأشخاص لهم قدرات فائقة يتحكمون بالقوانين
الفيزيائية فيصيرون قادرين على جذب الأشياء ورفعها عن بعد .

- يعني أنا قاتل وسارق . . . ! لا أريد أن أعيش، أريد أن أموت .

- لا تقل هذا يا فارس، بل قدم نفسك للعدالة واحك ما حكيتَه لي بالضبط،
وبالكشف الطبي سوف يثبت مرضك العقلي، أنت لا يجب أن تموت، يجب أن
تذهب لمستشفى الأمراض العقلية، وتخلص من مرضك النفسي وتعافى وتبدأ
من جديد .

- ولم أبدأ من جديد ؟ لا يوجد لي أحد في هذه الحياة، لا يوجد لي دافع للبقاء هنا، لا
يوجد أبداً .

ومن ثم خبأ رأسه بين ذراعيه وانكمش وأجهش بالبكاء، قامت فريدة برفع رأسه
وقالت له هامة:

- لا، بل سأكون أنا معك، وسأكون بجوارك إلى أن تعافى .
نظر لها فارس ومسح دمع عينه، وخرج من البيت وقدم نفسه إلى أول قسم شرطة،
وبمجرد أن دخل القسم طلب أن يقدم بلاغاً، وبالفعل دخل للضابط فسأله وهو
ينفث سيجارته بغضب:

- أين بطاقتك . . . ؟



ارتجف فارس ومن ثم تم قائلاً:

-ليس لدي بطاقة، والبالغ هو، أريد أن أبلغ عن نفسي، وعن تاجرة بالبشر،
وتاجرة مخدرات .

قام الضابط بإطفاء سيجارته ووضع يده الاثنتين تحت ذقنه وقال له:
ياااه، كل هذا، تفضل احك . . .

-ولكن أرجوك يا باشا أن تجعلني أحكي لك كل شيء ولا تقاطعني، وأن تصدقني،
ويمكنك أن تتأكد من صدق كلامي بعد الانتهاء . . .

قام الضابط بطرق المنضدة بقوة:

-لا تشترط عليّ يا روح أمك، أنا هنا من يعطي الأوامر . . .
هز فارس رأسه إيجاباً ثم قال له:

-حاضر يا باشا، سوف أحكي، أنا هربت من أبي في طفولتي لأنه كان يعنفني،
وعندما هربت تعرضت للخطف من عصابة الاتجار بالبشر وعلموني أنا وأطفال
آخرين السرقة، وكانت البنات يبلوغهن يعملن في الدعارة، يمكنني أن أقول لك عنوان
المعلمة سمح في إمبابة، شارع . . . بيت رقم . . .

ومجرد أن جئت إلى هنا سكنت في بيت في سيدي جابر بواسطة المعلمة قدرية التي عرفت فيما بعد أنها تاجرة ووسيلة في تجارة المخدرات .
أوقف الضابط كلام فارس وقال له:

— وكيف عرفت أنها لها في تجارة المخدرات . . . ؟

— سوف أشرح لك يا سعادة البيك، في البداية أريد أن أقول لك عنوانها في سيدي جابر، شارع . . . البيت رقم . . . كي تتأكد من صحة كلامي يا باشا .
ما سأقوله لك لن تصدقه، ولكني أريد أن أرتاح من هذا العبء الذي اجتاحت قلبي وصدري، وأريد كل واحد أن يأخذ جزاءه .

أنا عرفت أن المعلمة قدرية تاجرة مخدرات من صديقي جواد .
قام الضابط بإشعال سيجارة وقال:

— ومن هو جواد وأين هو . . . ؟

ابتلع فارس ريقه وحاول أن يتمالك قواه وقال:

— جواد هو من كان يتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، هذا ما كنت أظنه .



—ماذا تعني بهذا الذي كنت تظنه . . . ؟

—سوف أشرح لك يا باشا، كنت أبيت في بيت مهجور، وأنا هناك ظهرت لي من حيث لا أحسب شابة، عبارة عن طيف، سألتها من هي، قالت لي أنها من المستقبل، حكيت لها قصتي وطلبت منها المساعدة، فرجعت بالزمن ورات حياتي واكتشفت ما لم أكن أعرفه، قالت لي لا وجود لصديقي المقرب جواد، وإني أنا من كنت أسرق مع المعلمة سماح لا مجرد من كنت أساعد جواد، وأنا من كنت أتاجر وأتعامل مع المعلمة قدرية في تجارة المخدرات، وقالت لي أني قبل ما أهرب في طفولتي أنا من تسببت في موت والدي، ولكني كنت أظن إني هربت فقط هرباً من بطشه وقسوته، وكي تتأكد من وقوع حادث موت والدي سوف أذكر لك يوم هروبي في السادس عشر من ديسمبر عام 2010، اسم والدي هو فتحي عبد السلام، هي تقول أن الحادث صار في نفس اليوم.

نظر له الضابط بتعجب وتساءل:

—من التي قالت لك . . . ؟

—عجيبة يا باشا .

طرق الباشا على المنضدة بقوة وهم واقفاً وقال بغضب:

—هل أنت تعاطي مخدرات يا روح أمك . . . ؟ يا عسكري .

دخل عسكري الشرطة، فهم الضابط أمراً إياه بحزم:

—خذ هذا المخبول إلى الزنزانة، إلى أن تتأكد من صحة ما قاله .

قام العسكري بالتحية وقال:

—تمام يا فندم .

وهم بسحب فارس من يده، ومن ثم نادى عليه الضابط، فقام فارس بالالتفات إليه:

—أقسم لك إن لم يكن ما ذكرته لي صحيحاً لسوف أجعلك تهلوس بالفعل من شدة

التعذيب، لن تحتاج بعدها أن تعاطي مخدرات مرة أخرى يا ابن ال . . .

قام العسكري بسحبه وقال متمماً وهو يجر فارس:

—توقفوا عن تعاطي هذا السم يا ولاد الحرام . . .



فارس صار في الزنزانة وخرَّ على الأرض، لا يدري ماذا فعل بنفسه:

-كيف سمحت لها أن تلعب في عقلي وأن أصدقها؟ قالت لي سوف تساعدني،

بل هي استغنت عني وورمتني في الجحيم، ليس بيدي سوى أن أقول يا رب

ساعدني .

بعد ساعة واحدة فقط جاء العسكري وفتح الزنزانة ونادى:

-فارس فتحي عبد السلام . . . !

قام فارس ببطاء من شدة التعب وقد سيطر عليه اليأس وقال:

-نعم، أنا فارس .

همَّ العسكري بسحبه بسرعة وقال له مجزم:

-هيا تعال معي، سعادة الباشا يريدك .

دخل فارس وهو مطأطئ رأسه، فقال له الضابط بنبرة مختلفة جعلت فارس يرفع

رأسه متعجباً:

-اجلس يا فارس، لقد قمت بعدة اتصالات، وتمكنت القوات في القاهرة من القبض

على المعلمة سماح ومن معها، وتمكنت القوات من القبض على المعلمة قدرية في

الإسكدرية، وتأكدنا من اتحار والدك بالفعل، وهذا يثبت صدق كلامك .
 بالنسبة لشهادتك على المعلمة سماح وقدريّة تم اعتبارك "شاهد ملك"، وبالنسبة
 لمقتل والدك فبشهادة الجيران يقولون إنه رمى نفسه، لم يسقطه أحد، وتلك الفعلة
 كانت في صغرك، ولكن لا يضر أن يتم عرضك على طبيب نفسي، وإن تم إثبات
 مرضك النفسي سوف تُوهَل للعلاج في المصحّة. أغلق المحضريا ابني .
 -يا عسكري، خذه للطبيب النفسي .

ومن ثم خرج فارس من الغرفة وهو غير قادر على استيعاب ما يحدث له . . .
 ومن ثم دخل غرفة أخرى كي يتحدث مع الطبيب النفسي، سمع صوتاً يعرفه
 جيداً . . . التفت لصاحب الصوت بلهفة .

كان صوت فريدة تقول له بلهفة:

-ألم أقل لك . . . أن الله أرسلني إليك كي أساعدك .

همس لها:

-كيف فعلت ذلك . . . ؟

ظهرت كطيف أمامه، أشار لها وهو يحلق بعينيه . . . فضحكت وقالت له:

-لا يراني سواك، لا تقلق .

سألها بتعجب:

-كيف تفعلين ذلك . . . ؟

قالت له بابتسامة مبسطة الأمر:

-كله في هذا الجهاز .

طبعاً قراءمي الأعزاء، لا تتعجبوا من قدرة هذا الجهاز في عام 2038، ها نحن ذا

في عام 2022 ويمكننا في الواتساب أن نجعل الحالة الخاصة بنا تظهر لشخص

والآخر لا، لذا لا داعي للتعجب من إعدادات التكنولوجيا أبداً .

أوه، دعوني أكمل لكم ما جرى، ما دخل الواتساب الآن ؟

أكملت له فريدة وقالت:

-لقد تلبست الضابط وقمت بالإجراءات بأقصى سرعة، أنت تعرف بطء

الموظفين، وأنا ليس لدي وقت في مغامرتي يا فارس، وأنا من طلبت إحالتك لطبيب

نفسي، وصدقني الطبيب غير الضابط سوف يصدق كل شيء تقوه به، احكِ، لأن

كل ما تحكي أكثر يتم التشخيص أفضل .

نظر لها فارس بامتنان وقال لها:

- أشكرك يا عجيبة.

هنا صدر صوت الطبيب النفسي عندما ظهر في الغرفة وقال:

- احم احم، تفضل يا فارس، احكِ لي ما مررت به.

هنا بدأ فارس يحكي للطبيب النفسي وتم إحالته لمصلحة نفسية، عرفت فريدة

اسمها ولم يسعها الوقت أن تكمل معه بقية اليوم.

عادت فريدة إلى يومها العادي وهي تشعر بالتعب، ولكن يجب أن تذهب للجامعة

ضروري.

عادت للبيت مساءً وزاد إرهاقها أكثر فنامت نومًا عميقًا، نامت وهي مرتاحة

جدًا بعد أن تمكنت من إكمال رحلتها ومغامراتها مع فارس.

الفصل السابع

العودة من جديد

فتاة طويلة وعريضة ذات شعر كستنائي طويل واقفة في مكان شبه مظلم، تمسك رقبته وتئن، فريدة تقترب منها تحاول أن تساعد ها، التفت إليها الفتاة مسرعة، وسحبت السكين من عنقها وبكت بهستيريا وهي تمسك السكين وتؤشر به لفريدة وتقول:

—لم أقتل نفسي . . .

صدقي فارس . . .

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

ومن ثم تلاشت صورتها وصوتها ما زال يتردد صداه . . .

خلصيه من الشيطان . . .خلصيه من الشيطان . . . الشيطان .

قامت فريدة من نومها وقد وثب قلبها من هول الكابوس . . .

أخذت كأس الماء من جوارها واجترعت ما به من ماء وقالت بتعب:

— أه يا رب، وأنا كنت أظن أن موضوع فارس قد انتهى، يبدو أن الموضوع قد عاد من جديد .

كُتبت فريدة التاريخ الذي وصل فيه فارس للمصحة النفسية، طبعًا فريدة عندما ترغب أن تزور فارس ويتذكرها يجب أن تكتب تاريخ أول لقاء لهما فما بعد، أي تاريخ قبل ذلك إذا رآها فارس لن يعرفها، فهي تكمل ما بدأته، وتكمل حيث توقفت .

ها هو فارس مقيد في السرير ويطير في الهواء ويصرخ ويقول:
— أنت وهم، أنت غير موجود، لا أحد يراك، إذن أنت غير موجود، سوف أتخلص منك، لن أدعك تسيطر عليّ، ابتعد عني . . . ابتعد .

همّ الطاقم الطبي يهرع من جديد إلى فارس وقاموا بحققته، يبدو أن هذه النوبة تكررت معه من قبل .

وقفت فريدة تتساءل متعجبة:

— ما تلك الحالة التي يمر بها فارس . . . ؟ لِمَ كل فترة في حياته بأعراض مختلفة . . . ؟ وهل بالفعل هو يرى جواد الآن حقًا . . . ؟

أوه، تلك الفتاة التي تشبهني التي أظنها باسمين قالت لي عليّ أن أصدق فارس، وأمي تقول الكلام في المنام حق .

أمسكت فريدة رأسها وقالت:

-آآآه، ماذا عليّ أن أفعل . . ؟ يا رب ساعدني، ألهمني .

هنا سمعت متممة فارس الأخيرة قبل أن يدخل في سبات نوم عميق: "أنا لا أراك حقاً . . . أنت . . . وهم . . . وهم" .

هنا التمت فكرة في بال فريدة وقالت:

-لا يوجد أحد يرى جواد سوى فارس فقط، معنى هذا إنني إذا تلبست فارس سوف أراه . . . لم لا أجرب . . . ! كما تلبست الضابط وتحكمت به لم لا أتلبس فارس وأرى الحقيقة من منظوره . . . كي أفهم جميع جوانب الموضوع يجب أن أراه من الجوانب كلها بالفعل .

ها هي فريدة تقترب من فارس واستجمعت قواها وقررت اختراق جسده، وتمكنت فريدة من تلبس فارس، وفتحت عيني فارس، ولكن بمجرد أن فتحت

عينيه رأت أمامها صورة طبق الأصل من فارس، ولكن يوجد فرق علامة شعلة

على رقبتة، وكان يضحك ضحكة شيطانية وقال هامساً:

—نهائيتك اقتربت يا فارس، أوه أقصد يا فريدة، نهائيتك اقتربت أنتِ كذلك إن

أصررتِ على الاقتراب من فارس.

ومن ثم قهقهه ضاحكاً ثم اختفى...

هنا لم تستطع أن تلبث أكثر من ذلك، قررت فريدة الخروج من جسد فارس، بل

وقررت الانسحاب من هذه المغامرة وخرجت مسرعة، قامت لاهثة خائفة،

متسائلة:

—ماذا عليّ أن أفعل الآن...؟ من هو هذا الجواد...؟ ما هي حقيقته...

ولم يريد أن يتخلص من فارس...؟

هل أنسحب أم أكمل...؟ ولكن حياتي معرضة للخطر.

قررت فريدة أن تذهب للجامعة ولكنها كانت شاردة الذهن، عقلها يفكر في

فارس، وتذكر صراخه ورفضه حقيقة جواد... أقنعتة أن جواد وهم، ولكنه

حقيقة.



ولكن كيف يكون حقيقة؟ إذا كان حقيقة ولا يراه سواه ماذا يعني هذا . . . ؟

هذا لا يعني سوى شيء واحد، أنه . . . إنه . . . شيطان.

ما هذه التخاريف يا فريدة . . . ! أتصدقين هذه التخاريف والماورائيات . . . !

أنتِ شابة عالمة دارسة، لا تستندي إلا للعلم وكفى .

يمكن سيطر عليّ تفكير فارس فرأيت ما يراه من شدة التفكير في جواد . . . !

نامت فريدة في المحاضرة الثالثة غصب عنها، إن تلك المغامرات تؤثر على عقلها

بشدة .

نفس الصوت يتردد في الظلام:

- صدقي فارس . . .

صدقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان . . .

فاقت فريدة من نومها على صوت الدكتور وهو ينادي عليها:

- فريدة، فريدة . . . ! هذا ليس مكاناً للنوم.

التفت فريدة فرأت كل من في القاعة يضحك عليها، اعتذرت للدكتور وقالت له:

- أنا متعبة قليلاً يا دكتور أعذرني .

وقررت الخروج من المحاضرة، ومن ثم عادت إلى بيتها متعبة وما زال الصوت يتردد في أذنها:

—صديقي فارس، صديقي فتحي وخلصي فارس من الشيطان .

—أصدق فارس . . . !

بالفعل بدأت أصدق فارس بعدما رأيت ما يحدث له من خلال عينه لا من منظوري أنا، ولكن عليّ أن أتأكد من المواقف التي حكى لي عنها، ولكن في هذه المرة سوف أكون أنا بداخل عين فارس كي أرى ما يراه .

كتبت فريدة تاريخ لقاءها بفارس ومن ثم حددت أن تكون طيفاً غير مرئي ولا محسوس، ومن ثم تلبست بفارس وقامت بنسخ كل ما رآه فارس منذ صغره إلى هذه اللحظة من عينيه إلى عدسة عينها، ومن ثم عادت إلى بيتها .

قامت بنقل كل التجربة المخزنة على الجهاز إلى هاتفها وها هي تقوم بمشاهدة حياة فارس من وجهة نظره .

تخطت الكثير وتوقفت عند المهم أو ما ذكره لها فارس بالتحديد .

فارس بالفعل طفل ذا عشر سنوات يحاول ليلًا الهرب عندما لم يجد أباه ورأى أمه ملقاة أرضاً .

وبالفعل فارس يرى طفلاً يشبهه، وبالفعل يقوم بكل ما ذكره .

وجواد هو الذي يسرق . .

جواد هو الذي يتعاطى مخدرات ويتاجر بها ويزني .

فريدة أوقفت المشاهدة وتعجبت، ومن ثم سألت نفسها بصوت مرتفع:

— ولكن كيف يا فريدة . . . ؟ كيف الآن عندما رأيت من خلال عين فارس رأيت

كل ما قاله لي بالفعل، وهذا معناه أن فارس ليس مريضاً نفسياً ولكن كيف ؟

أنا عندما رأيت المشهد من منظوري أنا لم يكن هناك وجود لجواد، فارس من يفعل

الأمر، فارس يتحدث مع ذاته . . . !

هذا بالفعل ليس له إلا تفسير واحد، تفسير لا يتناسب مع عقليتي، ألا وهو . . .

لا، لن أتعجل في تحليلي للأمر .

ياسمين جاءت لي في المنام وقالت لي: "عليَّ أن أصدق فارس وفتحي" .

الآن أنا قد صدقت فارس وعليَّ الآن أن أصدق فتحي .

جاءت فكرة في بال فريدة ألا وهي العودة بالزمن إلى ما قبل انتحار فتحي . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها: "أنا رأيت الموضوع من ثلاث جوانب . . . الجانب الأول الحقيقة غير الكاملة أي ما يعلمه فقط فارس، والجانب الثاني هي الحقيقة التي رأيتها بعيني أنا وهي التي لا يعلمها فارس، والجانب الثالث هو وجود جواد التي لا يراه سوى فارس، لم يتبق سوى الجانب الرابع للموضوع وهي نظرة فتحي للموضوع، أكيد سوف أصل لطرف الخيط الذي سوف يصلني لحل . . .

أمي قالت أن الكلام في المنام حق، يجب أن أتبع التعليمات، يجب أن أتبعها . . .

لن أخاف من جواد ولا من تحذيره .

هنا بدأ ضوء غرفتها في التذبذب وبدأت تشعر برجفة بسيطة، فقالت فريدة بثقة وهي تهم بإخراج سلسلة أمها المنقوش عليها لفظ الجلالة "الله" في نجمة سداسية وقالت بقوة:

لقد رباني أبي على عدم الاستسلام وعلى عدم الخوف .

ومن ثم كتبت تاريخاً قبل هروب فارس، ها هي وصلت الشقة وما زال البخور يملأ الجو، كان الوقت ليلاً وها هي تسمع صوت بكاء رجل قادم من إحدى الغرف . . .

اخترقت الغرفة، فرأته منكشاً ويبكي نادماً . . . ويقول:

يا رب ساعدني على التخلص من هذا الشر الكامن به، يا رب أنا أعلم أنني وحدي من سوف أتمكن من تخليصه لأنني وحدي الذي تسببت في كل هذا .
ولكنك لا تريد أن تتوب عليّ بسبب ما فعلت، أرجوك ساعدني وخلصني من عذابي .

هنا قررت فريدة أن تظهر له وقالت له برفق:

— أرجوك لا تقزع مني، أنا جئت للمساعدة .

وقف مكانه وتمتم:

— أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

قالت له بلين كي تهدئ من روعه:

— حسناً هيا بنا نقولها سوياً، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ها أرايت لم أحترق . . . أنا من الإنس لا من الجن، ولكني جئت من المستقبل كي أنقذ ابنك، ابنك يتعذب وجواد يريد أن ينهي حياته .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها:

—من هو جواد . . . ؟

—جواد هو شاب يشبه ابنك فارس .

ومن ثم حكّت فريدة الحكاية من جديد إلى فتحي وفهم، وقال باكياً:

—إن الشيطان هو من وهبني فارس ويريد أن يأخذه مني، كنت أريد ابناً سنداً لي،

ولكن بمجرد قدومه كان لعنة حياتي .

نظرت له فريدة باستغراب وسألته:

—الشيطان هو من وهبك فارس . . . ! كيف هذا . . . ؟ أنا أعلم أن الله هو من

يهب كل شيء لا الشيطان .

بكى فتحي وخرّ أرضاً وقال:

—الله، الله لن يرضى عني بعد ما فعلت . . . الشيطان يا بنيّ قادر أن يفعل لك كل

شيء بمجرد أن تؤمّني به وتسجدي له وتكفري بالله . . . الله يغفر الذنوب جميعاً إلا

الشرك به . . . وأنا لم أشرك فقط بل كفرت . . . لم أجد للرب بل لجأت للشيطان .

فصارت حياتي جحيماً بسبب الشيطان في الدنيا . . . وستكون جحيماً في

الآخرة بسبب عدم رضي الرب .

نظرت له فريدة وهي لا تفهم شيئاً وسألته:

-لا أفهم شيئاً، لم لجأت للشيطان . . . ؟

-السبب هو . . .

ولم يكمل كلامه وبدأ البيت في الارتجاف والضوء في الاهتزاز وصوت ضحك

مخيف قادم من غرفة فارس، وها هو قد قام بكسر الباب وقام برفع أبيه عاليًا، وها

هو يذكر الله ولكن قواه تزداد أكثر، ولم يجرّ فارس واقعاً إلا بعد أن لفحته أمه بمفرش

منقوش عليه آية قرآنية، ذلك المفرش شل حركته تماماً .

وأنا بمجرد أن سمعت صوت فارس في البداية خفيت نفسي، وها أنا أتابع ما

يحدث، فتحي يقوم من على الأرض، ويقول لرحاب أن تحمل فارس لسريه، وجلب

هو الحبال وقام بتقييده، ولكن حينها كان فارس في حالته العادية، ولكن أباه فتحي

بدأ في ضربه وهو يقرأ القرآن، وفارس يستنجد بأمه، وما حدث أنتم تعرفونه

جيداً .

قررت فريدة العودة لحياتها ومن ثم ترددت وقالت في قرارة نفسها:
 -لا، ليس لدي وقت للراحة، يجب أن أستغل ما تبقى من وقت هذه الرحلة في
 معرفة الحقيقة، يجب أن أعرف ما فعله فتحي ولم... ؟
 قررت فريدة أن توقف الزمن، وتلبست فتحي، وقررت أن تنسخ ذاكرة فتحي من
 عدسة عينيه على عدستها الخاصة بأقصى سرعة.
 خرجت مسرعة من جسد فتحي ورجع الوقت وخرجت من التجربة تمامًا .
 عندما عادت للواقع سقطت أرضاً وفقدت الوعي .
 يبدو أن التجربة أثرت عليها إلى أقصى درجة هذه المرة من هول وكمية المشاهد التي
 قامت بنسخها على عدستها التي تشكل لها ذاكرتها المؤقتة .
 وبمجرد أن فاقت أمسكت رأسها، كانت تشعر بالدوار، قامت بتوصيل جهاز
 السفر عبر الزمن لاسلكيًا بنقلها، لمست خاتمها وعرضت كل الملفات على
 الشاشة المنبثقة أمامها .
 كل ملف يحمل يومًا من أيام فتحي ...



قررت فريدة أن تتغيب عن الجامعة وذهبت لكي تعد كوب النسكافيه الخاص بها،
ومن ثم بدأت بأول ملف بأقصى سرعة وتتوقف عند المشهد المهم وكفى، ومن هنا
بدأت .

الفصل الثامن

الشیطان

في عام 1996 في شهر يوليو، ها هو فتحي يجلس على كورنيش النيل مع شابة في العشرينات من عمرها، إنها طويلة وعريضة، وشعرها متوسط الطول وفاحم اللون، ملاحظتها تشبه فريدة، ولكن غلب عليها الطبع البلدي بسبب طريقة كلامها، وكانت ترتدي عباءة سوداء ضيقة، وحجاباً غير مربوط يغطي نصف شعرها، وملطخة شفاهها بأحمر شفاه. فتحي يجلس بجوارها يأكل الترمس، ويدو أنه في أواخر العشرينات.

قالت له وهي تصمص شفتها:

—ألن تتقدم لي يا فتحي . . . ؟

قام فتحي بوضع قرطاس الترمس جانباً، وأردف متأففاً:

—آه، بدأنا في أسطوانة النكد يا عليا . . ؟

—لست نكدية يا فتحي، ولكني سئمت من وضع العشاق هذا واللقاء من حين

لآخر خفية، كل ما في الأمر أنني أريد أن أكون لك .



—وأنا أريد ذلك بل وأكثر، ولكن ليس بيدي حيلة، وأنت تعلمين أنني لا أريد سواكِ .
—نعم، أعلم أن قلبك لا يريد سواي، أنت لي أنا وحدي، وإن قررت أن تكون لغيري،
حياتك ستصبح جحيماً .

فتح فتحي قرطاس الترمس وبدأ يأكل منه وهو يقول متهمكماً:

—حياتي ستصير جحيماً أكثر من الذي أنا فيه . . . !

ضربته برفق وقالت له:

—ألا تكف عن المزاح يا فتحي . . ؟ يا فتحي أنا مرتبطة بك منذ ست سنوات ولم
تتقدم خطوة للأمام، إلى متى سأنتظر . . . !

رمى فتحي قرطاس الترمس في النيل، ونظر بغضب لعليا وقال لها:

—ماذا تريديني أن أفعل لك . . ؟ يعني إن رأيتني أتصنع الضحكة في وسط الهم

نكدت عليّ، تكفي الدنيا عليّ يا عليا، ماذا كان بيدي أن أفعل ولم أفعله، قولي

لي . . . ؟ مرتبي الذي آخذه من وقتي في الحل طوال الشهر يكفي خروجنا سوياً

وإيجار الشقة التي أعيش بها مع أهلي .

—بيدك يا فتحي، بيدك، أنت وسيم .

—وسيم . . . ! أول مرة أعرف أن الرجل يُمدح لوسامته، وماذا سوف أفعل
بوسامتي، أتريديني أن أمشي على حل شعري وأبيع شرفي . . . ! يا ليت، ولكني
رجل، لا فائدة من وسامتي .

نظرت له عليا بمكر وابتسمت وقالت:

—لا، بل يمكنك أن تستغل وسامتك وتأكل الشهد .

نظر لها فتحي مستغرباً، وأردف بصوت مكتوم من الحيرة:

—لا أفهمك يا عليا . . . ! فهميني . . . !

—رحاب . . . !

رسم ملامح الغباء على وجهه وتساءل:

—رحاب من . . . ؟

—رحاب التي تعمل عندها في أحد محلاتها، صاحبة السوبر ماركت الموجود في
عمارتها .

نظر لها فتحي وأشاح بنظره عنها ونظر للنيل وقال ساخراً:

—يعني رحاب سوف تترك كل من يريدها وسوف ترضى بي أنا . . . ؟

-لا تعطيها أكبر من حجمها يا فتحي، هي أكبر منك أولاً، وعمرها الآن ثلاثون، وأرملة بعد عشرة أعوام من الزواج بالمعلم صلاح الذي كان يكبرها بثلاثين عاماً .
بينما أنت تصغرها، هي لم تعش شبابها يا فتحي، بل اشتراها رجل في عمر والدها ودفن شبابها، والآن هي محرومة من الزوج منذ عام، العب على مشاعرها بحجة الحب، سوف تلين لك أنت، من يتقدم لها كلهم رجال متزوجون ومعهم أولاد فلا يهمهم إن كان بها عيب الإنجاب أم لا، لأنهم لديهم أولاد في الأساس، الكل يريد أن يمتص شبابها ويتمتع بها، بينما أنت ستكون المختلف عنهم، أنت الشاب الوحيد الذي تجرأ على حبها، وما يميزك عن بقية الشباب أنك وسيم، هي من ستطعم بالاستمتاع بك وأن تعوض نفسها بك عن حرمانها .

نظر لها فتحي باستغراب وسألها:

-هل أنتِ بالفعل تحبينني يا عليا . . . !

ضربته عليا على صدره وضحكت ضحكة متصنعة:

-طبعاً أحبك، وهل هذا سؤال يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي بجدية وسألها:

-كيف تحبينني وأنت تريدني أن أكون لغيرك . . . ؟ أنا لا أحب سواك ولم تملأ عيني
أي امرأة كانت، وإن كان من أجل المال لا أريده، أنا لم أخنك في خيالي، أتريدني أن
أفعل هذا حقاً . . . ؟

وضعت يدها على كتفه ومن ثم لفتت وجهه تجاهها وقالت له بلين:
-أنا واثقة في إخلاصك لي يا فتحي، لذا قلت ذلك لأنني واثقة أنك سوف تنفذ
الخطوة وكفى، ومن ثم نستمتع نحن في العز .

أرجوك اسمع لي يا فتحي، لقد سئمت الفقر والبعد .
أشاح فتحي بنظره عنها وقال لها:

-لا أستطيع أن أفعل ذلك يا عليا، صدقيني . . .

-إن كنت تحبني بصدق يا فتحي افعل ما أقوله لك، جربها، هل بالفعل سوف تميل
لك أم لا . . . ؟ وإن لم تمل سوف أجعلها تميل بطريقتي .
نظر لها فتحي باستغراب وقال:

-وما هي طريقتك . . . ؟

التقت عليا ومصمت شفها وقالت بتهكم:

-لا تتعجل الشيء قبل أوانه، وعلى العموم على رأي المثل: "إن فشل رجالها ما يتمها إلا نساؤها".

نظر لها فتحي متهمكاً:

-لم أسمع بهذا المثل من قبل.

قامت عليها بضربه على كتفه وضحكت وقالت:

-قطيعة تقطعك يا فتحي، اسمع وأنت ساكت.

مر أسبوع وفتحي يحاول أن يجذب انتباه رحاب كل ما تأتي للمحل، لا يتوقف عن النظر لها يا عجب أو حمل أشياء ثقيلة أمامها مما يبرز من عضلاته وقوته وشبابه، ولكنها لم تكثر له قط، ولكن في نهاية الأسبوع كانت المفاجأة عندما نادى عليه رحاب.

هرول إليها مسرعاً وهو يشعر أنه يطير من الفرحة وكأنه يقول: "رحاب قلبها مال". . .

ولكنها سلبت الابتسامة من وجهه عندما همست له:

-إن لم تتوقف يا فتحي عن تلك الحركات والنظرات لي سوف أقطع رجلك من المحل، ولن يكون لك أكل عيش هنا، ولكني صبرت عليك لأنني أعرف أنك مسؤول عن أهلك، وأنا لا أحب قطع الأرزاق.

حاول فتحي أن يدافع عن نفسه وتمتم متوتراً:
-ولكن يا معلمة أنا . . .

قاطعتها رحاب وقالت له مجزم:

-لا لكن ولا غيره، مثلما أنا لاحظت نظراتك لي هذا يعني أن كل من في المحل لاحظها كذلك، وأنت لا ترضى لي تلويث سمعتي، مثلما أنا خفت عليك وعلى رزقك، خف على سمعتي إلا والله . . .

قاطعتها فتحي طالباً منها السماح:

-أنا آسف يا معلمة، توبة يا معلمة، العين لا تعلو على الحاجب، آخر مرة يا معلمة. ورحل مطأطئ الرأس وأكمل يومه وهو يشعر بالخذلان.

ثم في اليوم التالي أتت إليه عليا وكأنها تشتري شيئاً ما وسألته هامسة:
-ها، سبيع ولا ضيع . . . ؟

نظر لها فتحي بلامبالاة وتمتم:

-كلب.

-ماذا تقصد بكلب...؟

-مسحت بكرامتي الأرض مثل الكلب.

-لا يهمك يا فتحي، اترك الأمر لي.

-ماذا ستفعلين...؟

تركته ورحلت ولم تجبه، وعندما أوشكت على الخروج نظرت لرحاب التي كانت

تنظر لها ولفتحي، ومن ثم رحلت.

في اليوم التالي جاءت عليا لفتحي وقالت له:

-ضع ما في هذا الظرف في أي شيء لرحاب؛ كوب ماء، شاي، قهوة، أي شيء،

وادعُلي.

نظر لها فتحي بغباء وسألها هامساً:

-ما الذي في الظرف...؟

همت خارجة من المحل متمختره ضاحكة وقالت بصوت عال:

-سكريا سكر.

ومن ثم نظرت نظرة مكر لرحاب ورحلت.

وبالفعل بعد قليل طلبت رحاب شايًا وجلبه لها فتحي، ولكن قبل وصوله المحل فتح الظرف وتفاعلاً أن ما بالظرف سكر، لم يهتم، وضعه وقلبه وقدمه للمعلمة.

بعد قليل من الوقت، قالت له رحاب بصوت متعب:

-فتحي، أنا سوف أعود للبيت، أنا متعبة قليلاً.

هم فتحي تجاهها وقال لها بلهفة:

-أتريدين أن أوصلك يا معلمة . . . ؟

-لا، انتبه أنت للمحل.

وتحاملت على نفسها وصعدت، ظلت رحاب لا تنزل للمحل لمدة أربعة أيام، ولكن

في اليوم الخامس جاءت الحل وهنا صدم فتحي لما رآه.

رحاب خلعت عباؤها السوداء وارتدت فستاناً وردياً وحجاباً وضع على رأسها

كاشفاً عن شعرها وكانت متبرجة، رحاب كانت بيضاء جداً واسعة العينين جميلة

ذات شعر حريري كستنائي، هم فتحي ووضع لها الكرسي وهلل لها:

نورت المحل يا معلمة، المحل كان مظلماً من دونك والله .

ضحكت رحاب ولأول مرة يرى فتحي ضحكتها بالفعل:

يقطعك يا فتحي ألا تتوقف عن الكذب أبداً . . .

هنا فتحي لم يتوقف عن الكذب بل قلبه الذي توقف وقد خلع من مكانه بعد ما رأى

ضحكتها التي زادت فوق الجمال جمالاً . . .

ولكن سرعان ما طقطقت رحاب أصبعيها كي يفيق من شروده:

فتحي، ما بك شارد هكذا . . . ؟

فاق فتحي من شروده وتلعثم في الكلام وقال:

أخاف أقول لك السبب يا معلمة فتقطعي رجلي من المحل، وأنت تعلمين أنه مكان

أكل عيشي .

نظرت له رحاب برفق وقالت له:

قل ما تشاء يا فتحي، أنت لك معزة خاصة في قلبي .

هنا تسمر فتحي مكانه، يشعر أنه يحلم، كيف لرحاب أن تكلمه هكذا، هنا شعر

أنه في السماء وطاقة القدر قد فتحت له .

قطعت رحاب شروده مرة أخرى وقالت ضاحكة متهمكة:

— وماذا بعد يا فتحي . . . ؟ هل سوف تقضي اليوم كله شاردًا وساهم هكذا،
هيا على أكل عيشك .

ابتسم لها فتحي وقال لها:

— أوامرك يا معلمة .

وها هو فتحي ابتسامته لم تفارق وجهه، وما كان يجعله يبتسم أكثر أن رحاب كانت

تبادلته نفس النظرات، وبعد المغرب نادى رحاب على فتحي وقالت له:

— فتحي، أنا سوف أذهب لشقتي كي أرتاح قليلاً، وأنت بعد أن تنتهي أي قبل أن

تذهب لبيتك مر على شقتي ومعك كشف الحساب وإيراد الأيام السابقة .

تعجب فتحي، ليس من عادتها أن تقول له يمر عليها في شقتها، ولو على متابعة

الأعمال دائماً تتابع أولاً بأول وهي في الحل، ولكنه فهم المغزى وقال: صيدة سهلة،

وقرر أن يستغلها .

فتحي صعد إليها وقلبه يطير فرحاً، صار يتمتم في قرارة نفسه:

— هل السحر هذا الرحاب كي تقع في حبي أم لي أنا كي أعشقها . . .

فتحت رحاب باب شقتها وكانت ترتدي روبا حريياً بنفسجياً وقامت بربطه جيداً على جسدها مما أبرز معالم جسدها جيداً، هنا فتحي فتح فاه وقال في قرارة ذاته:

- ما هذه قنبلة الجمال التي أمامي، أريد أن أكلها، آه لو . . .

هنا سمع صوت رحاب قاطعة شروده:

- اتفضل يا فتحي . . .

تمالك أعصابه ونظر أرضاً ودخل الشقة وركبته لم تعودا قادرتين على حمله، ركبته ترنجان من هول الموقف الذي هو فيه، ولكنه تمالك نفسه، وشعر أن الطريق طال كثيراً، فصار يريد أن يصل إلى أي شيء يجلس عليه قبل أن يخرج تحت قدمي رحاب ذائبا من سحر جمالها .

وأخيراً وصل، وظل ساكناً لا يستطيع التكلم وقد عقد لسانه عن الحديث . . .

فسمع صوت رحاب وهي تقول له:

- ماذا تشرب يا فتحي . . . ؟

التفت لها فتحي، ولكنه لم ينتبه ماذا تقول لأن عقله شارد في جمال عينيها . . .

كررت سؤالها بصوت حان:

—ماذا تشرب يا فتحي...؟

تنحى فتحي واستجمع قواه وابتسم وقال:

—لا يا معلمة، لا أريد أن أتعبك، هذا هو كشف الحساب وهذا هو الإيراد بالتام.

—كلمة معلمة هذه في المحل، بينما هنا أنا رحاب.

—لا يصح يا معلمة، العين لا تلو على الحاجب، أنا أين وأنتِ أين كي أزيل ما بيننا من حواجز.

اقتربت منه رحاب على مهل وجلست بجواره وقالت له بحنو:

—لا يوجد فرق بيننا ولا مسافات، كلنا ولاد تسعة.

هنا تصب فتحي عرقاً وكأنه جبل جليد اقترب منه بركان منصهر فلم يصمد أمامه وذاب.

لم يرد فتحي فسألته رحاب وهي تهم بسحب منديل من على المنضدة الموجودة

أمامها، وسألته وهي تهم بمسح عرقه، ولكن سرعان ما رغب في مسك المنديل

فأمسك يدها، فنزع يده مسرعاً متأسفاً، ولكنها أكملت ما كانت تنوي فعله ألا

وهو أن تمسح له وجهه وهي تهمس له بهمس أشبه بالفحيح الملتهب:

-ماذا بك يا فتحي...؟ لم أنت متوتر إلى هذا الحد...؟

-يا معلمة أصل أنا، لم أتحيل قط أن أكون معكِ هكذا...؟

-مرة أخرى تقول يا معلمة...؟ اسمي رحاب...؟ أم هو لا يعجبك يا فتحي؟

-لا يعجبني...! يعجبني ويعجب أهلي، كل ما بك يعجب بلدي يا معلمة.

من ثم همت رحاب واقفة ومن ثم سأله مرة أخرى:

-ماذا تشرب يا فتحي...؟

هنا فتحي أخذ نظرة لجسد رحاب من أخمص قدميها ورفع نظره لجزء جزء في

جسد المعلمة إلى أن رفع رأسه وقابلت نظره نظرة عينيها، ومن ثم هم واقفاً وقال

لها وهو يسكها من ذراعيها وهمس لها وهو يحاول أن يقبلها من رقبتها:

-لا أريد أن أشرب إلا حبيك، أريد أن أرتوي بعشقك، أريد...

هنا أبعدته رحاب وقالت له بحزم متصنع:

—أجنت يا فتحي، أهكذا تفعل بي وأنا ائتمنتك على دخول بيتي، أنا ست محترمة

يا فتحي، ليس لي في الحرام . . .

اقرب منها وقال لها متذللًا لاهثًا:

—هو أنا أطول منك الحلال يا معلمة . . . ؟

نظرت له بمكر ومن ثم ابتسمت وقالت:

—يمكنك أن تنال الحلال والقرب مني إن توقفت عن قول يا معلمة .

طار فتحي من الفرحة وقال بانفعال من شدة الفرحة:

—بل سأتوقف عن ذكر أبوها من أجلك يا معلمة .

ومن ثم قام بضرب ناصية رأسه بكف يده وقال:

—أقصد يا ست الكل، يا ست الحسن، يا ست الستات، . . .

ابتعدت عنه رحاب ضاحكة وقالت:

—يكفي يا فتحي، سوف أذهب وأجلب لنا كوين عصير وأتي إليك .

هم فتحي وراءها لاهثًا قائلاً:



—عنك يا ست الستات، أنا خدامك، أنا أفعل لك ما ترغيبين به، كل ما تريدينه
سيكون تحت رجلك، حتى أنا تحت رجلك يا ست هانم.
وبالفعل جعلها تجلس وجاء إليها بكوبي العصير ومن ثم جلس تحت رجلها فقالت
له بحيرة:

—فتحي، قم واجلس هنا بجواري.

ابتسم فتحي وقال لها:

—أنا هنا مرتاح أكثر يا ست الكل، مستوى الرؤية من هنا أفضل.

ومن ثم غمز لها، فقامت رحاب بضربه على صدره البارزة منه عضلاته وقالت له:

—يقطعك يا فتحي، دمك شربات.

نظر لها بشغف وأردف ذائبا:

—يقطعني، يقطعني مادام من أجلك يا ست هانم، فذاك كلي يا ست الكل.

من ثم قالت له بصوت حان:

—هيا نبداً . . .

هنا لم ينتظر فتحي كي تكمل كلامها وهم واقفاً يريد أن يفتح قميصه، أوقفته رحاب ضاحكة:

-ماذا تفعل يا مجنون...؟

-أبدأ يا ست الكل، أنا رهن إشارتك.

-قلت لك في الحلال، أنا أقصد فلنبداً متابعة العمل.

نزل فتحي تحت قدميها وتوسل لها وقال:

-والنبي يا ست الكل دعيني أجلب المأذون حالاً، لا أستطيع أن أنتظر، نار الشوق

أشعلت في كل جوارحي.

ضحكت رحاب وقالت له:

-انتظر الغد وسأكون لك.

وبالفعل تم الزواج، وأخذوا إجازة شهر العسل وقاما بقضاءها في الإسكندرية، ومن ثم عادا للعمل من جديد، كان الناس يحسدونهما بالفعل على حبهما لبعضهما البعض.

وعندما جاءت عليا للمحل طلبت رحاب من فتحي ألا تأتي للمحل مرة أخرى؛ لأنها تغار عليه بشدة.

كان يستغل الأيام التي تسافر فيها لأهلها أو لمتابعة أعمالها ويبقى هو بمحبة متابعة أمور المحل، وكان يقابل عليا سراً في الشقة.

كان يقابلها لا من أجل أنه ما زال يحبها، ولكن من أجل أن يتخلص من ظهورها من حين لآخر.

مرت سنة ولم تحمل رحاب، وها هي عليا تقول له:

—سحبنا مبلغاً ممتازاً من المغفلة رحاب.

نظر لها فتحي باحتقار وقال لها:

—ألا يكفي ما جمعتيه إلى الآن . . . !

نظرت له بغضب وقالت:

- اسمها جمعناه، هذا المال لي ولك يا فتحي، ما بك يا فتحي؟ لم تغير أسلوبك معي؟ أنا ملاحظة التغير ولكن تحملت إلى أن أصل لمبتغاي، أقسم لك يا فتحي إن كان ما في بالي صحيحاً أنت تعلم ماذا سأفعل، أنت لي أنا وحدي، وإن قررت أن تكون لغيري حياتك ستصبح جحيماً .
- قام فتحي من مكانه وقال لها غاضباً:
- يكفي تهديد، في كل مقابلة تهددينني .
- همت خلفه وعانقته وهمست له برفق:
- آسفة يا حبيبي، ولكنك تعلم أنني أحبك وأريدك لي وحدي .
- نزع فتحي يدها عنه وجلس على الكرسي المواجه لها وسألها بحنق:
- وما هي خطتك التالية؟
- تتخلص منها .
- هنا صدم فتحي وهمّ واقفاً متوتراً متسائلاً:
- كيف تتخلص منها . . . ؟
- هنا اقتربت منه عليها سائلة إياه بتهكم:

— ولمَ فرغت وتوترت هكذا؟ أتحبها...؟

أشاح فتحي بنظره عنها كي لا تنفضحه عيناه، وقال محاولاً أن يتمالك أعصابه:

— القصة ليست قصة حب، كل ما في الأمر أنك تخططين لجريمة قتل، وهذا أمر ليس هيناً.

التقت ووقفت أمامه عليا وأمسكته من ذراعه وقالت له:

— ومن قال لك سوف تقتل؟ بل سوف أتصرف بطريقتي.

هنا سكت فتحي قليلاً ومن ثم قال اقتراحاً وقد رسم ابتسامة على وجهه:

— لدي اقتراح آخر يا عليا، لم نخلص عليها الآن ونأخذ فتافيت من الورث، بينما

نتنظر إلى أن يكون لي منها ولد ونأخذ الجمل بما حمل.

— والله فكرة يا فتحي، ولا تكون أحببتها يا فتحي...؟

— لا أحب إلا أنت والمال فقط.

— إن كان على حب المال، موافقة.

ومن ثم عانقته، هنا رأت فريدة أن فتحي يحتنق من أثر عناقها له.

تحملت عليا أن يكون فتحي لغيرها لعام آخر على أمل أن ينجب، ولكنه لم ينجب قط، كان فتحي لا يبالي بالإنجاب مادامت معه رحاب .

في شهر أغسطس في عام 1998، أي بعد مرور سنتين على زواج فتحي من رحاب، صار مضطراً أن يوافق على شرط عليا له، بأنه إن لم ينجب خلال تلك الفترة فلتبدأ هي وتصرف بطريقتها .

سألها فتحي:

—ماذا ستفعلين وإلى أين تأخذيني معكِ . . . !

—سوف نصل وتفهم كل شيء الآن .

دخلتا بيتاً مهالكا في إحدى القرى، بيتاً ممتلئاً بالقطط السوداء، ومزدحماً بكثير من الناس مختلفي الشكل والملبس، نظر فتحي لها وسألها:

—ماذا نفعل هنا . . . ؟

همست له:

—ما أريد أن أفعله لا يمكنني أن أفعله بنفسي، يجب أن تكون موجوداً أثناء الطقوس .



ترك يدها وابتعد عنها وقال لها :

—أي طقوس . . . ؟

هنا التقت إليهما الناس، فسحبته من يده للخارج وقالت له وهي تركز على

أسنانها :

—لا تفضحني هنا، اتبعني ولا تسأل كثيراً، لا تجعل غضب الشيخة يسقط علينا .

مر الوقت، وها هما فتحي وعليها دخلا غرفة لا يوجد بها أي مصدر للضوء سوى

شموع تعكس ظل تلك العجوز على الجدار مما زرع شعور الخوف في قلب فتحي،

تتوارى تلك العجوز مشعثة الشعر الأبيض خلف بخور كريه الرائحة، سرعان ما

سمع فتحي صوتها فخلع قلبه من مكانه وزاده فوق الفرع فرعاً :

—اقترب يا ابن سيده وصالح، تريد المال والجاه، إليك ما تمناه، ولكن نفذ ما أقوله

لك، وسوف تجد مرادك تحت قدمك .

هنا نظر فتحي بتوتر إلى عليها، فوكرته كي يتقدم ويجلسا سوياً .

أول ما قالته العجوز الشمطاء بصوتها القوي الذي لا يتناسب مع سنّها :

—اخلعوا ملابسكما .

هنا اعترض فتحي وفزع من مكانه، فأمسكت عليها يده كي يجلس مرة أخرى .

فترك يدها وقال بغضب:

—أجنتت، من الذي يخلع ملابسه . . . !

هنا ربت عليها يدها على صدرها كي يسمع لها، ولكن سرعان ما حول فتحي

نظره عندما سمع صوت الساحرة التي تقول بسخرية:

—أنت من سوف يخلع ملابسه يا ابن سيدة الخدامة وصالح الحرامي . . .

هنا همست عليها له وهي تقول له برفق:

—أرجوك دعنا نكمل ما بدأناه، لا تجعلها تنزل علينا سخطها .

نظر فتحي للساحرة وهو يخبر على ركبتيه وسأها بحيرة:

—ولم أخلع ملابسي . . . ؟ لم أعلم أن السحر يتطلب هذا . . . !

قالت الساحرة بغضب وهي تلقي بالمزيد من البخور على الجمر المتلهب:

—علمني عملي يا فتحي .

هنا اقتربت عليها وقالت بخوف:

—اسمع يا فتحي ونفذ أرجوك .



هنا شعر فتحي برجفة في المكان وصارت شعلات الشمع تهتز وانطفأت، هنا ارتعب فتحي، ولكن سرعان ما رأى أمام عينيه ناراً اشتعلت بشدة بدلاً من الفحم، النار صارت تتأجج مثل الجحيم، وعيون الساحرة صارت حمراء وقالت بغضب:

-الآن . . . قم بالسمع والطاعة .

بدأ فتحي وعلياً يجلع ملابسهما وكان فتحي يرتجف وهو يوارى عورته وسأها بجوف:

-ولكن لم . . . ؟

-تعويذة جلب المال تحتاج دم عذراء كي يتغير لك الحال .

تم فتحي وقال لها بتردد:

-إن هذا الأمر لا يحتاج أن أخلع ملابسني، بإمكانك فعل ذلك .

هنا قالت له علياً:

-أنسيت أننا سنجرب موضوع الحمل فيّ أنا . . . !

-ولكن، لم أكن أظن هذا . . . !

هنا ارتجفت الغرفة بشدة، وظهر دخان رمادي كثيف، ومن خلف الدخان بدأ
يتكون جسد ضخيم ذا جلد أسود مثل الفحم وله أجنحة ضخمة مرتفع عن الأرض
برغم عدم استخدام أجنحته، جسده أشبه بالبشر ولكن بضخامة وجلد بشع،
وملامحه كانت مفزعة، عيناه كانتا مثل عيون الثعبان ولكنها كانتا عبارة عن جمرتين
ملتهبتين ينبعث منهما الشر، وأنفه كان مطموساً بداخل وجهه، ويخرج من رأسه
قرنان أسودان، تصلب كل من فتحي وعلياً من شدة الصدمة ولكن سرعان ما وقع
على مسامعهما صوت قادم من الجحيم:

— اسجدوا لي يا أولاد آدم، ولكما عندي ما تمنياه .

هنا تجمد فتحي فزعاً من صوته ومن لسانه المشقوق ومن طلبه أن يسجداً إليه .
ولكن تردده لم يدم كثيراً لأنه فجأة اهتزت الغرفة بشدة وبدأت جدران الغرفة في
السقوط، ولكن سرعان ما تغير المكان إلى مكان أشبه بالجحيم، وها هو فتحي
وعلياً يمسكان ببعضهما على منحدر صخري أسفل حمم بركانية ملتهبة، ها هي
علياً تصرخ وتمسك بفتحي وتقول باكية:

— أَرْجوك، لا تفعل بنا شيئاً، سنسجد لك، سنسجد لك .

في غمضة عين رجعا إلى نفس الغرفة ولم يصب الغرفة أي تغيير، هنا نزلت عليا ساجدة، وقبل أن تسجد سحبت فتحي كي يسجد معها، وبالفعل قد سجد . بمجرد أن رفعاً رأسهما من السجود لم يكن للكيان الشيطاني وجود . هنا قامت الساحرة من مكانها واقتربت من عليا التي كانت ترتجف خوفاً من شكلها، ومن ثم مدت أنبوباً زجاجياً في فرج عليا بقوة كانت كهيئة أن تصرخ عليا صرخة مدوية، ومن ثم كتمت ألمها عندما أخرجت الساحرة الأنبوب منها، ومن ثم تكلمت الساحرة وقالت بلهجة آمرة:

-ابدأ في جماعها، الآن .

-لا أستطيع . . .

ارتجفت الغرفة واهتز ضوء الشموع إلى أن انطفأ تماماً، ومن ثم أضرمت النار فجأة، ومن ثم . . . لا شيء . . .

عليا قامت وارتدت ملابسها وفتحي كذلك .

-ما هذا . . . ! يوجد شيء حدث لميره فتحي بعينه .

يجب أن أعود بالزمن وأكون أنا طرفاً خارجياً وأرى بنفسى .

صرخ فتحي بقوة ورجع ظهره للخلف وكأن شيئاً قد تلبسه، ومن ثم رجع لوضعه
 ببطء وفتح عينيه بسرعة فكشفت عن جمرتين ملتهبتين، وهمَّ بعاشرة عليا
 بوحشية وعليها تصرخ، ولكن صراخها زاد أكثر عندما بدأت تشعر أن اللهب قد
 صُب بداخلها صبا، كانت قوة صرختها كفيلاً أن تفقدها الوعي، وها هو فتحي
 جسده يلتقي أرضاً وكأنه خاو تماماً من أي روح.

وها هي الساحرة تقترب ومعها قطعة قماشية تمدّها بداخل عليا الفاقدة للوعي،
 تخرجها مبلة، ومن ثم بإشارة منها أفاقا عليا وفتحي وهما يشعران بدوار رهيب،
 فأمرتهما الساحرة بارتداء ملابسهما .

ونظرا للساحرة التي كانت تكتب تعويذة بذلك الدم، وكانت تتمم بكلمات لم
 يفهماها قط، ومن ثم قالت لفتحي:

بهذه التعويذة ستكون رحاب خاتماً في إصبعك، يمكنك أن تكتب لك كل أملاكها
 بكامل إرادتها .

نظر لها فتحي متعجباً:



- كل أملاكها من هذه التعويذة . . . ! يعني هذا انه لا داعي لفكرة الحمل ولا يوجد

داعٍ أن أجامع عليها كي نجرب الفكرة من الأساس .

نظرت له الساحرة بتهكم وقالت له ساحرة:

- ابنك في رحمها الآن .

نظر فتحي بصدمة وقال:

- ابني . . . ! أنا لم أفعل شيئاً .

- بل فعلت، لقد استخدمك لوسيفر كوعاء له، لا يوجد نكاح بين الجن والإنس إلا

من خلال التلبس ببشري .

قالت عليها بصوت متألم:

- أشعر بنار في رحمي .

قالت لها الساحرة بلامبالاة:

- إنه ماء فتحي ولكن بقوة وحرارة لوسيفر .

قال فتحي معترضاً:

- ليس ابني، أنا لم أفعل شيئاً .

قالت الساحرة بنبرة رخيمة وهي تكمل كتابة تعويذتها:

-بالفعل إنه ليس ابنك لأنك عقيم، ولكن ما قلته أن الماء مأوك أنت، لديك حيوانات منوية ولكن وجودها مثل عدمها، ضعيفة، ولكن بقوة سيدنا تم الحمل .

ابتعد فتحي وهو يحاول الهرب وهو يقول بذعر:

-إنه ليس ابني، إنه ابن الشيطان، ابن الشيطان .

ولكن الساحرة أوقفته ورفعته عن الأرض وقالت:

-إذا خرجت الآن لا يوجد أحد سوف يخسر سواك .

ومن ثم قامت برميها بقوة على الأرض في إحدى زوايا الغرفة .

هنا نظرت له عليا بغضب وقالت:

-أنا فعلت ذلك لأنني أعلم أنك خسيس سوف يأتي يوم وتتركني وتأخذ كل شيء

لك وحدك، لذا قررت أن يكون بيني وبينك هذا الطفل كي يكون له ما سيكون

لك .

أنت تعلم جيداً أنني يمكنني أن أجعلك تخسر كل شيء، هذه الساحرة تكون عمتي

ويدها أن تحول حياتك جحيماً .



يمكنني مثل ما جعلت رحاب تحبك يمكنني أن أجعلها ترميك رمية الكلاب .

إن أردت أن تفوز بما لها فسوف أفوز به معك، وإن قررت أن تبعد عني، سأجعلك
تخسر رحاب وتكون كلب تابع لي .

هنا حاول أن يقوم فتحي وهو يشعر بالذل وكأنه في وكر عصابة تمكربه، ومن ثم
قالت له الساحرة:

- اسمع يا فتحي، خذ هذه التعويذة وأجعلها تبيت في فرج زوجتك ليلة كاملة .
توتر فتحي وسأل:

- وما فائدتها . . . ؟

- ما بداخل هذه اللقافة سيجعل زوجتك تحمل منك، ولكن ضعه بداخلها بعد
الانتهاء من الجماع وبعد أن تجعلها تشرب هذا المسحوق في أي مشروب .

- ما هو هذا المسحوق وما فائدة الإنجاب مادام ستكون مثل الخاتم في إصبعي
فلأقتل كل أملاكها باسمي وكفى . . . ؟

- هذا المسحوق ستكون به مثل الخاتم في إصبعك، ولكن من قوة السحر الذي سوف يجري في جسدها بسببه سوف تفقد الوعي، فاستغل أنت هذا الوقت وضع هذا العمل بداخل فرجها طوال الليل وسوف يتحقق مرادك .

وفكرة الإنجاب منها من أجل شكلك أمام الناس، أتريد الناس يتلسنون عليك بأنك الرجل الذي تزوج من أجل أن يستغل زوجته وينقل كل أملاكها لصالحه . . . !

أم تكون أمام الناس غير مستغل بل محظوظ بأنك رزقت بطفل منها فصارت أملاكها لك وحدك والوفاة قضاء وقدر، ولكن قضاء وقدر وأنت غير مستغل أمام الناس أفضل بكثير .

نظرتني وهو مصدوم وقال:

-كيف تفكران هكذا . . . ؟ كيف . . . ؟

نظرت له الساحرة بجزم وأشارت له بسبابتها:

-أحذرك، لا تلعب مع عليا، نفذ ما تريده منك وكفى .

أوماً فتحي برأسه وأخذ عليا وخرجا .

وبالفعل عاد فتحي، وكان العرق من شدة التوتر يملأ وجهه، نظرت له رحاب
متعجبة فسألته برفق وهي تقترب منه:

— ما بك يا فتحي، لم أنت شارد هكذا . . . ؟

سرح فتحي في عينيها البريئتين ولعن نفسه مليون مرة على وقاحته وحقارته لأنه
يستغلها، ثم فاق من شروده عندما شعر بلمسة يدها على خده وهي تكرر
سؤالها، فأخذ يدها من على خده وقبل باطنها ومن ثم قال لها هامساً وعيناه
تحكي أنه نادم على ما فعله وما سوف يفعله بها، ومن ثم رسم ابتسامة زائفة وقال
لها برفق:

— متعب بعض الشيء يا حبيبتي بسبب سفري اليوم لمتابعة موضوع أرض السادس
من أكتوبر، كنت أعرضها على مشترٍ ولكنه غير رأيه .

نظرت له بلين وهي تمسك كلتا يديه وسألته بصوتها الخاني:

— أهذا ما يعكر مزاجك إلى هذا الحد . . . ؟

فضحك لها وقال لها وهو يهم بالنهوض:

— وكيف لمزاجي أن يتعكر مادمت معي .

وهم برفعها وحملها على كلتا يديه فضحكت رحاب ومن ثم نفذ بالفعل ما طلبته منه الساحرة .

لم يستطع فتحى النوم من شدة تأنيب الضمير، يسمع صوتاً نابعاً من داخله يطلب منه ألا يكمل آخر جزء من الخطة، وهو أن يقتل رحاب بعد أن تنجب بفترة ويتزوج بعدها عليا بفترة أخرى .

ينظر لرحاب الراقدة بجانبه، يمسح على شعرها الحريري، ويفكر ويتردد، محتار، يتذكر عليا التي كان يحبها ولكنه تشكك في حبه لها، هل حقاً كان يحبها بإرادته أم كان تحت تأثير سحر ما . . . ! هناك صوت بداخله يقول له إنه يجب عليا، ولكن ما فعلته اليوم جعله يتردد، شعور مؤلم جداً أن يشعر المرء أنه تم إجباره على شيء . شعور مؤلم أنك مجبور أن تكمل مع أحد، كان من الممكن لفتحى أن يكمل مع عليا ولكن شعوره أنها تريد ذلك بالإجبار جعله ينفر، إلا الحب والزواج لا يمكن أن يكون بالإكراه أبداً، إذا صار الحب أو الزواج بنسبة واحد في المئة بالإجبار تصير الحياة جحيماً .

وبالفعل مع ظهور شمس النهار اخرج فتحي العمل من فرج رحاب، ولكن بمجرد أن أخرجه منها فاقت من نومها مفزوعة فقام فتحي بموارة العمل في يده وباليد الأخرى قام فتحي بضمها مهدئاً إياها .

سألها فتحي وهو يمسخ على شعرها :

- ما بك يا حبيبيتي . . . ؟

قالت رحاب لاهثة تحاول أن تلتقط أنفاسها :

- كابوس يا فتحي، كابوس .

بدأ فتحي يمسح على شعرها ويقول لها برفق :

- لا تقلقي يا حبيبيتي، أنا بجانبك، لا داعي للخوف مادمت معكِ .

خرجت رحاب من حضنه وقالت له بنظرة فزع :

- لقد رأيت وحشاً بشع المنظر كان . . . كان يجامعني . . . كنت أصرخ ولكن

صراخي كان مكتوماً، إلى أن شعرت أن لهيباً يُصب بداخلي، حينها لم أتحمل الألم

فصرخت بشدة وتمكنت من الخروج من هذا الكابوس .

حاول فتحي تهدئتها وتركها كي تنام وترتاح، وقام ورتب نفسه كي يباشر أعماله .

هنا كانت فريدة تنظر لهذا المشهد وتقول في قرارة نفسها:

— سيدو أن ما مرت به رحاب حدث أثناء خروج العمل منها، العمل خرج منها في ثوانٍ ولكن في عالم الأحلام والروح الثواني تعني الكثير.

بدأت فريدة تتجاوز الوقت سريعاً إلى أن جاء المغرب، ظلت تتبع فتحي أينما ذهب، ولكن سرعان ما رأت فتحي راكباً سيارته وفي نهاية الشارع كانت هناك عليا تقف، وأشارت له أن يقف، قال لها بتردد وهو يردد عليها من نافذة السيارة: — عليا اعذريني، لدي مشوار ضروري، أرجوكِ أجلي حديثك إلى أن أنتهي من عملي.

نظرت له بمكر وثقة وقالت له:

— أنا من أحدد إن كان يمكن أن نتحدث أم لا، ولن آخذ من وقتك الكثير لأن في الأول والآخر عملك هو عملي، المنفعة تصب لي في النهاية.

تنفس فتحي الصعداء وسلم أمره وقال:

— ماذا تريد يا عليا . . . ؟ أسمعك.

هنا التقت عليا وقامت بفتح باب السيارة وقالت بثقة وهي تهم بالجلوس وفتحي ينظر لها باستغراب:

-سوف نتكلم في الطريق .

ومن ثم قالت وهي تبسّم ابتسامة صفراء وهي تهم بلمس وجه فتحي وقالت بصوت أشبه بالفحيح:

-اشتقت إليك يا فتحي، اشتقت إليك كثيرا .

التفت فتحي وبدأ في قيادة سيارته ومن ثم تتم في شرود:
-وأنا اشتقت إليك .

ظل فتحي شارداً يسمع لعليا ولكن بدون انتباه، ويومئ برأسه مع بعض التمتمة، سأله عليا بفضول:

-ما هو العمل الذي سوف تذهب إليه الآن يا فتحي . . . ؟

لم ينتبه لها فتحي فكررت سؤالها فنظر لها وقال بشرود:

-أنا . . . كنت أريد أن أمر على أرض رحاب الموجودة في السادس من أكتوبر وهناك سوف يقابلني أحد .

ومن ثم جالت في خاطره فكرة فضرب رأسه وقال بابتسامة متصنعة:

—أقصد أرض دمنهور، هناك مشتريريد أن يراها، لذا يكفي هذا وسوف أجعلك تعودين لبيتك كي لا تقلق عليكِ أمكِ يا عليا .

نظرت له عليا بلا مبالاة وهي تنفس الصعداء يبرود:

—لا تشغل بالك بأمي، هي تعلم أنني يمكن أن أتأخر في العمل، ولكن هذه المرة سوف أقول لها إن العمل كان كثيراً عند الست هانم وتعبت وقمت بالمبيت هناك .
ومن ثم نظرت بقوة وقالت:

—طول ما أنا كاسرة عينها، ليس لها حق أن تلومني .

التفت لها فتحي في ثوانٍ محاولاً إقناعها بالعودة:

—ولكن أمكِ مريضة وسوف تقلق عليكِ ولها حق أن تطمئن . . .

زاد غضب عليا وقالت بتهمك وحنق:

—لها حق عليّ، لا يوجد أحد له حق عليّ، أبي الذي رمانني ولا أعني له شيئاً ولا

كأنني قطعة منه، ولا أُمِّي التي بمجرد أن شب عودي وأنا مطحونة في العمل كخادمة

في البيوت لأنها لا تقدر على فعل شيء، لم يكن أحد في يوم مسؤولاً عني، بل أنا

المسؤولة عن كل شيء، لذا لا يوجد أحد له حق عليّ، وهيا أنا معك ورجلي على
رجلك في القادم متى أشاء .

صمت فتحي عندما وجد الأ فائدة من إقناعها أو التملص منها، ولكنه بعدما
سرح قليلاً جالت في خاطره فكرة أخرى فابتسم ابتسامة بسيطة على طرف فمه،
فنظرت له عليا باستغراب وقالت له:

—ماذا يجول في خاطرك يا فتحي . . . ؟

فاق فتحي من شروده وقال بتوتر:

—لا، لا شيء يا حبيبتي .

فسأله عليا بتعجب:

—ولكن يا فتحي ماذا سوف تفعل فور أن تصل دمنهور . . . ؟ لأننا سوف نصل في
وقت متأخر .

رد عليها فتحي وهو منتهب للطريق:

—أريد في بداية الأمر أن أمر بحارس الأرض ومن ثم كان يجب عليّ أن أمر على بيت
الحاج رجب وسيقوم بضيافتي، أنتِ تعلمين أهل دمنهور أهل كرم .

نظرت له عليا بلامبالاة:

-للحق لا أعلم.

نظرت له عليا باستغراب وقالت له:

-ولكن الوقت متأخراً فتحي، كيف سيرها...؟

قال فتحي بلامبالاة:

-الرجل ليس له وقت سوى الآن، هو حر.

قالت عليا بثقة:

-حسناً يا فتحي، خذني معك وسأظل في السيارة.

-ولكن لوراكِ الرجل.

-لا تقلق، رحاب لن تفعل لك شيئاً.

وصلاً أمام الأرض المحاطة بسور وعليه لوحة توضح ملكية رحاب لها.

هنا لم تتمالك عليا نفسها عندما وقفت أمام سور الأرض وقررت الخروج من

السيارة، فخرج وراءها فتحي وهو ينادي عليها بتعجب:

-إلى أين أنتِ ذاهبة يا عليا...!

وقفت عليا بشموخ وقالت بكبرياء وثقة وهي تلقت لفتحي:

—أريد أن أرى أرضي، هل تمنع...!

هنا ابتسم لها فتحي وقال لها:

—لا أمانع أبداً، كل هذا الذي نحن فيه بفضل عقلك.

ومن ثم التقت فتحي وفتح السيارة، هنا نظرت له عليا وسألته:

—ماذا تفعل يا فتحي...؟

رد عليها وهو منحني كي يجلب شيئاً من السيارة:

—أجلب السجائر فقط يا حبيبتي.

ومن ثم التقت عليا وظلت تنظر إلى اللوحة المعلقة على سور الأرض وهي تتخيل

اسمها بدلاً من اسم رحاب، ومن ثم وهي تلقت كي تقول لفتحي:

—لا تبع هذه الأرض...

لم تكمل كلامها من هول صدمتها مما رأت أمامها، فقالت بدعري:

—ما هذا الذي في يدك يا فتحي...!

نظر لها فتحي بتهكم وقال لها:

— ألا تعلمين ما هذا يا عليا . . . ؟

هنا ترددت عليا وبدأت تتراجع إلى الخلف وهي تنظر إليه نظرة توسل:

— اعقل يا فتحي، ماذا جرى لك، أنا عليا حبيبك . . . !

قال فتحي بتردد وهو يقترب منها:

— حبيبتي . . . ؟ كنت حبيبتي إلى أن ظهر وجهك اللئيم الطماع يا عليا، لا أدري

هل بالفعل أحببتك أم جعلتيني أحبك . . . !

هنا بكت عليا وقالت بنادم:

— أقسم لك لم أقم بأي شيء كي تحبني، حبنا صادق يا فتحي، أرجوك لا تجعل

الشیطان يدخل بيننا وينسيك حبنا .

هنا ضحك فتحي بسخرية:

— شیطان . . . ! شیطان يدخل بيننا . . . !

وقهقهه ضاحكاً بهستيرياً وسقط على ركبتيه من شدة الضحك التهكمي، ومن ثم

رفع رأسه ونظر إليها بكره وقال لها:

— شیطان يدخل بيننا . . . !

من ثم قام واقترب منها وهو يقول:

-بسببك جعلتني أسجد للشيطان .

هنا اعترضت عليا وقالت بغضب وتبجح:

-الآن ترمي اللوم كله عليّ يا فتحي . . . ! ألم تسجد له بسبب طمعك ورغبتك في
المزيد من المال . . . !

هنا تذبذب فتحي وأمسك برأسه وقال بغضب:

-كله من وراء رأسك يا ابنة الشيطان، لم أفكر في يوم لا في مال ولا غيره، بسببك
أدخلتني في دوامة ليس لها مخرج ورحاب ضحية طمعك وجشعي .

هنا اقتربت عليا ونظرت له بشر وقالت له:

-يعني تغريك عليّ بسبب رحاب . . . ! هل أحببتها يا فتحي . . . ؟

نظر لها فتحي وقال لها وهو ينظر لعينيها:

-نعم أحببتها، أحببت براءتها، إنها ملاك، ليست مثلك .

ومن ثم التفت ومسك رأسه وقال والد موع تنزل من عينه:

لقد خدعتُ بكِ، كمتِ أظنكِ ملاكاً ولكن حقيقتك أنكِ لا تختلفين عن الشيطان شيئاً .

هنا قالت عليا بتبجح لفتحي وهو يبكي:

- يعني الآن كرهتني، وتريد أن تقتلني يا فتحي . . . ! تقتلني أنا وابنك .

ثار فتحي ودفعها أرضاً فسقطت صارخة متألمة من قوة الدفعة واقترب منها

فتحي مؤشراً إليها بالمسدس ذا كاتم الصوت وقال:

- ليس ابني، بل إنه ابن شيطان، سوف أخلص العالم منك ومن بذرة الشيطان التي بداخلك .

هنا نظرت له عليا بثقة وعلى ثغرها ابتسامة وقالت:

- صدقني يا فتحي إن لم تكن لي أنا سوف تتحول حياتك إلى جحيم .

قال لها فتحي وهو يهيم بالضغط على الزناد وقال يبرود وهو يمسخ دمه باليد

الأخرى:

- لن تحولي حياتي لجحيم لأنني سوف أخلص عليكِ الآن .

نظرت له عليا تهديد وتوعد وقالت له بعينين تتقدان شراراً:

-استعد لجحيم حياتك .

-الجحيم هو أن أكمل معكِ أيتها الشيطانة .

ومن ثم قام بإطلاق جميع رصاصات المسدس عليها ، فرغ الرصاصات في عقلها وقلبها وبطنها التي تحمل شيطاناً بداخلها ، ومن ثم همَّ بالخفر بكتا يديه إلى أن جرح أصابعه ، كان يبكي بحرقة لا يدري لم يبكي . . . ! أكيد لا يبكي عليها ولكن يبكي على حاله الذي صار عليه ، بسببها سجد للشيطان وخسر رضا ربه وسرق وقتل وخدع ، يبكي ندماً متمنياً لو لم يكن يعرفها قط .

ومن ثم بعد أن دفنها . . . قام . . .

قالت فريدة في قرارة نفسها :

هذا يكفي ، لا داعي لكِ أكمل فالقادم واضح .

لذا قررت فريدة التوقف عن المشاهدة ومن ثم ها هي قامت من سريرها تمسك رأسها متعبة مما رأت ، ومن ثم أعطت أمراً للروبوت بتجهيز قهوة كي تفيق قليلاً وتجمع أفكارها .

ها هي ترتشف قهوتها وهي تنظر لحديقة بيتها من علٍ .

قررت أن تجلس في الهواء الطلق .

كثرة الضغط عليها من كثرة الرسائل والكوايس التي تراها أتعبتها قليلاً . . .

نزلت على الدرج وهي تكمل فنجانها ومن ثم طلبت من الروبوت فنجان آخر كي

يجلبه لها في الحديقة ها هي فريدة تتمم في قرارة نفسها :

يعني ما رأيته الآن يدل على أن الطفل الذي مات في رحم عليا هو جواد أخ فارس .

يعني استنتاجي من تجربتي مع فارس أنه يوجد جزء فارس لا يدري عنه شيئاً ، وأنا

تأكدت بنفسي من وجود جواد في حياة فارس فقط، هذا معناه أن الأساس في

أغلب الأحداث هو جواد لا فارس، أوه، أقصد أنه جسد فارس ولكن جواد هو

المتحكم به وفي عقله، لذا فارس لا يدري شيئاً عن كل ما كان يقوم به .

وبالفعل من يسرق ويزني وبقية تلك الأمور كان هو جواد وحده، إن فارس ما هو إلا

قالب لجواد .

ومن ثم يقوم جواد بنسخ أحداث معينة وكأنها مشتركة لهما سوياً أمام الناس، لا

وجود لتلك الأحداث إلا في عقل فارس .

لا وجود لجواد وفارس سوىاً سوى بمفردهما ، غير ذلك هو جواد من يقوم بالشر كله ،
بينما فارس يقوم بالخير فقط ، أما مجرد أفكار تجول في خاطره يزرعها جواد ، أما
ظهوره بالفعل لفارس كي يتعلق به ويجرجه لفعل ما هو خاطئ .

إن جواد كان منذ البداية يأسل الشر ويغوي فارس بكل الطرق ولكنه لم يُغوّأ أبداً .
أغواه بلذة السرقة وخفة اليد وكثرة المال ، ولكنه لم يقبل أن يستمر في حياته في كونه
محتالاً ، أسل له الشهوة والزنى ولذة المتعة والانتشاء بالمخدرات ولكنه لم يجب أبداً
حاله هكذا ، الشيطان يحاول معنا بأكثر من طريقة ، طريقة إغوائه لكل منا تختلف ،
إذا فشل في إغوائنا بطريقة ما يبدأ في تجربة طريقة أخرى .

حاول أن يقنعه أن الله غير موجود وأن الله لا يساعد فلا داعي للاعتماد عليه . . .
وغير ذلك الكثير ، وعندما فشلت كل محاولاته مع فارس بدأ في الخطة الأساسية له
منذ البداية ألا وهي الانتقام .

الشيطان ينوي لنا منذ البداية الانتقام ، الانتقام إن طعنا أو إن رفضنا .
ولكن إن أطعناه سوف ينتقم منا بعد أن خسرنا رضا الرب ، بينما إذا كنا عباداً
صادقين في إيماننا فليس للشيطان سلطان كي يتمكن من إغوائنا أو الانتقام .

أوه، ولكن لم يريد الانتقام من فارس . . . !

ذلك لأن جواد ليس شيطانا بل هو مزيج بين عليا ولوسيفر، أي أنه قام برسالة أبيه ألا وهي الإغواء فقط، ولكن عندما فشل بها ها هو قد بدأ في تطبيق الخطة الأساسية الخطة الإنسانية التي أملت لها عليه أمه عليا .

معروف أحيانا أن شر الإنسان يكون أكثر بكثير من شر إبليس وبنيه .

لقد سمعت كثيرا أن من يقتل تظل حياته معلقة في الحياة للانتقام . . . !

ولكن ماذا علي أن أفعل الآن لفارس . . . ؟

إن تحليلي كان خاطئا بأن فارس مريض نفسي، وفكرة أنه موجود في المصححة ولا

أحد يصدق ما تراه عيناه هذا يدل على أن جواد سوف يبدأ في تعذيبه وقتله

تدريجياً، الموت التدريجي من خلال العذاب يكون أشد وأقوى من القتل مرة

واحدة .

إن جواد عقلية مريضة مثل أمه .

ها هي فريدة تضرب رأسها وتقول بصوت عال وهي تنظر للسماء :

يا رب ساعدني، كيف لي أن أساعده .

من ثم تذكرت شيئاً وقالت بشك:

—ولكن عليا قد ماتت بالمسدس وأنا رأيتها في المنام قد قُتلت بالسكين . . . !

هل التحذيرات التي أراها أثناء نومي غير صحيحة . . . ؟

ها هي تكمل تتمة وهي تهتم واقفة وتقول:

—لا أدري، لا أدري شيئاً .

هنا قطع كلامها مع نفسها وميض خاتمها، كانت أمها هي المتصلة، هنا جال سؤال

في بال فريدة فقالت بسرعة وبشكل مباشر مقاطعة صوت أمها التي تطمئن عليها:

—بخير، بخير يا وتين، ولكن عندي سؤال لك، أنتِ قلت لي: "أن الكلام في الرؤيا

حق".

قاطعتها أمها وأردفت بهدوء:

—آه صحيح يا . . .

قاطعتها فريدة بتعجل:

—وتين انتظري قليلاً، أعلم أنه صحيح، ولكن سؤالِي هو ما معنى القتل بالسكين في

المنام؟

قالت لها أمها بنبرة مازحة كي تهدئ من جدية بنتها:

— وهل يمكن أن أرد الآن يا أستاذة فريدة . . . ؟

بتعجل فريدة المعهود مع ابتسامة قد احترقت قلقها:

— تفضلي يا وتين .

— القتل بالسكين في أغلب الأحيان يؤول بالأذى والغدر، ولكن على حسب من

الذي قُتل ومن الذي حلم . . . !

قاطعتها فريدة بسؤال آخر بجدية:

— يعني إذا رأى المرء أن هناك من قُتل بالسكين هذا ليس شرطاً أن يُقتل

بالسكين . . . !

— لا ليس شرطاً يا ريذا، يوجد الكثير من الكتب التي تخص تفسير الأحلام موجودة

في مكتبة البيت يمكنك قراءتها، لو مهمة بهذا العلم .

هنا بدأت فريدة تنهي المكالمة كي ترتب أفكارها:

— حسناً يا وتين، سوف أفعل ذلك، ولكن لدي الكثير من الأمور عليّ فعلها سوف

أتصل بك في وقت لاحق .

تعجبت وتين من بنتها وأردفت:

-تصلين بي . . . !

ولكن لم تكمل كلامها لأن فريدة كانت قد أغلقت الاتصال .

استمرت في التفكير قليلاً ولكنها لا تعلم كيف تخلص فارس من جواد، لذا شعرت بالتعب ومسكت رأسها وكأن القهوة لم تقم بأي مفعول، لذا قررت أن تدخل البيت، وبمجرد أن دخلت البيت لحت عن يمينها باب مكتب أبيها مفتوحاً، هنا قررت أن تدخل وتجلس على كرسيه، وبدأت تبكي وهي تلمس كرسي أبيها وكل ما على المكتب، إلى أن وصلت إلى صورتها هي وأبيها وأمها معا فبدأت تبكي وهي تلمس ملامح أبيها وتبتسم ابتسامة مكسورة امتزجت بالدمع وأردفت:

-لقد اشتقت إليك يا مراد، اشتقت لضحكك يا حبيبي .

ومن ثم عانت الصورة وبكت وهي تقول بحرقه:

-أنا لست بخير من دونك يا أبي، أحتاجك بشدة، حياتي صارت متعبة بعد فراقك، أحتاج لرجاحة عقلك كي تساعدني فيما أنا مقدمة عليه أو ما أمر به . . .

قامت فريدة من على الكرسي والتفت تجاه المكتبة وصارت تلمس كتب أبيها وهي تبكي، إلى أن شعرت فجأة أن هناك شيئاً لمسها من الخلف، التفت فزعة ومن شدة الخوف شعرت أن الدم قد جف في عروقها . . .

ولكن سرعان ما وضعت يدها على صدرها محاولة التقاط أنفاسها وأردفت: -أوه، كيف تدخل هكذا يا روبوت من دون إذن، فزعتني .

رد عليها روبوت بلكنة آلية:

-لقد جاءني إنذار بوجود مشاعر حزن، وأنا هنا كي لا تشعري بالحزن، أنا معكِ . مسحت فريدة دموعها ومن ثم التفت مرة أخرى للمكتبة وقالت بهدوء مستجمعة قواها:

-لا تقلق، كل ما في الأمر أنني اشتقت لأبي .

-هل تريدني عرض ذكريات لك ولمراد . . . ؟

ردت عليه فريدة وهي شاردة الذهن في كتب المكتبة:

-لا تقلق عليّ بهذا الشأن، لدي طريقة أخرى أفضل، ولكن أنا الآن أبحث عن كتاب تفسير أحلام من كتب أُمي .

هنا هم روبات يا صدار شعاع ليزر من عينيه كي يسمح كل عناوين الكتب واختيار

الكتاب المحدد، ومن ثم قال لها وهو يأشربده الآلية لأعلى:

-ها هو، هذا الركن يا فريدة به أكثر من كتاب لتفسير الأحلام.

ولكن فريدة قالت له:

-اجلب لي أيا من الكتب يا روبات، لن أستطيع أن أجلبه لنفسني لأن المكان عالٍ

بالنسبة لي بعض الشيء.

هنا مد روبات يده وأثناء جلبه لكتاب من منتصف الكتب سقط كتاب آخر.

هم بالاعتذار وهويهم بالتقاط الكتاين راغبا في إرجاع أحدهما، ولكن فريدة قالت

له وهي تهم بأخذهما من يديه:

-لاداعي يا روبات، إن أمي قالت لي إن لها عدة كتب لتفسير الأحلام يمكن أن

تفيدني.

هم روبات موضحاً:

-لا، هذا ليس كتاباً، بل رواية.

هنا تمكنت فريدة في غلاف الرواية الذي أخذ طابع الرعب بعض الشيء، قد شدها الغلاف ومن ثم جلست على المكتب وقالت لروبوت وهي سارحة في الرواية:

- أعد لي كوباً من النسكافيه وأحضره لي هنا في المكتب .

قامت بالنظر لظهر الغلاف وأخذت تقرأ الكلمة التعريفية عنها على الأقل، هنا قد شدها أكثر الكلام الموجود على ظهر الغلاف وخاصةً هذا الجزء: "وفي خلال هذه المغامرة سوف تكشف أروما حقيقة نفوس من حولها، وسوف ترى الحقيقة المغيبة عنها، وسوف تصدم فيمن كانت تحسبهم أحياناً بأن بهم طبع الغدر والخيانة، وعندهم الاستعداد للسرقة والقتل، وحتى الاستعانة بالجن والسحر . . !" كانت الرواية اسمها "طيف أروما" تأليف "رانيا رمضان"، انتهت فريدة للاسم ونظرت للغلاف مرة أخرى وقالت في قرارة نفسها:

- يمكن أن فكرة سقوط هذه الرواية في يدي ليست محض الصدفة، يمكن أن أجد بها الحل لما أمر به، لذا سوف أقرأها، إذا وجدت بها حلاً فهذا ما أتمناه، ولكن إن لم أجد بها حلاً ستكون على الأقل أراحت عقلي وجعلته يفصل قليلاً عما أمر به، إن



الروايات والكتب لها تأثير كبير على راحة العقل، هذا ما كانت تقوله لي أمي دائماً،
لذا فلأبدأ الآن.

الفصل التاسع

المحاولة

بدأت فريدة تقرأ الرواية وهي تشرب النسكافيه، وبدأت تنجذب للرواية بشدة ولم تقم من مكانها إلا أن أكملتها .

عندما انتهت من القراءة وقفت وبدأت تسأل نفسها:

-ماذا علي أن أفعل الآن . . . ؟

هل أرجع بالزمن الذي ذكرته الكاتبة في الرواية وأقابل الشيخ متولي ؟ ولكن ماذا إن كان لم يكن موجوداً إلا في خيال المؤلفة فقط . . . ! ولكن المؤلفة ذكرت أنها قصة حقيقية . . . !

هنا قررت فريدة أن تخرج من غرفة المكتب وتذهب كي تريح جسمها قليلاً ولكن ما زالت وهي تمشي متعبة تفكر في حل .

ها هي فريدة تمدد جسدها وقد أغلقت جفניה كي تنعم بالقليل من الراحة كي تساعد لها قليلاً في الوصول لحل .

ولكن سرعان ما فتحت فريدة عينيها وقامت وجلست وهي ترفع شعرها لأعلى وقالت بلهفة:

-أوه، كيف لم تأت في بالي هذه الفكرة، سوف أذهب وأقابل هذه الكاتبة وأكد سوف تدلني .

خرجت فريدة مسرعةً من غرفتها ونزلت للمكتب من جديد وجلبت الرواية ونظرت على عام إصدارها 2021 .

همت مسرعةً كي تعود لغرفتها كي تجلب الجهاز وكتبت التاريخ الذي ختمت به الكاتبة روايتها، وكتبت اسم المؤلفة ومكانها حينها مثل ما ذكر أنها من

الإسكندرية، وهذا كان كفيلاً لأن تجد نفسها في لحظة في غرفة رانيا رمضان .

رأت أمامها شابة تغمرها السعادة لانتهاء عمل من أعمالها، فقررت الظهور أمامها، هنا فزعت رانيا وهمت من سريرها صارخة متوجهةً تجاه الباب .

ولكن سرعان ما أمسكتها فريدة من يدها وباليد الأخرى وضعت يدها على فمها كي لا تصرخ، وقالت لها هامة مطمئنة إياها:

-اهدئي أنا لن أؤذيكِ .

حاولت رانيا أن تصرخ صرخات مكثومة بسبب قبضة فريدة التي لم تستطع رانيا أن تتخلص منها؛ وذلك لأن بنية رانيا صغيرة جداً مقارنةً بفريدة برغم فرق السن بينهما .

كررت فريدة بنظرة توصل لـ رانيا :

- صدقيني، أنا لن أؤذيكِ، أنا جئت لكِ من المستقبل، لقد قرأت روايتكِ وأريدكِ أن تساعديني .

هنا ملامح ذعر رانيا تحولت إلى ملامح تعجب بسبب لكنة فريدة وأصدرت صوتاً مكثوماً، فقالت لها فريدة غير فاهمة:

-ماذا تقصدين؟

هنا توقفت رانيا عن المقاومة بيدها بل أشارت بيدها على فمها أي تسمح لها بالكلام، وبالفعل فكت فريدة قبضتها عن رانيا بعد أن اطمأنت من نظرة عينها ومن ثم قالت رانيا وهي تلتقط أنفاسها وهي تتوجه كي تجلس على سريرها:

-اعذريني على ما صدر مني من ردة فعل، ولكن أنا جبانة جداً، لتوي اتهميت من كتابة رواية عن شبح فمجرد ظهورك أمامي شعرت بالربح حقاً .

اقتربت منها فريدة وجلست أمامها على نفس السرير وقالت:

— هذه الرواية هي التي قرأتها لك بالفعل، وجئت إليك من المستقبل كي تساعدني .

هنا نظرت لها بتعجب وسألتها وهي ترفع أحد حاجبيها:

— أحقا أنتِ من المستقبل ! ؟

أومأت لها فريدة برأسها أي نعم ولكن رانيا أكملت كلامها وقالت:

— أنا فزعت لفكرة ظهورك أمامي مرة واحدة من دون أي مقدمات، ولكن عندما

رأيت أنك غير مسلحة جال في خاطري أنك مجرد لصّة وقررت التكلّم معكِ ما

دمت غير مسلحة .

ويمكن أنكِ تمكّنتِ من الدخول من دون أن أتبّه لأنني مشغولة في مراجعة العمل

وأسمع موسيقى بصوت عالٍ .

نظرت لها فريدة بتعجب وقالت بنبرة تهكمية:

— هل حقاً أنتِ رانيا مؤلفة الرواية أم أني قد أخطأت في العنوان ؟

نظرت لها رانيا مؤكدة لها:

— بل أنا بالفعل المؤلفة .

فسألتها فريدة بتهكم:

— وهل عمرك رأيت لصة تحترق البيوت ليلاً، أظن أن النساء بالكثير يقمن بالنشل أو العمل مع عصابة، إنما بمفردها في اختراق البيوت هذا لم يمر عليّ أبداً.

زفرت رانيا وقالت:

— كلامك صحيح، ولكن كل ما في الأمر أنني لا أستبعد شيئاً.

تنفست فريدة الصعداء وأردفت:

— رانيا، كل ما أريد أن أعرفه منك أولاً هل تلك الرواية مبنية على قصة حقيقية بالفعل... ؟

نظرت لها رانيا وقالت لها:

— للصدق، ليست قصة حقيقية بل أنها مختلقة من تأليفي...

هنا أحبطت فريدة وقالت بخيبة أمل:

— هذا ما كنت لا أتمنى أن أسمعه أبداً.

هنا همت فريدة واقفة ولكن رانيا أمسكت يدها وسألت كي تتأكد:

هل بالفعل أنتِ من المستقبل . . . ؟ أم أنك مجرد فتاة الدنيا أتعبتها فقررت أن تجد طريقة للعيش ألا وهي السرقة . . . !

ضربت فريدة رأسها بكف يدها وقالت لها بتهكم:

وهل هذه اللكنة والهيئة توحى لك أني لصاة فقيرة الدنيا أتعبتني ، أرجوك لا تجعليني أندم أني أعجبت بروايتك الشيقة ذات الحبكة المميزة .

وقفت رانيا أمامها وقالت لها:

-صدقيني تلك الاستنتاجات الغبية بسبب أني غير مقتنعة بفكرة القدوم من المستقبل من الأساس .

فكت فريدة قبضة رانيا عن يدها وقالت لها وهي توشر على خاتمها فانبثقت منه شاشة عائمة في الهواء ودخلت على الصور حينها ذهلت رانيا عندما رأت التاريخ المكتوب على الصور .

ومن ثم قامت فريدة بتشغيل فيديو لها وهي تطير بجذائها النفاث ومن ثم قالت فريدة لها بنفاد صبر:

هل تريدین دليلاً آخر يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا ببلاهة غير مصدقة وقالت لها:

-لحق أنا جبانة ولكن للصدق أنا أحب الأمور غير الطبيعية والماورائيات.

ولكن فريدة طأطأت رأسها وقالت:

-ولكن روايتك ليست حقيقية كنت أحتاج أن...

لم تكمل كلامها وأشاحت بنظرها وأردفت:

-لاداعي أن أكمل ولا أن أوضح لأن هذا سيكون بلائع.

همت رانيا تسألها بلهفة:

-وماذا إن كنت حق يا... آه حقاً ما اسمك...؟

-اسمي فريدة.

قاطعتها رانيا بلهفة وقالت لها:

-أنا أحب هذا الاسم جداً.

هنا استأذنتها فريدة وقالت لها:

-لاداعي أن أضيع من وقتك أكثر من ذلك، سوف أرحل.

بدأت فريدة في أخذ جهازها كي تعود بالزمن.

هنا همت رانيا مسرعةً وأمسكت بالجهاز، ومن ثم نظرت له وقالت لها بلهفة:

-أوه، هل هذا هو جهاز السفر عبر الزمن . . . ؟

هنا همت فريدة أن تنطق ولكن رانيا قدمت سؤالاً آخر . . . ؟

-ما هذا . . . ! أهذا هاتفك . . . ؟

هنا أخذت فريدة الجهاز من يدها وتنفست الصعداء وقالت بنفاد صبر:

-كان الأمل بدأ بداخلي تجاهك ولكن يبدو ألا فائدة.

سألها رانيا بصوت هادئ:

-انتظري، قبل أن ترحلي على الأقل قولي لي كيف كنت تريد أن أساعدك، أنا

أرغب في مساعدتك، أكثر شيء يسعدني في الحياة هو مساعدة الغير، حتى وإن

كنت لا أستطيع أن أساعدك سوف أفعل كل ما بوسعي كي أساعدك.

قررت فريدة أن تجلس وتكلمت وهي مطاطئة الرأس:

-إن الحمل علي كبير، أرغب في إنقاذ شخص . . .

هنا قاطعتها رانيا وقالت لها بجدعنة مصرية:

-لا تقلقي أنا بجانبك، وعلى رأي المثل المصري "الققة أم ودين يشيلوها اتنين".

همت فريدة واقفة وتنفس الصعداء وقالت بيأس:

- لا، لا، يبدو ألا فائدة منك يا رانيا، قد يئسْتُ بالفعل، كلما أعطيتكِ فرصة تصد مينني .

ضحكت رانيا بصوت عالٍ، ومن ثم كمت ضحكها وقالت محاولة إظهار بعض الجد في حديثها:

- اهدئي فريدة، ها أنا بالفعل كلي آذان صاغية لك .

جلست فريدة ومن ثم تنفس الصعداء ولكن من ثم التمت عيناها وسألها بجدية:

- لا، بل أريد أن أعرف المقصود بالمثل .

ضحكت رانيا وقالت لها:

- حسنًا سوف أشرحه لك ولكن عليك أن تقولي لي سبب قدومكِ هنا .

وبالفعل مر الوقت وها هي فريدة حكّت لها كل ما مرت به .

أمسكت رانيا رأسها وملامح الجد قد رُسمت على وجهها وها هي فريدة تقول لها والحزن مسيطر عليها:

- ها قد حكيتُ لكِ كل شيء، هل لديكِ حل لي... !

نظرت لها رانيا بيأس وقالت بحزن:

- إن جئتِ للحق، ليس لدي حل .

هنا توقفت رانيا عن الكلام عندما رأت أن حزن فريدة زاد أكثر، ولكنها سرعان ما

تمالكت الموقف وأردفت مكملة وهي تمسك يد فريدة مهونة عليها بابتسامة رسمتها

على وجهها:

- ولكن سيكون لدي حل .

هنا التمعت عين فريدة وسألتها بتعجب:

- ولكن كيف... ؟

قالت لها رانيا بثقة وعلى وجهها نفس الابتسامة:

- لا، كيف هذه اتركها عليّ، لا يغركِ صغر جسمي ولا سني، ولا يغركِ أني بنت،

أه أنا بنت ولكن في المواقف أجدع من مئة رجل وأنا قلتُ لكِ كلمة، والكلمة بالنسبة

لي سيف .

نظرت لها فريدة ببلاهة وسألتها:

- ما معنى هذا يا رانيا . . . ؟

رسمت رانيا ابتسامة على طرف فمها:

- هذا معناه تعالي لي غداً في نفس الوقت وسوف أقول لك الحل .

هنا شكرت فريدة رانيا وقامت بمعانقتها وقالت لها وكأنها تضع بها كل الأمل وأردفت:

- أنا واثقة أنك سوف تساعدني يا رانيا .

ضحكت رانيا وقالت لها بثقة:

- بعون المولى سوف أساعدك .

خرجت فريدة من التجربة وعادت إلى غرفتها وهنا عندما رأت سريرها ابتسمت وقالت بصوت هامس وهي تقوم بفرد شعرها الطويل:

- الآن يمكنني أن أرتاح قليلاً .

استيقظت فريدة على اتصال من إيفانا، التي تعجبت من عدم حضورها المحاضرة على غير عاداتها، قالت لها فريدة بصوت ناعس:

- متعبة قليلاً يا إيفانا سوف . .

هنا قاطعتها إيفانا بلهفة:

- متعبة، سوف آتي إليك حالاً .

هنا تمت فريدة بنفاد صبر:

- إيفانا أرجوك، لا تقلقي كل ما في الأمر أنا أحتاج أن أرتاح وكفى، سوف أطمئنك عليّ .

ومن ثم أغلقت المكالمة وهمت من مكانها وتوجهت للحمام فنظرت لنفسها في المراة وقالت بحزن على حالها:

- لقد صرت باهتة جداً يا فريدة، بالفعل لقد صدق جون بأن هذه التجربة تجهد العقل كثيراً .

ولكن الأمر ليس إجهاداً فقط من التجربة ولكن الخوف، الخوف يأكل في روحي، خائفة ألا أستطيع أن أنقذ فارس .

من ثم نظرت لنفسها بجذ وسألت نفسها:

- ولم تخافين . . . ! كل ما عليك هي المحاولة، إن أنقذته يكون خيراً وإن لم تنقذه فليس عليك ذنب في شيء .

من ثم نظرت فريدة لنفسها بجد وقالت لنفسها بصوت عالٍ بعض الشيء:

- ألا تكوني أحببت فارس يا فريدة . . . !

هنا فريدة فتحت الماء بسرعة وقامت بغسل وجهها عدة مرات ومن ثم رفعت

رأسها ونظرت مرة أخرى لنفسها في المرأة وقالت:

- يبدو أن وحدتك وعيشك بمفردك جعلاك تفقد عقلك، حب . . . الحب

ال . . . لا، حب ماذا . . . ؟ كل ما في الأمر أُرغب في المساعدة وكفى .

ها هي تنظر لعينها في المرأة ومن ثم قالت لنفسها في غضب وهي ترمي الماء على

صورة انعكاسها:

- لم أنظر لعيني هكذا . . . !

ومن ثم همت بالخروج وقالت بغضب:

- يبدو أنني جننت بالفعل، لقد جننت .

جلست على كرسيها الهزاز وهي تنظر للحديقة وقررت أن تطلب من الروبوت أن

يحضر لها الفطور .

الفطور أمامها، ولكنها اكتشفت أنها لا تشتهي أن تأكل شيئاً .

سألت نفسها:

هل أقدم على التجربة الآن . . . !

تنفست الصعداء وقالت:

-آووه، أنا متعبة حقًا، ولكنني أريد أن أرتاح من هذا الحمل الذي عليّ. هيا، هيا يا

فريدة، من طبعك دائمًا الإقدام والمواجهة وعدم الخوف، تفاءلي يا فريدة تفاءلي.

ومن ثم كتبت نفس تاريخ الأمس ولكنها زادت يومًا وحددت نفس الوقت بعد

منتصف الليل، ومن ثم صارت أمام رانيا من جديد، ولكن هذه المرة كانت رانيا

مستعدة لهذا اللقاء.

نظرت لها رانيا وابتسمت لها بابتسامتها التي اعتادت فريدة عليها التي تبعث الأمل

في قلبها من جديد.

قالت لها رانيا بلهفة:

- ها قد أتيت يا فريدة أنا أنتظركِ منذ ساعة.

هنا ابتسمت فريدة لها برفق ومن ثم قالت لها بصوت هادئ:

- طمئنيني يا رانيا . . . !

- وصلتُ لشيخ اسمه الشيخ منصور كل الناس يتكلمون عن بركته ولا يتقاضى أجراً أبداً.

- يا رانيا هل تكلمتِ معه في ما حكيته لك . . . ؟

أومات رانيا برأسها مؤكدة ومن ثم سحبت فريدة كي تجلس وأردفت:

- طبعاً حكيتُ له وهو مستعد أن يأتي معي في أي وقت ولكن يجب أن أوكد عليه قبلها بيوم من أجل أن يعتذر لـ . . .

هنا قاطعتها فريدة وهي تضرب رأسها بكف يدها:

- آوووه، كيف تاهت عن بالي . . . ؟

نظرت لها رانيا بتعجب محاولة أن تفهم وأردفت:

- ماذا تقصدين يا فريدة . . . ؟

التقطت فريدة أنفاسها وقد رُسمت على ملاحظها مشاعر مختلطة بالحزن والغضب:

- أنا أريد أن أُنقذ فارس ولكن اليوم الذي قابلته به في شهر نوفمبر عام ٢٠١٩ بينما

نحن الآن عام ٢٠٢١.

قالت لها رانيا مطمئنة إياها:

-وما المشكلة يا فريدة...! إن الأمر بسيط سوف أذهب أنا والشيخ منصور

معك عن طريق الجهاز الخاص بك ونتقذه سويا .

قالت لها فريدة بأسى والدمع بدأ يلمع في عينيها:

- رانيا، إن جهازي خاص بي أنا يكفي لشخص واحد للنقل عبر الزمن، إن

المعدات الملحقة به خاصة بفرد واحد .

قالت لها رانيا محاولة أن تجد حلا:

-يمكنك أن تعودي لزمانك وتجلي جهأبسل .

قالت لها فريدة بنفاد صبر وقد خانها دمع عينيها هذه المرة:

-يا رانيا، يا رانيا افهمي، هذا الجهاز صممه لي صديق والدي، لا يوجد منه إلا

نسخة واحدة لي أنا فقط .

هنا نظرت لها رانيا بلهفة وترغب أن تتكلم، ومن ثم مسحت فريدة دمع عينيها

وقالت بعصبية اختلطت بالحزن بسبب اليأس:

-أعرف ما تريدن قوله، تريدن أن أطلب من دكتور جون أن يصنع لي جهأبسل .

هنا التمعت عين رانيا بالدمع وأومات برأسها أي نعم ولكن في نفس الوقت أجهشت فريدة في البكاء:

- إن هذا سيأخذ وقتاً، وأنتِ لا تعلمين كم أنا متعبة لا أستطيع أن أنام بسبب كثرة التفكير وإن متُ من شدة التعب أستيقظ والتعب قد أكل روحي، لن أستطيع أن أتحمل هذا التعب أكثر من ذلك، أريد أن أنقذ فارس كي أرتاح، الله جعلني أبداً هذا الأمر من أجل أن أساعده أكيد، ليس مجرد تجربة وانتهى الأمر.

هنا اقتربت منها رانيا وأخذت تربت على كتفها وتهمس لها:

- لا تقلقي أنا بجانبك وسوف نصل لحل سوياً.

هنا مسحت فريدة دمعها وقالت ييأس:

- تعرفين ما هو الحل يا رانيا . . . ؟

نظرت لها رانيا بجنوولين وسألتها:

- ما هو الحل يا فريدة . . . !

نظرت فريدة للأرض وأردفت:

- الحل أن أنسى الأمر برمته، ولكن ضميري يؤنبني، إنه لأمر . . .

هنا التمتعت فكرة في عقل رانيا وقامت بسحب وجه فريدة كي يكون مواجهًا لها

وأردفت لها بلهفة وابتسامة:

- لا، بل بالفعل هناك حل .

نظرت فريدة بتعجب وقد تجدد الأمل في روحها وتساءلت:

- وما هو يا رانيا . . . ؟

- غداً سوف تأتين لي نهاراً بعد الظهر وأنا ساكون في انتظارك أمام بيتي وسوف

نذهب للشيخ منصور .

هنا سألتها فريدة بتعجب:

- ولكن كيف سوف . . . ؟

قاطعتها رانيا وقالت بثقة وبنفس الابتسامة:

- أنتِ طلبتِ مني المساعدة، كل ما عليك أن تثقي بي وكفى .

هيا لترتاح الآن لكي نستعد لمغامرة الغد .

ومن ثم ودعتها وعادت فريدة مرة أخرى لبيتها، طبعاً لم تستغل كل وقت المغامرة هذه المرة، لذا فضولها جعلها لا تتحمل وقررت أن تكتب الموعد الجديد وتكمل التجربة اليوم.

ها هي بالفعل فريدة قابلت رانيا وذهبتا إلى الشيخ منصور سوياً . فريدة كانت تتوقع أن البيت سيكون قديماً ومتهالكاً وبه الكثير من البخور مثل بيت الساحرة التي ذهب إليها فتحي وعليها، ولكن البيت كان بيتاً عادياً يدل على أن صاحبه من الطبقة المتوسطة حينها .

رحب بهما الشيخ منصور الرجل الخمسيني ذا البشرة البيضاء والشعر الأبيض والابتسامة المريحة للنفس، وطلب منهما أن يرتاحا، وبمجرد أن جلست فريدة تذكرت أنها رآته عندما عادت بذاكرة فارس هو نفسه الشيخ الذي قابله فارس في المسجد وهون عليه ولكن سرعان ما فاقت من شرودها وقالت بلهفة:

- أنا يا شيخ . . .

هنا قاطعها الشيخ بضحكة سريحة:

- أعرف يا بنيتي، لقد حكّت لي رانيا كل شيء، وجودك أمامي الآن كي أشرح لك ما عليك فعله .

نظرت فريدة بتعجب ل رانيا وللشيخ منصور ومن ثم أردفت:

- أنا . . . ماذا عليّ أن أفعل . . . ؟

قهقه الشيخ وقال:

- مهلك يا بنيتي، سوف أشرح لك كل شيء ولكن أريدك قوة، ولا يهزك ما سوف ترينه فيما بعد .

أومأت فريدة وبدأ حزن عينيها يتحول إلى نظرة جد .

هنا قال لها الشيخ منصور بتشجيع:

- هذه هي فريدة القوية، فلنبداً .

هنا نظرت لها رانيا بتشجيع وابتسمت لها وهي تمسك يدها محفزة إياها، وحينها

بدأ الشيخ في الكلام:

- الأمر بسيط يا بنيتي ولكن يحتاج شجاعة وثباتاً، لا تنسي يا بنيتي لا الجن ولا عفريت الجن ولا عفريت الإنس قوي مثل الإنسان، نحن الأسمى والأقوى، إن الجسد المادي أقوى من ترددات الجسد الأثيري، لا يخذ عنك هول المظهر .

هنا رجع اليأس يدخل قلب فريدة وأردفت:

- ولكن أنا في هذه التجربة مجرد جسد أثيري، لأن جسدي في المستقبل . . .

هنا تردد الشيخ ولكن في نفس اللحظة قال لها بنفس الابتسامة كي يطمئنها:

- أي نعم ليس معك جسدك المادي ولكن معك القوي، معك الله، وما خاب من استعان فقط بالله .

شعرت فريدة بالحزي وقالت:

- ولكي غير ملتزمة ولا أعرف . . .

قاطعها الشيخ وأردف موضحاً:

- كلنا مقصرون يا بنيتي ومهما فعل نحن مقصرون في حق الله، أنا جهزت لك

تسجيلاً سوف يساعدك في التخلص من قوة الشر على هذا الجهاز، ومعك هذه

الورقة اقريئي منها أثناء تشغيل التسجيل على هذا الجهاز .

استجمعت فريدة قواها وبدأت ملامح اليأس تزول عن وجهها ولكن ما زال التوتر يتلألأ في عينها وأردفت:

- هل هذا ما عليّ فعله . . . ؟

تنفس الصعداء وابتسم لها:

- ربي يهديك يا فريدة، أرجوكِ لا داعي للتسرع أو التوتر، وللعلم أنا لم أكمل كلامي .
حاولت فريدة أن تتمالك أعصابها وهدأت ومن ثم أصغت جيداً لصوت الشيخ منصور الرخيم .

- سوف تعودين بالزمن وتقابلين فارس عندما توقف وحكى لكِ حكايته، وذلك قبل أن يذهب للسجن أو للمصحة، احكي له ما رأيته وما توصلت إليه ومن ثم ابدأ في الحفر في البيت الذي وجدت به فارس لإخراج بقايا عليا .

هنا نظرنا كل من رانيا وفريدة بتعجب وسألت فريدة:

- لم . . . هذا البيت . . . ؟ !

وضح لها الشيخ منصور بهدوء:

- ألا تتذكرين أن فتحي قد قتل عليا في أرض دمنهور التي كانت حينها منطقة هادئة

قليلة السكان تقريبًا . . . !

رُسمت دهشة أكبر على ملامح فريدة وقالت:

- لم يأت في بالي هذا الأمر . . .

ولكن جال سؤال في بال فريدة وقالت:

- ولكن كيف تم بناء هذا البيت ولم يجد العمال جثة عليا . . . ؟ وأين سألحفر

بالتحديد . . . ؟

- كل هذا يمكنك التأكد منه من خلال جهازك وتري ما حدث . . . ولكن المهم

الآن أن تخرجنا بقايا الجثة وتبدأ في حرقها مع تشغيل هذا التسجيل وترديد ما في

الورقة، ومهما حدث أمامك لا تتراجع، لا تخافي، ولا تستسلمي .

نظرت له فريدة بتردد وسألته:

- وهل تظن أنني سأنجح في هذا الأمر في التخلص من الروح الشريرة . . . ؟ أنا أظن

أن هذا الأمر يحتاج لشخص مثلك .

نظر لها الشيخ منصور وابتسم وقال مطمئنًا إياها:

- وما أنا يا فريدة . . . ! ما أنا إلا شخص مثلك، أجاهد نفسي كي أكون صالحاً

وسخرت نفسي لمساعدة غيري، وأنت كذلك يمكنك أن تكوني مثلي، نيتك

الطيبة في مساعدة الغير ستمكنك من النجاح، ولتخلص من الروح الشريرة لا تحتاج

قوة بنيان ولا رجل دين، كل ما في الأمر والمهم هو القلب الصادق المؤمن حقاً بقوة الله

وحده وكفى . طول ما أنت قلبك مؤمن بالكلمة التي تقولينها، وما دام قلبك مؤمن

وتمسك بقوة القوي الذي تستعينين به فلن يحزبك الله أبداً، طول ما عقلك مدرك

بأنه ما دام استعان بمخالقه وخالق من أمامه من الجن والإنس وأن الخالق قادر على

الانتصار عليه فسوف ينتصر عليه بالفعل .

هنا أشار الشيخ منصور على قلبه وعلى وجهه ابتسامة تبعث الأمان في النفس

وأردف برفق:

- ما دام هذا لديك نقياً وسليماً ولم يظلم أبداً ودائماً تفكرين في غيرك وكفى ومتوكل

على المولى فسوف ينصرك الله يا بنيتي .

رسمت فريدة ابتسامة وبدأت لمعة التوتر تقل في عينيها ولكن فجأة رجعت من

جديد وتنحنحت وقالت بخجل:

- يا شيخ آخر سؤال والله .

ضحك الشيخ منصور وقال لها :

- تفضلي يا بنيتي أنا معكِ .

- يعني بالفعل إذا توكلت فقط وأمنت بقوة الكلمة وبالله سوف أتمكن . . . ، يعني لا

أحتاج رجل دين أكيد . . . ؟ أشعر أنك تطمئني وكفى .

ابتسم الشيخ منصور وتنفس بعمق وأردف بهدوء :

- ربي يهديك يا بنيتي ، اسمعيني كي تصدقي كلامي بناءً على موقف حدث بالفعل

مع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

هنا توقف الشيخ منصور ونظر لكلاهما وقال لهما بابتسامة :

- لقد ذكرتُ سيرة الرسول أين الصلاة عليه . . . ؟

ضحكنا كل من رانيا وفريدة وقالت رانيا بخجل :

- اعذرني يا شيخ ولكني كنت في حالة تركيز شديد لما سوف تحكيه ، أنا بالنسبة

لي وجودي أما مك فرصة وأريد أن ينهمر عليَّ من علمك وثقافتك وقصصك .

ابتسم الشيخ منصور وقال بحماسة للعودة للحديث مرة أخرى :

- حسناً يا بنيتي أين كنا . . . ؟

في نفس واحد رانيا وفريدة:

- النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ضحك الشيخ منصور ومن ثم أكمل حديثه:

- عليه الصلاة والسلام، دعوني أشرح لكما الأمر لقد سحر نبينا محمد و . . .

هنا قاطعته رانيا معذرة وأردفت:

- اعذرني يا شيخ، ولكن بالفعل هذا الأمر قد حيرني كثيراً، كيف لنبينا محمد

صلى الله عليه وسلم المعصوم أن يُسحر . . . ! هذا الأمر يقلل من شأنه كثيراً .

هنا فريدة كانت تنظر لرانيا باستغراب ولكن سرعان ما قطع صوت الشيخ منصور

شرودها وأردف:

- أفهم يا بنيتي ما يجول في خاطرك . . .

هنا أكملت رانيا بصوت متردد:

- أنا أحب نبينا محمد كثيراً وأحب التعمق في أمور الدين ولكن أحياناً تجول في

خاطري تساؤلات لا أجد لها رداً ولا مبرراً .

ابتسم الشيخ منصور وقال بثقة:

- بل يوجد مبرر مقنع يا بني، فلتسمعي لي جيداً . سوف أحكي لكما المفيد
وباختصار، ذكر عن السيدة عائشة رضي الله عنها في حديث ذكرت به ما معناه
أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم . . .

هنا همست كل من رانيا وفريدة بالصلاة على النبي، فابتسم لهما الشيخ منصور
وأكمل كلامه:

- كان يُخَيَّل إليه أنه يأتي أهله ولا يأتين، المقصود بهذا التعبير أن النبي محمد كان
يُخَيَّل إليه أو يظن أنه جامع أهله ولكنه لم يجتمعن قط، يوجد بعض العلماء الذين
أوضحوا أن هذه الحالة كان يشعر بها فقط النبي محمد مع السيدة عائشة التي ورد
عنها الحديث، لأنه لم يذكر عن أي واحدة أخرى من أمهات المؤمنين كلام عن هذا
الأمر، ولكن السيدة عائشة استخدمت في حديثها صيغة التعميم لحياها
وخجلها .

يُذكر أن كان هناك شخص من اليهود اسمه ليبيد بن الأعصم، قام بعمل سحر
باستخدام مشط النبي محمد وما به من خصلات شعر النبي المصطفى، وقرر أن يقوم



بعمل سحر كي يؤذي النبي محمد في أكثر ما يجب ألا وهي السيدة عائشة .
بعد ما علم النبي محمد من السيدة عائشة بأنه يظن له فقط ولا يجامعها بالفعل ، بدأ
يتعب وتساءل عن سبب ما به ، ولكن من ثم جاء للسيدة عائشة وقال لها إنه رأى
ملكين يُذكر أنهما جبريل وإسرافيل وكان أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله ،
قال أحدهما : ما بال الرجل . . . ؟ رد الآخر : إنه مطبوب . فرد الآخر : ومن
طبه . . . ؟ مطبوب المقصود بها مسحور ، ومن طبه المقصود بها من سحره ، فرد
الآخر : لبيد بن الأعصم ، أنه قام بهذا السحر على مشط ومشاطة ، وسبق
وشرحت لكما تلك النقطة ، وذكر له مكان السحر أنه في جُفّ طلع نخلة ذكر في برّ
ذي أروان . والجف هو شيء أشبه بالكوز الذي يحتوي على لقاح النخل . وشفاء
نبينا محمد كان على يد سيدنا جبريل عندما سأله : هل اشتكيت يا محمد ؟ قال
النبي محمد : نعم . فقال جبريل : بسم الله أرقيك ، من كل شيء يؤذيك ، من شر كل
نفس ، أو عين ، أو حاسد ، الله يشفيك ، بسم الله أرقيك .

وشُفي نبينا محمد ومن ثم ذهب إلى البئر واستخرج السحر كان السحر معقودًا
بشعره إحدى عشرة عقدة فنزلت المعوذتان إحدى عشرة آية (أي سورتي الفلق
والناس) وتخلص النبي محمد من هذا الأذى وعاد كما كان.

هنا قاطعته فريدة وقالت له باستغراب:

– ها أنت قلت أن النبي محمد سيدنا جبريل هو من رقاؤه أو خلصه من الأذى الذي
عليه.

– لا يا بنيتي بل إنه علمه كيف يتخلص من الأذى، جبريل ما هو إلا وحي يعلم النبي
محمد ما لا يعلمه، كي يعلمنا نبينا ما لا نعلمه كذلك.

الله يا بنيتي جعل النبي محمد يُسحر لحكمة، كي يكون قدوة لنا في كل شيء ويعلمنا
كل شيء.

وفكرة أن السحر ينقص من شأن النبي محمد ويشكك بعض الناس في صدق نبوته،
لأن البعض يذكر ويقول: "وكيف لي أن أصدق شخصًا يُخيل إليه...؟ يمكن أنه
كان يُخيل إليه جبريل وما يُوحى إليه".

وطبعًا هذا الكلام غير صحيح، لأن صدق الكلام الذي ورد عن النبي محمد مثبت بالمعجزات .

ثانيًا هذا السحر أصاب نبينا محمد بعدما هاجر النبي محمد للمدينة أي بعدما ثبتت مكانة الدين الإسلامي، أي ليس في بداية الأمر كي تشكك في صدق نبوته . وما السحر إلا نوع من العلل التي يُصاب بها الجسم، والنبي محمد كان يمرض مثلنا . . . الذي يقول: "كيف للنبي المعصوم أن يُسحر . . . ؟" النبي معصوم فقط في نبوته وفي الوحي، معصوم من الشياطين كي لا يمنعوه من تبليغ رسالته . بينما غير ذلك كان النبي محمد يبكي ويتألم ويمرض مثلنا تمامًا . عصمة الله للنبي محمد من الشياطين كي يمنعه من أن يصيبه كيدهم . إصابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بالسحر مثلما أُصيب في مرة من المرات بالسّم، عندما قدمت إليه امرأة يهودية كُف شاة وهذا الجزء المحب للنبي محمد، قدمت له كُف الشاة المسموم، ولكن بعد أن تذوقه واختلط السم في ريقه سمع النبي محمد أن لحم الشاة ينخبزه أنه مسموم .

فأخرج النبي محمد ما بفمه وحذر من معه من الأكل ولكن بعد ذلك مرض أحدهم ومات، طبعاً فكرة أن يُسمّ النبي محمد هذا من مكر الشيطان كي لا يكمل دعوته . وبالرغم من دخول السمّ للهاته أي حلقه لم يمت النبي محمد من السم، بل جعله الله يكمل رسالته تماماً، وعندما أكمل الرسالة مرض النبي محمد وظهرت عليه أعراض السم وحينها خيره الله أن يستمر في الحياة أم يختار الرفيق الأعلى، والنبي محمد اختار الرفيق الأعلى لأنه أكمل رسالته فلم يختار الدنيا قط .

عصم الله النبي محمد من الشيطان ومن أذى الإنس والجن إلى النهاية، عصمه أي ما معناه أنه لا يجعلهم يتمكنون منه، أو ينهون حياته بالقتل قبل إكمال الرسالة كما حدث مع الكثير من الرسل .

ولكن هذا لا ينكر أن النبي محمد تعرض للأذى الكثير من الناس ومن الشيطان ولكن لم ينجح أحد في التكن منه، على سبيل المثال:

عندما كانت تضع أم جميل الشوك والنار في طريقه وجاره اليهودي يضع القمامة أمام بيته وأحد المشركين عندما رمى أحشاء شاة على ظهر النبي محمد وهو عاكف في الصلاة أمام الكعبة وعندما قام أحدهم بختفه أثناء صلاته . . . وغير ذلك عندما



طُرد من الطائف وهرب منهم بعدما اجتمع من بها لضربه بالحجارة وسبه وغير ذلك الكثير عندما اجتمعت كل قبائل مكة لقتله .

فكرة أن النبي محمد يتعرض للأذى هذا شيء طبيعي لأن من الطبيعي أن يتعرض الأنبياء للأذى لكي يكونوا قدوة لنا في تحمل الأذى والصبر . . . الضرب والإهانة والمرض والسحر الذي تعرض له النبي محمد لا يقلل من قدره ونبوته بل يدل على عظمته ويدل بالفعل أن الله معه حتى أكمل رسالته .

وكما قلت لكما أن النبي محمد طبيعي يتعرض للأذى من الناس ومن الشياطين على سبيل المثال، كان الشيطان يحاول في مرة أن يلهمي النبي محمد في صلاته، فقام النبي محمد برفع يده كأنه يقبض شيئاً في الهواء ، بعد الانتهاء من الصلاة سأله الصحابة فقال لهم أنه رأى الشيطان وكان يريد أن يظهره ويقيده في سارية ولكن نبينا محمد قال إنه لم يرغب في فعل ذلك لأن نبي الله سليمان طلب من الله أن يكون له ملك لا ينبغي لأحد من بعده .

هنا تساءلت رانيا بتعجب:

- بصراحة يا شيخ أنا لا أفهم، يعني كيف نبينا محمد رأى الشيطان، ولم يتمكن من

أن يعلم أنه مسحور أو أن هناك من يكرهه . . . !

- الحكاية يا بنتي وما بها أن الله يريد أن يثبت لنا أن النبي محمد مثلنا لا يفرق عنا

شيء سوى أن الله فضله عنا باصطفائه وأنه مميز عنا بالوحي . . . يعني بمنتهى

البساطة النبي محمد ظل أربعين سنة شخصاً صالحاً عادياً .

ولكن الله ميزه بالوحي، يعني ما كان يورد عن النبي محمد غير نابع منه بل من الوحي

فقط، وقد انقطع عنه الوحي ستة أشهر فلم يستطع النبي محمد أن يقول كلمة . . .

كل ما في الأمر الله هو المتحكم في هبات النبي محمد، متى يظهر له الجن ومتى يخفيهم

عنه، متى يجعل الرسول يؤذى من الناس ومتى ينصر عليهم، الفكرة التي يجب أن

نؤمن بها أن الله وحده هو المتحكم في حياتنا حتى النبي محمد، وما نراه شراً لنا أو

أذى في حق نبينا محمد ما هو إلا الحكمة، وفكرة سحر النبي محمد حدثت كي يثبت

لنا أن السحر حق، والتخلص منه بسيط كذلك، أتمنى أن تكونا فہتماني .

نظرت له رانيا بفهم وقالت له وهي تهز رأسها:

- بالفعل لقد بدأت الصورة تتضح لي يا شيخ .

نظر الشيخ لفريدة وسألها:

- هل مستعدة الآن يا فريدة . . . ؟

هزت فريدة رأسها بثقة وابتسامة:

- أكيد، بعون الله سوف أتمكن وأنجح بإيماني بالله وبصدق رسوله.

- وفقك الله يا بنيتي.

هنا همت فريدة واقفة، فقامت رانيا بجوارها وعانقتها بلهفة وهي تربت على

ظهرها:

- متأكدة أنك سوف تنجحين.

ومن ثم أخرجتها من حضنها ونظرت لها بابتسامة:

- ولكن يجب عليك أن تعودتي لي من جديد، وتحكي لي كل شيء.

ابتسمت لها فريدة وقالت لها:

- أكيد يا صديقتي المؤلفة . . .

ومن ثم التقت مرة أخرى للشيخ منصور وقالت بابتسامة امتنان:

- أشكرك كثيراً على كلامك ونصائحك لي، أتمنى أن لا تكون آخر مرة.

وقف الشيخ منصور وابتسم وأردف:

– البيت بيتك يا بني، أنا معك وقتما تشائين .

قبل أن تخرج فريدة من التجربة قامت بتشغيل التسجيلات بسرعة قصوى كي يتم تخأسل ها في فيديو التجربة كي يكون معها عندما تعود مرة أخرى لواقعها ، ومن ثم فتحت الورقة ونظرت لها كي يتم حفظها كذلك ومن ثم ودعتهما فريدة وعادت مرة أخرى إلى واقعها .

جلست فريدة قليلاً لكي تفكر ، وبعد قليل فتحت شرفة غرفتها ، تنفست بعمق وهي مغلقة العينين والراحة بدأت تعود إليها من جديد .

ولكن بمجرد أن فتحت عينيها فزعت ورجعت للوراء ، كان أمامها جسم هائم في الهواء ، لكن سرعان ما التقطت أنفاسها وقالت بغضب مكثوم:

– كدت أموت فزعاً يا إيفانا .

دخلت إيفانا ووقفت في الشرفة بجوار فريدة وقالت لها بلوم:

– هذا جزائي لأنني أحبك وقلقة عليك .

هنا تركتها فريدة ودخلت الغرفة فلحقتها إيفانا وسألتهما:



- ماذا بك يا فريدة... ؟ أنتِ تغيرتِ كثيراً هذه الفترة، قولي لي ما بك... !

نظرت لها فريدة بابتسامة مصطنعة:

- لا تقلقي يا صديقتي كل ما في الأمر أنني متعبة بعض الشيء ويوم أو يومين وسأعود

كما اعتدتِ عليّ.

نظرت لها إيفانا وقالت لها بلهفة:

- إذن ما رأيك أن نخرج سوياً اليوم كي نتخلصي من تعبكِ... ؟

نظرت لها فريدة نظرة تبعث بداخلها الأمان وكي تنهي الحديث في نفس الوقت:

- إيفانا أرجوك لا تضغطي عليّ، صديقتي أحتاج بعض الراحة فقط، أعط لي يومين

بالكثير، وإن لم أعد كما كنت فلنفعلي بي ما تشائين.

حل صمت إيفانا، ولم تعد تعرف ماذا تقول... ! لأنها تعلم صديقتها جيداً وتعلم

أن فريدة تحب عنها شيئاً.

قالت لها فريدة وهي تنظر لها بابتسامة:

- اتفقنا... !

أومأت إيفانا برأسها وقالت بيأس:

- اتفقنا، ولكن حينها ستقولين لي ما تحببينه عني .

- حسناً، اتفقنا .

رحلت إيفانا وطارت بجذائها النفاث وهنا وقفت فريدة أمام المرأة وسألت نفسها:

-ها يا فريدة ! هل ستقومين بالتجربة النهائية بالوقت المتبقي من تجربة اليوم . . . ؟

لا، لا، أخاف ألا يسعفني الوقت على إنهاؤها، نحتاج وقتاً للحفر والمواجهة ولا أدري

كم نحتاج من الوقت . . . ! وأظن أن يكون معي الكثير من الوقت أفضل بكثير من

أن يكون الوقت قليلاً .

جلست فريدة على الكرسي الموجود أمام المرأة وأمسكت رأسها، وأردفت:

-أوووه، أريد أن أنهي هذا الأمر حالاً . . .

رفعت رأسها أمام المرأة وقالت:

-لا، بل سوف أنتظر لمنتصف الليل أي بداية يوم جديد وأبدأ تجربة جديدة بوقت

كامل .

الفصل العاشر

المواجهة

استغلت فريدة الوقت حتى منتصف الليل في حفظ الآيات والأذكار التي كتبها لها الشيخ منصور، وقامت بنقل التسجيلات على هاتفها كي تقوم بتشغيلها .
وها هي الساعة صارت الثانية عشرة بعد منتصف الليل، تأهبت فريدة لبداية المغامرة ووقفت أمام مرآتها وهي ترفع شعرها وتنفس الصعداء وتحفز نفسها ولكن وهي تنظر لنفسها فجأة تذكرت شيئاً، تذكرت أن ترتدي سلسلة أمها التي تحمل لفظ الجلالة "الله" لأنها قامت بجعلها، ارتدت السلسلة وتوكلت على الله وبدأت التجربة الأخيرة .

قررت أن تعود بالزمن لكي تتأكد بالفعل من تاريخ هذا البيت بنفسها، فذهبت للحظة التي قتل فيها فتحي عليا، وها هي تمر السنين بالجهاز سريعاً لكي ترى كل ما حدث .

في سنة 2004 بدأ فتحي بناء البيت للعائلة التي اشترت الأرض، برغم مرور السنين فتحي لم يحازف بحفر وعمل أساس للبيت ولكن أمر العمال بالبناء فوق

الأرض بحجة أن الأرض طينية، بل طلب منهم أن يقوموا بإضافة عدة طبقات من الردم فوق الأرض قبل البناء، ونفذ العمال ما قاله لهم.

قاموا ببناء بيت ذا طابقين، لقد تعب العمال في بناء هذا البيت لقد استمر بناؤه عدة أشهر، كان العمال يقومون ببناء جزء يأتون في اليوم التالي فيجدون أنه ليس كما تركوه بالأمس، لقد خاف البعض وترددوا وأصبحوا لا يأتون وهذا آخر عملية البناء أكثر، بسبب خوف العمال من القدوم لهذا البيت.

تم الانتهاء من البيت بأعجوبة وها قد جاءت العائلة لكي يسكنوا في هذا البيت، حياتهم به كانت بخير لمدة أسبوع واحد فقط، ولكن بعد أسبوع بدأت الأم تشتكي لزوجها أنها تسمع من يطرق كثيراً على الباب بالرغم من أنها لم تقم بتكوين علاقات مع الجيران، إن المنطقة صارت بها بيوت أكثر مما كانت عليها من قبل، أنكر زوجها وقال لها أن هذا بفعل الرياح، وازدادت كوابيس الأم وكل يوم تقوم مفزوعة مما تراه أثناء نومها، ترى امرأة تقول لها أن ترحل من البيت أو الموت، ولكن زوجها رفض وقال لها كيف سترك البيت الذي دفع به كل ما يملك ويرحل منه بسبب كوابيس، وصارحها أنه كذلك يرى كوابيس ولكن لن يترك البيت أبداً.

وفي يوم خرجت الأم ليلاً كي تشرب، فمرت أمام غرفة أولادها ذوي الستة والخمسة أعوام وسمعت ضحكاتهما فقررت أن تدخل عليهما كي تراهما، ولكنهما كانا نائمين في سبات عميق، وبمجرد أن أغلقت الباب والتفتت وهي تتمم بأنها يُخَيَّل لها، رأت امرأة وجهها متحلل البعض والبعض لا، وذات جلد متعفن، مشعة الشعر وصرخت في وجهها:

- ارحلي من هنا . . .

هنا أغمضت عينها وصرخت صرخة ففزع كل من في البيت، استيقظ الطفلان في الغرفة وصارا يصرخان: أمي أمي . . .

والأب خرج من غرفته كي يرى زوجته، وأخذها وفتح باب غرفة الأطفال ودخل هو وزوجته .

أخذ زوجته في حضنه وهمّ الولدان في احتضان أبيهما وصارا يبكيان على بكاء أمهما . . . والأب لا يفعل شيئاً سوى أنه يمسح على شعر زوجته كي يهدئ من حالها، وبعد أن كفت الزوجة عن البكاء مسحت دموعها باندفاع وقالت لزوجها وهي تمسك به:

- دعنا نرحل من هنا أرجوك، لن أستطيع أن أعيش هنا بعد الذي رأيته . . .

أخرجها زوجها من حضنه وقال لها بتوتر وغضب:

- ماذا بيدي أن أفعل . . . ؟ ليس لدي حل سوى العيش هنا .

- سوف آخذ أولادي وأرحل من هنا، سأذهب للعيش مع أهلي .

ازداد غضب زوجها وقال لها:

- يعني يكون لنا بيت وتريدين أن نكون عائلة على غيرنا . . . !

بكت مرة أخرى وقالت:

- عائلة عائلة على الأقل أعيش في أمان .

اقترب منها زوجها وقال لها وهو يقوم بسحبها كي تقف ومن ثم لمس وجهها برفق:

- دعينا نشغل قرآنًا في البيت كي يبعد عنا هذه الكوابيس والهلوسة، سنتغلب

على كل ذلك ولكن فكرة الرحيل ممنوعة .

نظرت له زوجته بياس ومن ثم التفت لأولادها وأعادت كل منهما لسريه وقبلتهما

وطمأتهما، وبالفعل قامت بتشغيل الراديو في التسجيل الخاص بها، وبدأت تطمئن

بسماع القرآن في الراديو، ولكن هذه الراحة لم تدم كثيرًا، لأن الراديو قد انفجر تمامًا .

هنا قامت مفزوعة وتمسكت بزوجها الذي أخذ يهدئها ويوضح لها أنه أمر عادي .
ولكنها بدأت في البكاء وهي تترجاه أن يرحلوا ، ومن ثم وهي تنظر لزوجها تحت
المرآة يكتب عليها بالدم "الانتقام سيبدأ" .

هنا صرخت لزوجها وهي تؤشر بيدها المرتجفة تجاه المرأة:
- انظريا عاصم انظر التحذير .

هنا التقت عاصم وهو ممسك بيدها وقال والدهشة قد رُسِمت على وجهه:
- لا يوجد شيء يا سلمى يا حبيبتي ، يجب أن تترتاحي اهدئي .
ولكن سلمى صارت في حالة هيسيريا وقامت من مكانها ووقفت أمام المرأة
وقامت بلمس الدم بعنف كي تري زوجها ، ولكن زوجها همّ من السرير وضربها
كفّاً كي تفيق من هذه الحالة ومن ثم أمسك يدها وقال لها بغضب كي تهدأ:
- اهدئي ، ماذا تفعلين لقد جرحت نفسك . . . !

هنا بدأت سلمى في التقاط أنفاسها ونظرت له وقالت بهدوء كي توضح له وهي
تبكي:

- لم أجرح نفسي ، إنه الدم الموجود على المرأة .

أمسك عاصم يدها وجعلها ترى الجرح.

هنا دهشت سلمى وقالت وهي تذرف الدمع:

- لكن صدقني كان هناك تحذير أقسم لك.

من ثم فاقت من شرودها وحزنها وسألته وهو يأخذها للسريـر:

- ولكن كيف جُرحتُ؟

قام عاصم بإحضار مطهر من الحمام وشاش كي يعالج لها الجرح، ورد عليها وهو

يتحرك:

- ألا ترين أن هناك كسراً في المرأة، حدث أثناء نقلها لهذا البيت...!!

همست سلمى وهي تتألم من المطهر الذي سقط على جرحها:

- آه، كان يوماً أسود يوم ما نقلنا إلى هنا.

هنا سمعنا صوت أذان الفجر، ومن ثم همس لها عاصم وهو يقوم بربط الشاش على

جرحها ومن ثم همّ واقفاً مقبلاً رأسها:

- لا تقلقي يا حبيبتي، كل شيء سيكون بخير بإذن الله.

من ثم جعل سلمى تتمدد على السريـر ونام بجوارها.

هنا قامت سلمى مرة أخرى:

- لو تكرر موقف آخر أرجوك دعني أعود لأهلي في أسوان أنا والأولاد .

هنا قام عاصم بغضب وقال:

- سلمى، منذ قليل لم أرغب أن أوضح أمام الأولاد ها، أنتِ تفهمين جيداً أننا لن نستطيع أن نعود مرة أخرى ولن نرى أهلنا .

أنتِ تعلمين جيداً أنا فعلت المستحيل كي نبداً بداية جديدة بهويات جديدة بعد الذي فعلناه .

ترددت سلمى وقالت:

- ولكن أمام القانون أنت الذي قتلت وسرقت مدير ك الذي ظن أنك صديقه المقرب وآمن لك وأدخلك بيته وقال لك كل أسرار ه .

فتح عاصم علبة السجائر وأشعل سيجارة وقال بحنق:

- الدنيا غير عادلة يا سلمى، هو يكبرني بعامين فقط وهو صاحب الشركة بالرغم من أن الأفكار يستمد ها مني .

هنا قالت سلمى بندم:

- آه يا رب لم طمعنا، أنت كنت مساعد مدير، لم نظننا لحال غيرنا، ها نحن ذا لم نهنا
قط بالمال.

- هذا ما حدث يا سلمى، أرجوك لا تذكرى لي هذا الموضوع مرة أخرى، وفكرة
الرجوع ممنوعة، لأنك إن عدت سيصلون لي من خلالك، بدأنا معاً فلنكمل سوياً.

أولست معي في السراء والضراء لا . . . !

نظرت له سلمى بجسرة وياس وأردفت:

- معك.

ومن ثم تنفست بجسرة أكثر وأخذت تمدد جسدها على السرير ونظرت للسقف،
وأكملت تتمتها:

- معك يا عاصم للأبد.

في اليوم التالي كان الوضع هادئاً نهاراً كالعادة، قررت سلمى ألا تشغل بالها
بالكوابيس والهلوسة التي تراها من أجل أن تعيش في سلام مع عائلتها.

في يوم طارق وسالم طلبا منها أن يصعدا للسطح كي يلعبا لأنها ترفض أن يلعبا في
الشارع، فسمحت لهما بساعة ومن ثم ينزلا.

وبعد ساعة قلقت عليهما وقررت أن تخرج تنادي عليهما فنظر لها سالم الصغير وطلب منها المزيد من الوقت، وافقت بمجرد أن رأت ضحكة ابنها أمامها .

بعد ساعة أخرى وهي مشغولة في تحضير الغداء لأن زوجها في الطريق سمعت صوت شيء سقط من علٍ، وتوازي مع صوت السقطة صوت صراخ طارق .

تركت ما في يدها وهمت مسرعةً وفي ثوانٍ وصلت للسطح، حينها كان طارق ينظر للأسفل وبمجرد أن سمع صوت أمه التفت لها وهو يبكي واقترب منها وقال لها:

- لست أنا من فعل ذلك أقسم لك .

هنا جرت سلمى تجاه السور رأت ابنها الصغير غارقاً في دمه .

هنا لم تسمع لبكاء ابنها ولا لدفاعه عن نفسه، همت مسرعة في النزول .

وها هي تحتضن ابنها الذي سقط على صخرة حادة أمام البيت، هنا بدأت تصرخ وهي تضع رأسه في حضنها وتمسك يده بيدها الغارقة في الدم وتقبلها وتضعها على وجهها وهي مجهشة في البكاء، وطارق جلس بجوارها وهو يبكي معها، ولكن

فجأة توقفت سلمى عن البكاء وسألت طارق بغضب مكثوم:

- لم فعلت ذلك بأخيك لم . . . ؟

- أقسم لك يا أمي، لم أفعل ذلك، بل جواد هو من فعل ذلك .

هنا نظرت له أمه بدهشة وسألته والد موع تنهمر من عينها :

- من هو جواد . . . ! ؟

- طفل أصغر من سالم بقليل كان يأتي للعب معنا منذ أن أتينا لهذا البيت .

حتى في اليوم الذي فتحت علينا الباب في الليل كان هو من يلعب معنا، وهو الذي

أخبرنا أنك قادمة فتصنعنا النوم .

أخذته في حضنها وقالت له بندم وهي تبكي :

- لم تقل لي يا طارق . . . ! ؟ لم . . . ؟

- جواد قال لنا ألا نقول لك لأنك ستمنعيننا من اللعب معه .

أخذت جثة ابنها ولم ينتبه أحد للحادث حتى، المنطقة هادئة جداً والناس كلهم في

بيوتهم وفي حالهم تماماً وخاصة أن الوقت اقترب من المغرب وهذا وقت عدم

تواجدهم بالفعل .

صعدت لشفقتها كي تصل بزوجها وتقول له ما حدث وهي مجهشة في البكاء متجهة

ناحية المطبخ كي تغلق على الطعام الذي تركته .

وهي تغلق الغاز، شعرت بوخز في ظهرها .

فالتفتت مسرعة مفزوعة باكية، رأت ابنها طارق محمر العينين وممسكاً بسكين ويتسم لها، هنا تراجع بظهرها ناحية موقد الغاز وهي تؤشر له بيدها ألا يقترب منها، ولكنه بدأ يقترب منها ببطء وعلى وجهه تلك الابتسامة التي زرعت في قلبها الفزع منه، ولكن سرعان ما قطع خوفها اصطدامها بطنجرة الطعام التي سقطت على جسمها فجعلتها تصرخ بشدة وفقدت تركيزها مع طارق، استغل طارق لحظة انحنائها عندما سقط عليها الحساء الساخن، فقام بطعنها في ظهرها، فسقطت غارقة في دمه، هنا اقترب طارق وقام بفتح باقي الغاز، وقام بغلق كل منافذ الهواء في البيت، ومن ثم عاد يجلس بجانب أمه وجثة أخيه .

بعد نصف ساعة وصل عاصم البيت، بعد أن استغرب من الدم الموجود أمام بيته، وبمجرد أن دخل نادى على زوجته ولكن لا يوجد رد فهم كعادته ياشعال سيجارة وفي ذات اللحظة شم رائحة الغاز وأدركها ولكن تفكيره لم يدم بضع ثواني لأنه في ذات اللحظة حدث انفجار كبير في البيت، جعل البيت يرتجف تماماً فانكسر ما به من أبواب ونوافذ وأمسكت به النيران، وبعد صوت الانفجار تجمع الجيران عند

البيت واتصلوا بسيارة المطافئ كي تطفى هذه النيران ولكن لم تتمكن من إطفاء النيران إلا بصعوبة، ولم يجدوا جثث من يسكنون البيت، وبعد هذا الحادث ظل هذا البيت مهجورًا .

أكفت فريدة بهذا القدر وقالت في قرارة نفسها:
- إن الحرام لا يدوم أبدًا والله لا يرضى بالظلم، ولكن ما ذنب الأطفال...! أوووه،
أكيد للرب حكمة في كل ذلك .

من ثم قررت أن تعود للحظة التي كانت فيها مع فارس وخاصة عند اللحظة التي طلب منها المساعدة .

ها هي فريدة أمام فارس وتقول له بثقة:
- طبعًا سوف أساعدك يا فارس، لقد تخلى العالم كله عنك، ولكن لن أتخلى عنك
أبدًا يا فارس .

طلبت فريدة أن ينتظر بضع دقائق، ذهبت لبيت جدها والكل نيام وأحضرت أدوات تساعدها على الحفر فأسين وجاروفين حفر .

طبعاً دخلت البيت كطيف وعندما نزلت أكملت التمويه على الأشياء التي تحملها
كذلك، أول ما وصلت البيت تعجب فارس لما رآه معها، سألها بتعجب:

- ما هذا يا عجيبة . . . !

- لا تسألني كثيراً فقط تعال ورائي .

هنا نظر لها فارس بضجر وأردف:

- مكتوب عليّ ألا أفهم شيئاً في حياتي .

شعرت فريدة بأسف تجاهه واعتذرت له وأردفت موضحة:

- الموضوع طويل يا فارس، وليس لدي وقت، أريد أن أنهي هذا الأمر ومن ثم

سوف أفهمك كل شيء .

ولكن كي تفهم سوف ننزل للطابق الأول، وفي الغرفة الموازية لهذه الغرفة سوف نبداً

بتكسير الأرضية والحفر . . .

ازداد تعجب فارس وتساءل:

- لماذا يا عجيبة فهميني . . . ! ؟

- كي نخرج بقايا جثة ونقوم بحرقها كي نتخلص من الأذى الذي لحق بك .

- لا أفهم شيئاً .

- أرجوك، هذا ليس وقتاً للفهم، أريدك أن تثق بي أنني سوف أساعدك وكفى . .
اقترب منها فارس ونظر لها بحنو:

- أثق بك يا عجيبة .

ابتسمت له فريدة ومن ثم أخذت الأدوات ونزلا وهمت فريدة بمسك فأسها كي
تساعد في التكسير ولكن فارس طلب منها أن ترتاح وهو سوف يتكفل بالقيام بكل
شيء لأنه معتاد على هذا، ولكن فريدة رفضت وأعلنت الرغبة في البدء حتى ولو
المساعدة بالقليل خوفاً من ضياع الوقت .

وبعد أن بدءا في الحفر ارتجف البيت رجفة قوية أسقطتهما أرضاً .

فقام فارس وساعد فريدة في القيام من مكانها ولكن سرعان ما لمست فريدة خاتمها
وقامت بتشغيل القرآن والرقية والأذكار التي سجلها الشيخ منصور .

هنا سألها فارس متعجباً:

- ما الذي حدث يا عجيبة . . . ؟

همت فريدة بامساك الجاروف الآخر وقالت له بسرعة:



- هيا يا فارس أكمل معي بسرعة أرجوك .

ها هو فارس بكل ما أوتي من قوة يحفر والرجفة تزداد أكثر .

فارس يعيد تساءله بعد أن تمكن الرعب منه:

- ما الذي يحدث يا عجيبة أريد أن أفهم . . . !

ردت عليه فريدة وهي تلهث من شدة الحفر:

- ردد مع القرآن يا فارس، ردد ما تسمعه أرجوك .

بدء في ترديد القرآن وها هما قد وصلتا لبقايا الجثة، وبمجرد أن همّ فارس برفعها

كما طلبت منه فريدة . . . سقطا أرضاً من قوة الاهتزاز، فسقطت البقايا على

فارس فرماها مسرعاً عنه وقام مفزوعاً، قامت فريدة مسرعةً وأخذت الخشب

والقماش الذي أحضرته من الشقة التي كان بها فارس، ورمتهما على الجثة، ومن ثم

التقت نحو فارس واليأس قد رُسم على وجهها وأردفت:

- نسيت أن أجلب قداحة .

نظر لها فارس في حيرة وأردف:

- وماذا سنفعل الآن . . . ؟

هنا تذكرت فريدة وقالت لفارس:

– أنت قلت لي أنك قبل أن تأتي هاربا إلى هذا البيت لقد قابلت جواد قبل أن تقتله،
كان جواد يدخن . . . !

هز فارس رأسه أي نعم، فطلبت منه أن يبحث في جيبه، وبالفعل لقد وجدها .
أخذتها منه وأعطته ظهرها وهمت بإشعال البقايا، ولكن سرعان ما تلقت ضربة
قوية من الخلف أسقطتها أرضاً بعد أن اصطدمت في الجدار الذي أمامها . . . هنا
التقت فريدة ورأت فارس قد احمرت عيناه وقال متهمكاً:

– ها قد حفرت قبرك بنفسك يا فريدة أو أقول لك مثل أخي الأخرق يا عجيبة،
استعدي لنهائيك .

تمالكت فريدة قواها وقامت وهي تقول بغضب:

– بل نهائيك أنت يا أيها الشيطان .

هنا بدأت فريدة يجعل الصوت أعلى من خاتمتها وبدأت تردد القرآن مجزم وهي
تقترب منه، هنا صار جسد فارس يرتفع في الهواء وتعال الضحكات التهكمية
على فريدة، ولكن فريدة لم تعبأ بتهكمه ولم تخف من ارتفاعه في الهواء .



وأخذت تردد بكل يقين الآيات، ولكن فجأة خرج من الأرض أشباح، شبّح عليا وسلمى وعاصم والولدين الصغيرين، من ثم أحاطوا بها .

هنا فريدة أو شكت على الصراخ فزعًا من قبّح أشكالهم . . . ولكنها تذكرت الشيخ منصور بأن عليها ألا تتراجع، لأنها إذا تراجعت أو خافت سوف يتمكنوا منها، ولكنها بسرعة ارتفعت في الهواء وأخرجت من جيبيها قارورة مياه صغيرة، وبدأت برشها على كل من في الغرفة وهي تردد رقية طرد الشيطان، وبالفعل بدأت الأشباح في الصراخ والاحتراق الذاتي إلى حد الاختفاء .

وبمجرد ما قطرات الماء المقروء عليه القرآن والرقية الشرعية التي قامت فريدة بتحضيرها في أثناء انتظارها وقت التجربة، بمجرد أن سقط على وجه فارس صرخ بقوة وبدأ وجهه في التآكل .

ومع قوة الصرخة تحرك بسرعة وأمسك فريدة وقام بضربها في جدار الغرفة، فسقطت من علٍ تتأوه من أثر السقطة، ومن ثم رفعها فارس من شعرها ويرفعها في الهواء ويقول لها متهمكًا :

- تظنين أنك ذكية يا فريدة . . . ! أنا من تركتك لكي تصلي لهذه النقطة والآن سيبدأ العقاب .

ومسك يدها التي ترتدي بها خاتمها تنفها، بدأت تخرج من عينه شعاع أحمر حارق بدأت فريدة تشعر بحرارته قبل أن يصل ليدها .

كانت فريدة برغم آلامها تنظر له بتحدٍ وقبل أن يكمل كلامه، فعلت في الجهاز خاصية الطيف، فاخلت قبضة جسد فارس الذي تلبسه جواد .

في خلال ثوانٍ كانت فريدة طيفاً ولكن تلك الثواني كانت كهيئة أن تدمر الأشعة خاتمها واحترق إصبعها، ولكنها لم يكن لها وقت تتألم به .

طارت في الهواء كطيف أمامه بغضب وهي تخرج من تحت ملابسها سلسلة لفظ الجلالة "الله" وأمسكتها وقالت له مجزم:

- لقد تمكنت من إسكات صوت خاتمي، ولكنك لن تتمكن من إسكاتي أنا .

هنا همّ بالهجوم عليها، ولكنها اختفت تماماً فارتطم جسد فارس المادي في الجدار .

فقال له وهي ما زالت رافعة لفظ الجلالة "الله" في وجهه:

- اترك جسد فارس يا جواد، وهيا واجهني جسداً أثيراً مقابل جسد أثيري . . .
أخرج فارس من هذا القتال .

هنا ضحك جواد متهمكماً وقال وعيناه تشتاطان ناراً:

- نهايتي تعني نهاية فارس .

- إن لم تخرج منه يا جواد سوف أخرجك أنا .

وبدأت بقراءة القرآن مع تقريب السلسلة تجاه فارس .

هنا بدأ فارس في تشنجات على الأرض، وجواد بداخله يصرخ بصوت أجش
ويقول:

- لن أخرج منه، وإن خرجت ستكون نهايته .

بدأت فريدة تستغل تشنج حركته أرضاً وبدأت ترش على جسده ما تبقى من الماء،

بدأت الحروق تبرز على جسد فارس، بل وقطرات الماء بدأت تأكل ملابسه أي

كأنها نار ولكنها برغم بكائها وخوفها على فارس أكملت ذكرها، وهنا بدأ الجسد

في التشنج أكثر والارتقاع بشكل أفقي في الهواء .

وتكرر الصوت الأجش من بعد الصراخ:

- اتركيني، حرريني وسوف أترك فارس يعيش في سلام ولن أؤذيك أبداً .

قررت فريدة ألا تثق في ابن إبليس هذا، وأكملت ترتيلها للآيات .

هنا اشتد الصراخ أكثر وأكثر وارتجف البيت من قوة الصوت، ولكن فريدة ظلت

متماسكة عندما بدأت ترى الدخان يتصاعد من جسد فارس .

علمت حينها أنها أوشكت على التمكن منه، بدأت فريدة في تكرار الأذكار بصوت

أعلى، وهنا سمعت صوت جواد:

- سوف تندمين على فعلتك .

ولم يكمل كلامه لأنه صرخ صرخته الأخيرة، في تلك الثانية سقط فارس من علٍ . . .

وهنا كانت الصدمة .



الفصل الحادي عشر

النهاية

في نفس اللحظة التي تمكنت فيها فريدة من التمكن من جواد سقط فارس في غمضة عين . . . ولكنها لم تكن مجرد سقطه عادية، سقط فارس على الفأس الذي كان يحفر به . . . طعن فارس بالفأس بقرب من قلبه، هنا سقطت فريدة بجواره صارخة وهي تضع يدها على صدره الملطخ بالدم، حاول فارس أن يفتح عينيه وقال بصعوبة بالغة:

- أشكرك على ما فعلته من أجلي يا عجيبة . . . أتمنى أن أراك في الحياة الآ . . .
لم يكمل كلامه ومات، مات وعيناه تنظران لعيني فريدة . . . هنا صرخت فريدة وهي تبكي بحرقة:

- أرجوك لا تتركني يا فارس، لقد فعلت المستحيل كي تكون معي، لم يارب
لم . . . ؟

مالت فريدة على صدر فارس وبدأت تبكي بقوة وهي ممسكة به، رافضة فكرة
رحيله عنها .

جلست فريدة بجوار فارس تبكي ومن ثم شرد ذهنها إلى أن تحولت بقايا عليا إلى مجرد رماد، من ثم أخذت الرماد كما طلب منها الشيخ منصور ونقلت نفسها للإسكندرية وقامت برميّه في البحر، ما زالت تبكي وبدأت تشكو للبحر حالها وعلى حظها العاثر لأنها إذا تعلقّت بشيء تخسره .

الآن فريدة تنظر للبحر وتسأل ماذا عليها أن تفعل . . . !

قررت أن تعود للحظة التي ودعت فيها رانيا والشيخ منصور كي تحكي لهما ما حدث .

وها هي تقف أمامهما وقالت لهما بأكية:

- لقد فعلت كل شيء كما قلت لي وتخلصت من جواد ورميت الرماد، ولكن فارس لقد مات، أنا السبب في موته، أنا السبب .

وبكت بكاءً هيسيرياً وسقطت أرضاً، جلست رانيا بجوارها وأخذتها في حضنها وأخذت تنظر للشيخ منصور وهي تربت عليها .

تكلم حينها الشيخ منصور مهوئاً عليها:

- يا بنيتي الموت لا يوجد أحد يمكن أن يكون السبب به، الموت مقدر ومكتوب لنا في يوم سوف نموت فيه، مهما حاولنا تغيير مصير الموت سوف يقع الموت .
يعني إن لم يمت فارس أمام عينيك، لكان مات بمفرده، أو مات في المستشفى وكله في نفس اليوم .

مسحت فريدة عينها وقالت للشيخ موضحة:
- ولكن عندما ذهبت للمستشفى نهاراً عندما نُقل إليها، كان ما زال على قيد الحياة .

- ولكنك قلت إنه كان يتعرض لنوبات هناك .
قد تختلف طريقة الموت يا فريدة، يمكن جواد كان يرغب في عذاب فارس قبل موته . . . ولكنك كما قلت تمكّنت من جواد فأراد أن ينتقم من فارس سريعاً قبل فوات الأوان . . . أنت تعلمين أن هناك أرواحاً تظل معلقة في هذه الحياة رغبة في الانتقام ومن ثم ترحل .

بكت فريدة وقالت بيأس:

- وما فائدة كل ما مررتُ به . . . ؟ ما حكمة الله في كل هذا . . . ؟ ما دام جواد كان يرغب في الانتقام من فارس ويرحل عن هذا العالم .

- الله يا بنيّ كل شيء يفعلُه لحكمة، جواد لم يكن مجرد روح عادية، أكيد لم يكن سيكفي بالانتقام من فارس وكفى، بل كان سيظل في الحياة ويشيع فيها الفساد، وهذا ما شاهدته بنفسك، لا تعترضني على قدر الله يا بنيّ، أنتِ فعلتِ ما عليكِ وسوف ترين حكمة الله فيما بعد .

بعد أن تمالكَت فريدة نفسها ومسحت دمعها، ودعتهما، وقررت أن تعود بالزمن ورأت ما حدث لفارس في حياته لو كانت هي لم تظهر له من الأساس .

بالفعل رأت فارس يتعرض للتعذيب تحت يد جواد، ها هو يقيده، ويحرق في جسده، ويسلخ جلده عن جسمه وهو على قيد الحياة، ومن ثم بدأ في تقطيع أجزاء جسمه، وكلما أغمي على فارس ينتظر كي يفيق من جديد ويستمر في تعذيبه إلى أن مات فارس من شدة الألم والعذاب .

هنا فريدة خرجت من البيت وسألت نفسها بندم:



- أه كيف لم يأت في بالي أن أرى مصير فارس . . . ! لا تندمي يا فريدة، كل شيء كان لحكمة، قدر الله وما شاء فعل، على الأقل مات فارس موة أكثر رحمة مما مات عليها، ويمكن بالفعل لقد خلصتُ العالم من شر جواد ابن لوسيفر، من ثم مسح فريدة دمعهما الذي صارت غير قادرة على التحكم به .

قررت أن ترى ما كان مصير هذا البيت بعد موت فارس .

ها هي تمر بالزمن سريعاً لأنها لا ترى أحداثاً مهمة، رأت أبيها مراد وأمها قرراً أن يعرفا حقيقة هذا البيت، لأن مراد قرر أن يشتريه إن عرف له صاحباً ويقوم بإعادة بنائه، وبمجرد أن دخل مراد البيت رأى شيخ امرأة غاضبة ومعها ولداها الاثنان وقالت له غاضبة:

- اخرج من بيتي . . .

هنا التقت مراد وأخذ وتين من يدها فقالت له بتوتر:

- ماذا حدث يا مراد . . . ! نحن ما زلنا لم نصعد الدرج حتى، لا تقول لي أنك خائف، أنت قلت لي أنك لا تؤمن بهذه التخاريف .

استمر في سحبها إلى أن خرجا دون أن ينطق بكلمة وبمجرد أن صارا بالخارج قال لها:

- كل ما في الأمر أنني غيرت رأيي وسنعيش في القاهرة.
- ولكنك قلت لي أننا سنعيش هنا من أجل أهلي وأهلك . . . !
- وتين هذا قراري، أرجو عدم فتح الموضوع مرة أخرى.
- ومن ثم ظل البيت مهجوراً . . . ولكن فريدة ظلت تفكر، هذا ما حدث قبل أن أغير الأحداث وتخلصي من الأرواح الساكنة في البيت . . . هذا معناه إن عدت بالزمن بعد تغييره فيه، هذا يدل على أن أبي وأمي سيذهبان للبيت وأبي لن يرى تلك الأشباح ويمكن أن يعيد بناء البيت.
- ولأدري ما يمكن أن يحدث إن غيرت جزءاً كهذا من حياتي . . . أوه، ماذا عليّ أن أفعل الآن . . . ؟

قررت فريدة أن تكون في البيت في اليوم الذي سوف يأتي فيه أبيها وأُمها . . . وعندما دخلا الاثنان، قامت فريدة بطلق شعرها وغطت به وجهها وطارت في الهواء كطيف وقالت لهما محذرة صارخة أن يخرجوا من البيت.

وبالفعل لقد صرخت وتين من خوفها فاحتضنها مراد وخرجا بسرعة، وقررا سوياً إلغاء فكرة هذا البيت تماماً .

هنا ارتاحت فريدة أنها اطمأنت أنها لم تغير شيئاً في حياة والديها . . .

من ثم قررت أخيراً العودة إلى جثة فارس تنظر له بحسرة باكية وتساءل:

-ماذا سأفعل بجثتك يا فارس . . . ! هل سأدفنك هنا . . . ! أم ماذا عليّ أن

أفعل . . . !

قررت فريدة العودة لبيت فارس في شبرا، وبالفعل رأت أمه رحاب تعيش بمفردها في

شقتها . قامت الأم مفروعة من نومها ، صارخة:

-فارس . . . أين أنت يا ولدي . . . !

همت الخادمة على صوت رحاب ودخلت الغرفة وأعطتها كوب ماء ودواءها

المهدئ، من ثم قامت رحاب بلمّ شعرها الحريري الذي اختلط به الكثير من

الشيب . ها هي تنادي بحسرة:

-آه أين أنت يا فتحي . . . ! وأين أنت يا فارس . . . ؟

بدأت الخادمة تربت عليها، هنا قررت فريدة أن تخرج وتطرق باب شقتها وتخبرها

بمكان ابنها، وبالفعل دخلت فريدة وقالت لها على مكان فارس .

ولكن بمجرد أن بدأت رحاب تسألها بلهفة غير مصدقة:

- ابني فارس، أنت تعرفين فارس حقاً . . . ! كيف عرفت مكانني وكيف عرفت

مكانه . . . ؟

هنا ظلت فريدة ساكنة لا ترد، فكانت كلما سكنت سألت رحاب المزيد من

الأسئلة .

فجأة قررت فريدة أن ترحل دون أن ترد لأن عينها بدأت تبكي على لهفة أم فارس .

وبمجرد أن خرجت وأغلقت الباب وراءها، حاولت رحاب أن تلحق بها وتفتح

الباب، ولكنها لم تجدها قط .

طبعاً اتصلت رحاب بشرطي تعرفه معرفة شخصية وأبلغته بمكان فارس .

وبالفعل عثرت الشرطة على جثته وتم نقله للمستشفى في القاهرة .

هنا اتصل بها الشرطي وأخبرها بمكان ابنها .

وتم اللقاء بعد غياب دام تسع سنوات .

قررت أن تدفنه في حديقة بيتها الموجود في السادس من أكتوبر . وقررت أن تستقر هناك، هي وابنها فارس . . . أغلب وقتها تقضيه في الحديقة أمام قبر ابنها، الذي تحكي معه طول الوقت وكأنه يسمعها .

عادت فريدة إلى حياتها مرة أخرى . . . هنا وقفت أمام مراتها وشرعت في البكاء على فراق فارس، وهناك صوت بداخلها يقول لها :

- لم تبكين على فارس هكذا، حتى وإن كان ظل على قيد الحياة لكان في الوقت الحالي رجلاً تخطى 38 عاماً ويمكن أن يكون لغيرك . . .

هنا نظرت للمرأة وقالت بندم:

- على الأقل سيكون على قيد الحياة .

هنا بدأت تشعر أن قدميها لا تستطيعان أن تحملها فقررت أن ترمي نفسها على السرير، وهنا لم تشعر بشيء سوى في صباح اليوم التالي، سمعت من يطرق على شرفة غرفتها، فقامت مفزوعة بسبب قوة الطرْق .

فتحت عينها رأت إيفانا واقفة غاضبة، فهمت بفتح الشرفة فدخلت إيفانا
وسألتها بلهفة:

- لم هاتفك مغلق يا فريدة... ؟

هنا نظرت إيفانا ليد فريدة وقالت صارخة بدهشة:

- ماذا حدث ليدك... ؟

عادت فريدة للسريـر وتمددت وقالت بتعب:

- حادث بسيط، لا تشغلي بالك.

قررت إيفانا أن تهتم بفريدة وأن تقضي معها أسبوعاً حتى تتحسن حال رفيقتها.

وبعد ذلك عادت فريدة لدراسـتها ولأصدقائها، ولكن مع شـرود كثير في أغلب
الأحيان.

تمر السنين وها هي فريدة وإيفانا قد تخرجتا، وتوماس قد قرر أن يسافر أمريكا بعد

أن يؤسس من محاولاته في إقناع فريدة، لذا قرر أن يعذر ما يؤذي قلبه ما دام لا
يستطيع الحصول عليه.

بالفعل إن لم يكن بإمكانك شراء قطعة الحلوى فلا تظل واقفاً أمامها، لأن هذا سيزيد الأمر سوءاً .

قامت فريدة بافتتاح عيادة للعلاج النفسي هي وإيفانا، باختلاف مواعيد الدوام . كانت فريدة تحب عملها جداً، لأنها تشعر بلذة رهيبة عندما تتمكن من تخليص مرضاها من عقدهم النفسية .

وفي يوم بعد أن أكملت دوامها الليلي وقررت أن تغلق العيادة .

وهي تقوم بوضع الرقم السري على مقبض الباب، هنا شعرت بأن هناك صوت

خطوات يأتي من خلفها، التفتت بسرعة فرأت شيئاً جعل ضربات قلبها

المتسارعة تتسارع أكثر، ولكن مع سماعها للصوت بدأت تلتقط أنفاسها:

- هل يوجد أحد بداخل العيادة، كنت أرغب في استشارة سريعة .

ظلت فريدة مذهولة مما تراه عيناها، تنظر من رجله لرأسه، هو، إنه هو فارس، نفس

الطول العرض العضلات، الشعر الناعم الطويل ولكنه قام برفعه لأعلى، نفس اللحية،

ولكن الفرق العين لونها رمادي اختلط بالأخضر .

ولكن سرعان ما فاقت من شرورها وقالت:

- لقد انتهى الدوام . . .

هنا أزاح الشاب نظره هنا وقال معذراً:

- آوه، حسناً، شكراً لكِ.

وهما بالنزول ولكن فريدة أوقفته وقالت له بلهفة:

- ولكن يمكنك أن تسألني ما تريد أنا الطيبة التي أعمل هنا .

نظر لها وارتسمت على وجهه ابتسامة وسألها:

- أسألكِ هنا . . . !

توترت فريدة وقالت له ضاحكة:

- كما تشاء، إن كنت ترغب في دخول العيادة لأمانع .

ابتسم وقال لها:

- سأكون سعيداً إن دخلتُ العيادة، ولكن سأكون أسعد إن قبلتِ دعوتي في

احتساء القهوة .

لم تتردد فريدة ووافقت وهي في قمة سعادتها . . . ارتسمت السعادة على ملامحه

عندما وافقت فريدة .

نزلت فريدة معه وهي تخطف نظرات له وتقول في قرارة نفسها:

-إنه هو، هو بالضبط .

نظر لها نظرة تعجب ولكن سرعان ما ابتسم، هنا أكملت فريدة تساؤلاتها لنفسها:

-أوه يا حمقاء كيف توافقين على الخروج معه بهذه السهولة . . . ؟

ولكن كيف لي أن أرفض هذه الفرصة بعد غياب قد طال أكثر من ثماني سنوات .

أحقاً هو . . . ؟

أوه كيف يكون هو . . . ! إذا كان على قيد الحياة لكان عمره تجاوز 46 عاماً .

هنا وصلاً أمام باب العمارة فقطع شرودها صوته وهو يفتح باب سيارته لها:

-هل يمكن أن تتفضلي يا . . . !

-فريدة، فريدة يا . . . !

-أبسل . . . اسمي أبسل مصطفى .

دخلت فريدة السيارة وهي تبسم ومن ثم جلس هوفي مقعده فبدأت فريدة الكلام:

-إذن أنت عربي . . . !

-أوه، وأنت عربية كذلك .

- نعم، أنا مصرية .

- وأنا فلسطيني .

-أوه، لذلك اسمك أبسل لأنك شجاع من بلد الشجعان فلسطين العظيمة .

هنا شردت فريدة وقالت لنفسها :

-ليس هويًا فريدة، ولكن الشبه بينهما رهيب .

هنا قرر أبسل أن يكسر حاجز الصمت ويعرّف عن نفسه :

-أنا مهندس ديكور، عمري 26 .

هنا دهشت فريدة وقررت أن تسأله :

-إذن ما برجك . . . ؟

-أنا برج العقرب لقد ولدت يوم 11-11-2019

هنا بدأت فريدة عينها تذرف الدمع لأن هذا هو اليوم الذي مات به فارس .

تعجب أبسل وقال لها محاولاً تغيير الوضع ممازحاً :

-لم أكن أعرف أن برج العقرب بهذا السوء، يمكنك أن تعبريني جوزاء إن أحببت .

ولكن سرعان ما ارتسمت الضحكة على وجه فريدة ومسحت دمعها وهي تقول :

- لا أرجوك هذا أسوأ .

أخذنا يتكلمان سويًا ويضحكان إلى أن وصلنا مقهى راقٍ جدًا، جلس أبسل أمامها سارحًا في ملاحظتها، فقررت فريدة بعد أن ابتسمت له أن تسأله:

- ها، قل لي يا أبسل ما هي استشارتك التي كنت ترغب في معرفة حلها . . . ؟

ضحك أبسل ضحكة هادئة كشفت عن أسنانه الناصعة المتساوية وأردف:

- لم يعد هناك أي استفسار بخصوص أي شيء، لقد حُلَّت المشكلة .

هنا ضحكت فريدة ونظرت له بتعجب وتساءلت:

- لا، بل قل لي ماذا كنت تريد أن تعرف . . . ؟

- لا شيء، كل ما في الأمر الكوايس تراودني، كل ما أفكر أن أرتبط في ذات الليلة

أحلم بتلك الشابة التي قررت أن أوافق على الارتباط بها أراها بشكل قبيح،

فبمجرد أن أستيقظ أشعر أن قلبي غير مرتاح لها فأقرر الانفصال قبل البدء في

الارتباط من الأساس .

- هل يمكن أن أعرف هل هن من يبدأن في خطوة الارتباط أم أنت . . . ! وكم مرة

تكرر هذا الأمر معك ؟

- هذا الأمر تكرر معي ست مرات، ستة هن من أصررن أن أرتبط، ومع الإصرار أقرر أن أعطي فرصة، خاصة أنهن لم يكن في أي منهن أي عيب، ولكن قلبي حقاً لم ينجذب إليهن، ولكن عدد المعجبات بي اللاتي ليس لديهن الجرأة على الإصرار والمواجهة فعددهن لا أستطيع ذكره.

ابتسمت فريدة وهي ترفع حاجبيها وأردفت:

- الآن تأكدت أنك عربي .

ضحك أبسل وقال لها مؤكداً:

- أقسم لك هذا ما حدث، فكان استفساري ما هو سبب رفضي الكامن بداخلي للارتباط، لم لا أنجذب لأي امرأة وإذا فكرت أرى تلك الكوايس التي تجعلني أغلق الموضوع تماماً، أرجو ألا تقولي لي بسبب الخوف من تحمل المسؤولية . أنا شخصية جادة جداً وأتحمل المسؤولية، أو هل تفهمين قصدي . . . !

هنا هزت فريدة رأسها مؤكدة:

- طبعاً أفهمك جيداً ولكن أحب أن أسمع منك أكثر .

تحولت ملامح الجد من على وجه أبسل لابتسامة:

- لا يوجد ما أحكيه، يبدو أن علاجي كان رؤيتك فقط .

ضحكت فريدة وقالت له:

- فلننتظر للغد ونرى نتيجة رؤيتي، وفي حالة عدم جدواها سنبدأ في جلساتنا .

في اليوم التالي اتصل بها أبسل وطلب منها أن يتقابلا ضروري، تقابلا في نفس المقهى

بعد انتهاء دوامها، نظر لها أبسل بعد صمت طوال الطريق وقال لها:

- لقد رأيتك في منامي بالأمس .

- وكيف كنت . . . ؟

- كنت تردين فستاناً وردياً وجئتُ أنا على حصاني البني الذي أملكه بالفعل،

وأخذتك خلفي وكنا سعداء .

ابتسمت فريدة وقالت:

- أوه إن هذا أشبه بالخيال .

- يعني لقائي بك كذلك كان خيلاً، كنت عائداً من عملي رأيت لافتة عيادتك

المضيئة فقررت أن أصعد وأريح عقلي .

صعدت كي أريح عقلي من التفكير ولكن لقد ارتاح قلبي كذلك .

في بداية الأمر فريدة لم تكن تتخيل أن ترى فارس أو شخصاً يشبهه إلى هذا الحد ، بدأت تسأل نفسها ، هل تناسخ الأرواح حق ؟ هل بالفعل عندما يموت المرء يعود من جديد للحياة ، ولكن التناسخ يكون تناسخ روح فقط لا القلب والقلب . استغفرت ربها عن هذه الفكرة الغير مذكورة في ديننا ، وقررت أن تحمد الرب على هذه النعمة ، هي تعلم جيداً أنه يوجد لكل منا أربع وأربعون شبيهاً هكذا يقولون ، ولكنها متأكدة أنها لولا المغامرة التي فعلتها مع فارس لما كانت تعلق به هو ولا حتى بأبسل ، سبحان الرب المدبر في اختيار أقدارنا . . .



ها هي الأيام تمر بل الشهور إلى أن مرت سنة ، ها هو أبسل يغلق المكالمة مع فريدة بعد أن اتفق معها أن يسافرا إلى مصر صباح الغد كي يتقدم ويعترف على والدتها . ها هي فريدة تستيقظ من نومها ومن ثم خلعت سلسلة لفظ الجلالة "الله" قبل دخولها الحمام كي تتأهب لسفرها . وبعد أن خرجت فريدة من الحمام وهي ترتدي روب الاستحمام ، رأت شيئاً جعلها تشعر برعب ودهشة .

لقد رأّت أبسل جالساً على سريرها . . . قالت له بدهشة واستعجاب:

- كيف دخلت إلى هنا يا أبسل . . . ؟

اقترب منها أبسل وعلى وجهه ابتسامة زرعت الرعب في قلب فريدة وهي تتراجع

للوراء، ها هو يهمس لها بصوت أشبه بالفحيح:

- إنه الروبوت قلت له إن لي موعداً معك، وهو سبق وشاهدني معك، لذا لم أجد

مشكلة.

هنا سمعت فريدة صوت خاتمها وبمجرد أن لمست الحجر الخاص به انبثقت

الشاشة التي تظهر اسم أبسل.

هنا نظرت له وقالت في قرارة نفسها وهي ترجع للوراء:

- إن كان أبسل هو المتصل . . . من الذي أمامي . . . ؟

هنا سمعت فريدة صوت قهقهة تبعها صوت أجش:

- ألم أقل لك لنا لقاء آخر . . . ؟

هنا برزت على رقبة علامة شعلة، حينها فريدة صرخت عندما علمت

صاحبها . وهنا انقض عليها و

النهاية

اقلب الصفحة ضروري هناك كلمة من المؤلفة

تعليق المؤلفة

هل تظنون أنني أقوم بكتابة رواية ذات نهاية مفتوحة . . . ؟ حاشا وكلا، كم أمقت هذه النهايات يا أصدقاء، إنها تؤلم قلبي .
إن هذه رواية فريدة فكيف لها أن تموت وهي من سررت لي كل التفاصيل . . .
دعوني أكمل لكم . . .



ها هي فريدة تستيقظ على صوت هاتفها، هنا تقوم مفزوعة تحاول التقاط أنفاسها .
حمدت الرب أنه مجرد كابوس ليس له أي علاقة بالواقع .
ما زالت فريدة تعاني من كوابيس ولكن برغم ذلك لا تأخذ مهادنات . . .
معروفة طبابخ السم لا يذوقه، أو كما يقولون بالمصري باب التجار مخلع .
دكتور السمينة في بعض الأحيان سمين، ودكتور الأسنان أسنانه غير مرتبة . . .
ودكتور العيون يرتدي نظارة . . . والدكتور النفسي مريض . . . لأن أكمل فريدة
سوف تحزن مما سأقوله . . . دعوني أكمل لكم .

ها هي ترد على أبسل وتقول له بصوت منهدك:

— سأكون على استعداد على الموعد .

ها هي فريدة في مصر وتمت خطبتها، ولا غنى عن زيارتها لي سواء في الواقع أو في

رحلاتها التي للعلم لم تنته عند فارس، بل قامت بمغامرات أخرى، ولكن سيتم

ذكرها في عمل آخر . . .

تم بحمد الله

2022-6-6

رانيا رمضان "بنت البروفيسور"

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً
إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا
اللَّهُمَّ صَلِّ أَفْضَلَ صَلَاةٍ عَلَى أَسْعَدِ مَخْلُوقَاتِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ
وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ عَدَدَ مَعْلُومَاتِكَ وَمَدَادِ كَلِمَاتِكَ
كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَعَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ .

لا تنسوني من دعواتكم لي أخوتي بالتوفيق ولكم بالمثل .
والدعاء بالرحمة والمغفرة لوالدي البروفيسور
رمضان عبد الله هو وجميع أموات المسلمين .

أعمال أخرى لبنت البروفيسور

نركسوس (رواية نفسية اجتماعية)

بروفيتيا (رواية فانتازيا اجتماعية)

لاقيت الفضفضة- كيمياء السعادة (كتاب تنمية ذاتية وخواطر دينية)

جد ولعب وجرح وحب (ديوان بالفصحى والعامية)

طيف أروما (رواية رعب ورومانسية)

البروفيسور- الخلاصة لفهم الوجه الحقيقي للحياة (كتاب تنمية ذاتية وقصائد شعرية)

المهدي المنتظر (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج1 الخطئية (رواية رعب ونفسية)

أولاد لوسيفر ج2 الخناس (رواية رعب ونفسية)

رواية الخليفة ج3 من أولاد لوسيفر

60 قانون لامتلاك السعادة وتجاوز صعوبات الحياة move on (كتاب تنمية ذاتية)

كتاب "تعلم تفسير الأحلام مع بنت البروفيسور"

كتاب "تعلم فن كتابة السيناريو مع بنت البروفيسور"

كتاب "فضفضة بعد منتصف الليل"

كتاب "رحلة ال90 يوم" للتعافي والتحرر من الإدمان

كتاب "تعرف على اسرار التاروت مع بنت البروفيسور"

كتاب "رسائل الملائكة"

كتاب (اسوياء نفسيًا)

كتاب (رسائل ملائكة الحب)

كتاب فضفضة في الطريق (أدب ساخر)